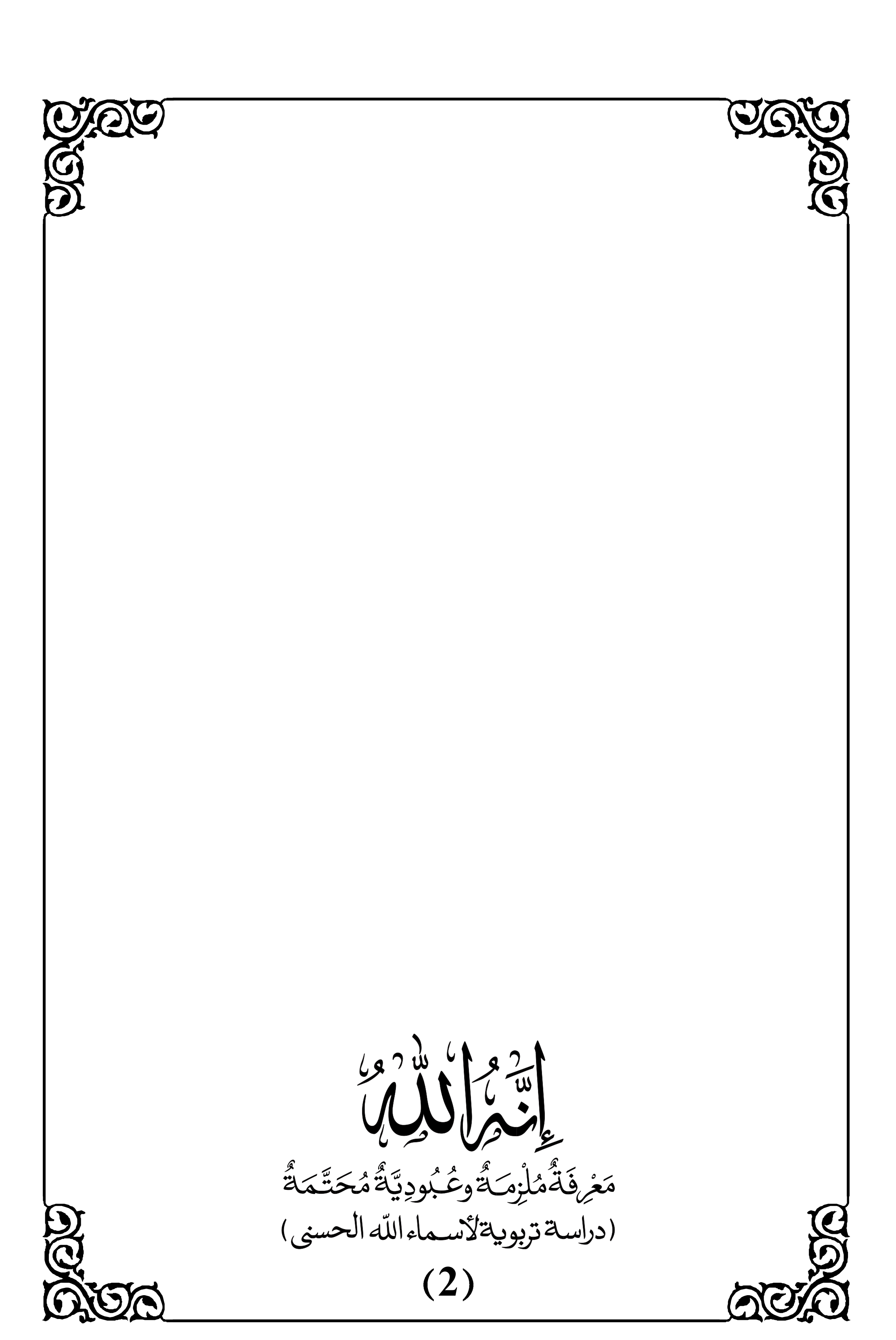
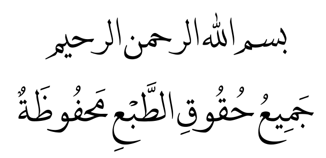


إنه الله

مَعرِفةٌ مُلزِمةٌ وعُبُودِيَّةٌ مُحتَّمةٌ

(دراسة تربوية لأسماء الله الحسنى)

(2)



الطبعة الثانية: 1442/2021

رقم الإيداع: 2020/22127

الترقيم الدولي: 978-977-6838-75-8








Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر: شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر

01050144505 – 0225117747

المنصورة: عزبة عقل – بجوار جامعة الأزهر

01007868983 - 0502357979

إِنَّهُ اللهُ

مَعْرِفَةٌ مُلْزِمَةٌ وعُبُودِيَّةٌ مُحَتَّمَةٌ

(دراسة تربوية لأسماء الله الحسنى)

دكتور

شريف فوزي سلطان

قدم له

دكتور سيد حسين العفانى

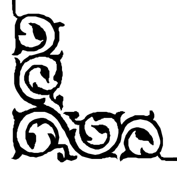
دكتور عبد المنعم إبراهيم

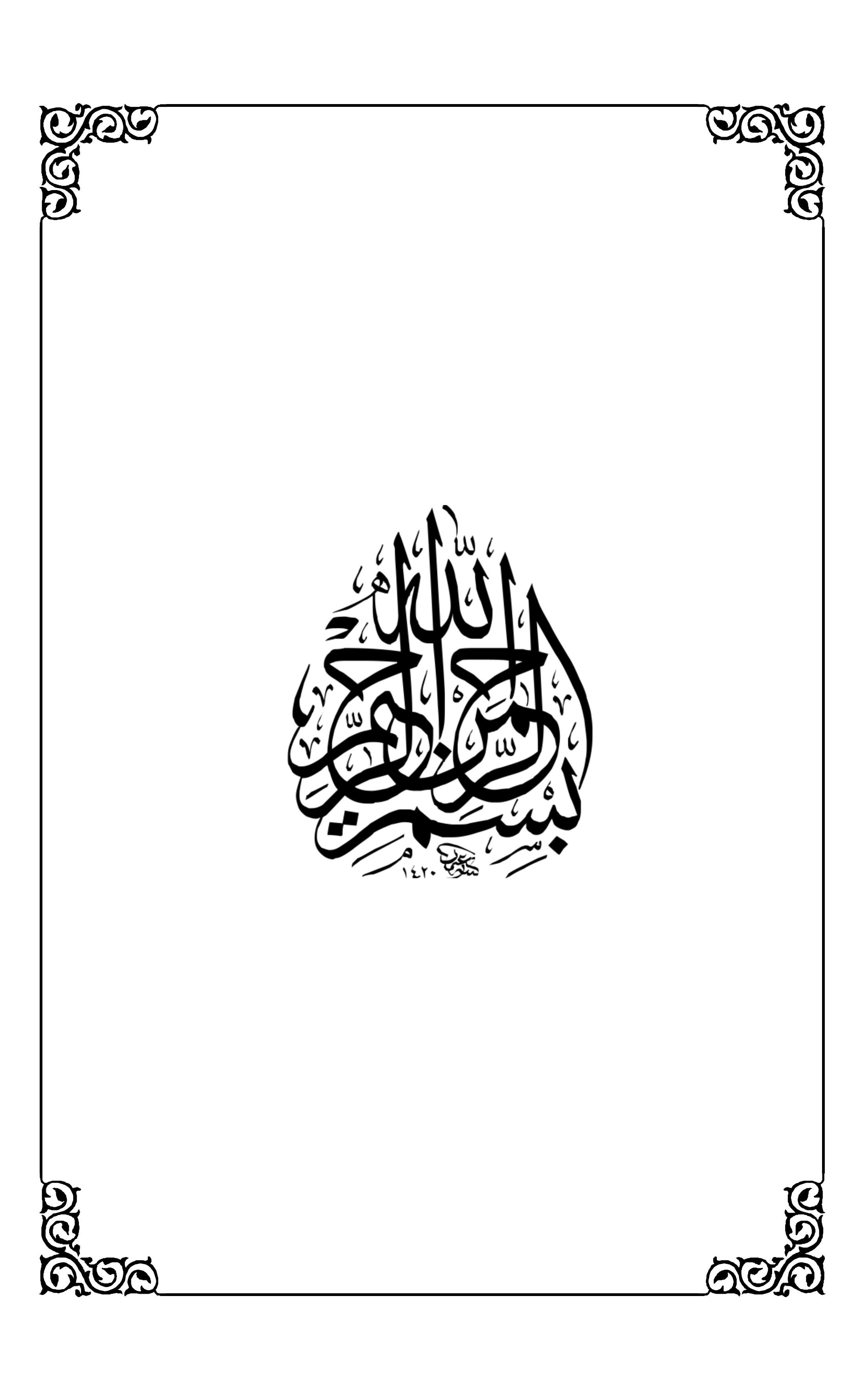
الجزء الثاني

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر




بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

(٥٢)(٥٣)الشكور، الشاكر جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٠] وقال تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨] وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

(الشكور) جل جلاله: هو الذي يشكر لليسير من العمل، ويعطي عليه الكثير من الأجر، ويعطي الكثير من النعم، ويرضى باليسير من الشكر، ولهذا قال: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤﴾ [فاطر:٣٤].

(الشكور) جل جلاله: هو الذي يشكر القليل من العمل، ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يضيّع أجر من أحسن العمل.

(الشكور) جل جلاله: هو الذي يعطي على العمل القليل المحدود، في الدنيا المحدودة نعيمًا كثيرًا عظيمًا غيرَ محدودٍ في الآخرة.

لقد ضاع عشر عمرك في الطفولة، وثلث عمرك في النوم، ونصفه في الطعام والانتظار، والانتقال والواجبات الاجتماعية؛ فكم تبقى من عمرك لشعائر الله وعبادة ربك؟

ومع هذا: شَكَر لك هذا العمرَ الفانيَ القصير، وكافأك عليه بالثواب الخالد الجزيل؛ فإن الجنة لا آخر لها مكانًا وزمانًا، والدنيا قطرةٌ ببحرٍ فيها.

من مظاهر شكره ﷻ:

١- مِن شُكره ﷻ أنه يضاعف الأضعاف الكثيرة على الأعمال اليسيرة، كما قال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران:١٤٥].

«ولم يذكر جزاءهم؛ ليدل ذلك على كثرته وعظمته، وليُعلَم أن الجزاء على قدر الشكر قلةً وكثرةً وحسنًا»[١].

فتأمل قول النبي ﷺ: «إن رجلاً رأى كلبًا يأكل الثرى من العطش؛ فأخذ الرجل خُفَّهُ فجعل يغرف له بها حتى أرواه؛ فشكر الله له فأدخله الجنة»[٢].

وتأمل قوله ﷺ: «بينما رجل يمشي في الطريق، وجَد غصن شوك على الطريق فأخَّره؛ فشكر الله له؛ فغفر له»[٣].

والسنة النبوية مليئةٌ وحافلة ببيان عطاء الله تعالى لعباده الأجورَ الكبيرةَ على الأعمال اليسيرة؛ فهو الشكور ﷻ.

٢- **ومِن شُكْره سبحانه:** أنه يجزي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعْفٍ، إلى أضاف كثيرة، ويجزي على السيئة مثلها.

عَنِ ابْنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما عنِ النبيِّ ﷺ فيما يَرْوي عنْ ربِّهِ عز وجل قال: «إن الله كَتَبَ الحسناتِ والسَّيِّئاتِ، ثُم بيَّنَ ذلكَ؛ فمنْ هَمَّ بِحَسَنةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتبَها اللهُ لَهُ عِندَهُ حَسَنَةً كامِلةً، فإنْ هُوَ همَّ بِها فَعَمِلَها كتبَها اللهُ لَهُ عِندَهُ عَشرَ حَسَناتٍ، إلى سبْعمائةِ ضعفٍ، إلى أضعافٍ كثيرةٍ، ومَنْ همَّ بِسيِّئةٍ فَلَمْ يَعْملْها كَتبَها الله لَهُ عِندهُ حَسَنةً كامِلَةً، فَإنْ هُوَ هَمَّ بها فَعمِلها كتبها الله لهُ سيِّئةً واحدةً»[٤].

---

(١) تفسير السعدي.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

وقال ﷺ: «مَن تصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا طيبًا – فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يُربي أحدكم فَلوَّه حتى تكون مثلَ الجبل»[1].

٣- **ومِن شُكره** ﷻ: أن العبد إذا قام بأوامره، وامتثل طاعته؛ أعانه على ذلك، وأثنى عليه ومَدَحَه، وجازاه في قلبه نورًا وسعةً، وفي بدنه قوَّة ونشاطًا، وفي جميع أحواله زيادةً وبركةً ونماءً[2].

٤- **ومِن شُكْره سبحانه**: أنَّ مَن تَرَك شيئًا لله، أو بذَل شيئا لله؛ عوَّضه الله على هذا وذاك خيرًا منه.

لمَّا عقر سليمان عليه السلام خيْلَه غضبًا لله حين شغَلَتْه عن ذِكْر الله؛ عوَّضه الله تعالى عن ذلك، بأن سخَّر له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب.

ولما ترَك الصحابة ديارهم وخرجوا منها ابتغاء مرضاة الله؛ عوَّضهم الله ذلك، بأن ملَّكهم الدنيا، وفتَحها عليهم.

ولمّا احتمل يوسف الصديق عليه السلام ضيق السجن؛ عوَّضه الله عن ذلك، بأن مكَّن له في الأرض يتبوّأ منها حيث يشاء.

ولما بذل الشهداء أبدانهم يمزّقها أعداءُ الله؛ عوَّضهم الله عن ذلك بأن جَعَل أرواحهم مستقرَّةً في أجواف طيرٍ خضرٍ تَرِدُ أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث.

ولمَّا بذل الرسلُ، والأنبياء، والدعاة والعلماء، أعراضَهم لأعداء الله يُؤْذَوْنَ في الله، ويُسَبُّون في الله؛ عوَّضهم الله عن ذلك بأن صلَّى عليهم هو وملائكتُه، وجعَل لهم أطيب الثناء في سماواته وبين خلقه[3].

---

(١) متفق عليه.

(٢) تفسير السعدي.

(٣) مقتبس من عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين بتصرف.

٥- ومِن شكره سبحانه: أنه«إِذَا رَضِيَ مِنَ الْعَبْدِ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِهِ؛ نَجَّاهُ، وَأَسْعَدَهُ بِهِ، وَثَمَّرَهُ لَهُ، وَبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَأَوْصَلَهُ بِهِ إِلَيْهِ، وَأَدْخَلَهُ بِهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقْطَعْهُ بِهِ عَنْه»(١).

عن معاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ مَعْقِلِ الْمُزَنِيِّ، فَأَمَاطَ أَذًى عَنِ الطَّرِيقِ، فَرَأَيْتُ شَيْئًا فَبَادَرْتُهُ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ شَيْئًا فَصَنَعْتُهُ، فقَالَ: أَحْسَنْتَ يَا ابْنَ أَخِي، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَمَاطَ أَذًى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ تُقُبِّلَتْ لَهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٢).

٦- ومِن شُكْره سبحانه: أنه لا يحب أن يشقى عبادُه، ويأبى ﷻ أن يُعذّب عباده سُدًى بغير جُرْمٍ، كما يأبى إضاعةَ سعيهم باطلًا، فالشكور لا يضيع أجر محسن، ولا يعذب غير مسيئ، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧].

٧- ومِن شُكْره سبحانه: أنه يُخرج العبد من النار بأدنَى مثقال ذرّة من خير؛ فلا يضيع عليه هذا القدر، كما في حديث الشفاعة وغيره.

٨- ومِن شُكْره سبحانه: أنه يُعطي عباده نِعَما لا يُحصونها لكثْرتها وعَظَمَتِها، ثم يطلب منهم الثناء بها، وذِكْرَها والحمدَ عليها، ثم يرضى منهم بذلك شكرًا عليها، وإن كان ذلك كله من فضله عليهم.

٩- ومِن شُكْره سبحانه: أنه يُعطي العبد «ما يُشكَر عليه، ثم يشكره على إحسانه إلى نفسه لا على إحسانه إليه، ووعده على إحسانه لنفسه أن يحسن جزاءه ويقربه لديه»(٣).

---

(١) مدارج السالكين.

(٢) صحيح الادب المفرد.

(٣) عدة الصابرين.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان:٢٢].

فسبحان من يمنّ علينا بالسعْي، ويوفقنا له، ويعيننا عليه، ثم يشكرنا عليه، وهذا والله غاية الفضل والإحسان؛ فله الحمد والشكر.

١٠- ومِن شُكره سبحانه: أنه يعطي عباده على نياتهم، ويثيبهم عليها وإن لم يعملوا، إن أعاقهم عن العمل عائق، كما قال ﷺ: «**مَن سأل اللهَ الشهادةَ بصدْق؛ بلَّغه منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»(١).

وقال ﷺ: «مَن أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلّي من الليل فغلبتْه عيناه حتى أصبح؛ كُتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه ﷻ»(٢).

فلا يهلِك بين شكر الله ومغفرته إلا هالك؛ فسبحانه من غفور شكور! يغفر الكثير من الزلل، ويشكر القليل من العمل.

وهو الشكور فلن يضيع سعيهم ... لكن يضاعفه بلا حسبان
ما للعباد عليه حق واجب ... هو أوجب الأجر العظيم الشأن
كلا ولا عمل لديه ضائع ... إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عذبوا فبعَدْله أو نُعِّموا ... فبفضله والحمد للمنان(٣)

➢ **كيف نعبد الله باسميْه «الشكور»، «الشاكر»؟**

❋ **أولًا: أن نقوم بواجب الشكر للشكور ﷻ بقلوبنا وألسنتنا، وسائر جوارحنا:**

لماذا وكيف؟

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجه والنسائي، وصحّحه الألباني.

(٣) نونية ابن القيم.

العبد من حين استقرّ في الرحم إلى وقته الذي هو فيه يتقلّب في نِعم الله ظاهرًا وباطنًا، ليلًا ونهارًا، يقظةً ومنامًا، سرًا وعلانية، قال – عز من قائل –: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠].

فلو اجتهد العبد في إحصاء أنواع النِّعم؛ لما قدَر، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤].

نعمة الإيمان – وايمُ الله – لا تعدلها نعمةٌ، هل تفكّرتَ يوما أن ملايين البشر من حولك في بحار الكفر غارقون، وفي النار هم خالدون؟

قال بعضهم: «كن لنعمة الله عليك في دينك أشكر منك لنعمة الله عليك في دنياك»(١).

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ لَمْ يَعْرِفْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِلَّا فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ فَقَدْ قَلَّ عَمَلُهُ وَحَضَرَ عَذَابُه»(٢).

فأكثر الناس لا ينظر إلا على نعمة الملبس والمسكن والمطعم، فيقِيم الدنيا ولا يقعدها لخسارة في تجارة، أو ضياع ترقية، وهو يخسر دينه يومًا بعد يوم، دون أن يتحرك له قلب، أو ينشغل له بالٌ؛ فَسَلْ نفسك: كم مرة شكَرْتَ الله على طاعة، في مقابل شُكْرِك له على مال أو دنيا!

تأمَّلْ بَصَرك وقد سَلِمْتَ من العمى، وانظر إلى جِلْدِك وقد نَجَوْتَ من البرص، والمح عقلك وقد أنعم الله عليك بحضوره؛ فلم تُفْجَعْ بجنون أو ذهول، هل فكَّرْتَ أن تذهب يومًا إلى المستشفيات؛ لترى المقْعَدين الذين لا يملكون حراكًا؛ لترى في قسم الحرائق ما فعلتْه النيران في الوجوه الجميلة؛ لترى في قسم العيون من

(١) حلية الأولياء.

(٢) حلية الأولياء.

فقدوا نور أعينهم؛ لترى أصحاب المحاليل المعلقة؛ لترى من عاشوا حياتهم في المستشفيات، ثم فيها ماتوا!

تأمَّلْ بعضَ نِعَم الله:

١- نِعمَةُ الإنسانية، ولو شاء سبحانه؛ لجعل الإنسان حيوانًا، أو جمادًا، او نباتًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٠].

٢- نعمة الصورة، قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن:٣] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤].

٣- نعمتا السمع والبصر، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

٤- نعمة المشي والحركة، ولو شاء سبحانه لجعَلك مثل المخلوقات الزاحفة، كالثعابين ونحوها، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور:٤٥].

٥- نعمة الصحة؛ حيث عافاك وابتلى غيرك.

٦- نعمة المال؛ حيث أغناك، وأفقر غيرك.

٧- نعمة الأولاد؛ حيث أعطاك، ومنَع غيرَك.

لو عمِل العبدُ من الصالحات أعمال الثقلين؛ فإن نِعَم الله عليه أكثر، وأدنى نعمة من نِعم الله تستغرق جميع أعماله.

وشُكرُ الله تعالى إنما يكون بالقلب واللسان والجوارح.

فشُكْرُ القلب: الاعتراف بالنعم الظاهرة والباطنة، وأنها منه تعالى وبفضله، وأنها وصلتْ إليه من غير ثمن دَفَعه، أو شيء بذَلَه؛ حتى لو وصلَتْ إليك على يد عبد من عباد الله؛ لأن الذي سخّره ليوصلها إليك هو الله وحده، كما قال – عز من قائل –: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣].

ولهذا كان النبي ﷺ يكرّر الاعتراف بالنعمة في أدبار الصلوات؛ فكان ﷺ يقول: «**لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون**»[(١)].

وقال ﷺ: «**سيِّد الاستغفار أن يقول: اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا رَبَّ لِي إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صنعتَ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لك بِذَنْبِي، فاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْت**».

مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِي؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهْوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؛ فَهْوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[(٢)].

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: «لَمّا نَزَلَتْ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة:٣٤]قال: كُنّا مَعَ رسولِ الله ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فقال بَعْضُ أَصْحَابِهِ: أُنْزِلَ في الذّهَبِ وَالْفِضّةِ ما أنزل، لَوْ عَلِمْنَا أَيّ الْمَالِ خَيْرٌ فَنَتّخِذَهُ. فقال ﷺ: «**أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ وَقَلْبٌ شَاكِرٌ**

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ عَلَى إِيْمانِهِ»[١].

قال موسى عليه السلام: «إلهي، كيف أشكُرُك، وأصغر نعمة وضعْتَها عندي من نِعَمِك لا يُجازي بها عملي كله، قال: فأوحى الله إليه: أن يا موسى: الآن شكَرْتَني»[٢].

وشُكْر اللسان: الثناء بالنعم وذِكْرُها، وتعدادها وإظهارها، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضُّحى:١١].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما **قال:** قال النبي ﷺ: «... **التحدث بنعمة الله شكْرٌ، وترْكُها كفْر**»[٣].

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[٤].

وعن أبي الاحوص عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ في ثوبٍ دون– أي: غير لائق بحالي من الغِنَى – فقال: ألَك مال؟ قلت: نعم، قال: من أيِّ المال؟ قال: قد أتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق؛ قال: فإذا أتاك الله مالا فلْيُرَ أثرُ نعمة الله عليك وكرامته»[٥].

ومن التحدث بنعمة الله وإظهارها: أن تسجد لله شكرا كلما تجدّدت لك نعمة، أو دُفِعَتْ عنك نقمةٌ.

---

(١) رواه الترمذي، وانظر صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) الزهد للإمام أحمد.

(٣) رواه أحمد، وحسّنه الألباني في الصحيحة.

(٤) رواه الترمذي، وصحَّحه الألباني.

(٥) رواه أبو داود، وصحّحه الألباني.

فعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان إذا جاءه أمر سرور، أو بُشِّر به؛ خر ساجدًا شاكرًا لله»(١).

وشُكْرُ الجوارح: أن يستعين العبد بنعمة الله على طاعة الله، وأن يحذر من استعمالها في شيء من معاصيه.

قال الإمام القرطبي: «واعلم أن على كل جارحة شكرا يخصّها، وعلى اللسان من ذلك مثل ما على سائر الجوارح، وقد أخبر رسول الله ﷺ أن الأعضاء تقول للسان: اتّق الله فينا؛ فإنما نحن بك؛ فإذا استقَمْتَ استقمْنا، وإن اعوجَجْتَ اعوججنا».

وقال تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣] أي: اعملوا عملاً تكونون به قد شكرتم ربكم جَلَّ جَلَالُهُ.

وكان النبي ﷺ يقوم بالليل حتى تتورَّم قدماه، ويقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»(٢).

فسمى النبي ﷺ الأعمال شكرًا، وأخبر أن شُكْرَه قيامُه بها، ومحافظته عليها(٣).

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ لما قدم المدينةَ وجدهم يصومون يومًا – يعني عاشوراء – فقال: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرَقَ آلَ فرعون؛ فصام موسى شكرا لله؛ فقال: أنا أولى بموسى منهم؛ فصامه، وأَمَرَ بصيامه»(٤).

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) متفق عليه.

(٣) طريق الهجرتين.

(٤) رواه البخاري.

فتأمَّلْ كيف سمّى صومه شكرًا !

قال ابن القيم – عليه رحمة الله –: «وَالشُّكْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى خَمْسِ قَوَاعِدَ: خُضُوعُ الشَّاكِرِ لِلْمَشْكُورِ، وَحُبُّهُ لَهُ، وَاعْتِرَافُهُ بِنِعْمَتِهِ، وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِهَا، وَأَنْ لَا يَسْتَعْمِلَهَا فِيمَا يَكْرَهُ؛ فَهَذِهِ الْخَمْسُ هِيَ أَسَاسُ الشُّكْرِ، وَبِنَاؤُهُ عَلَيْهَا؛ فَمَتَى عُدِمَ مِنْهَا وَاحِدَةٌ: اخْتَلَّ مِنْ قَوَاعِدِ الشُّكْرِ وَاحِدَةٌ»(١).

قال رجل لأبي حازم: ما شُكر العينين يا أبا حازم؟

قال: إن رأيت بهما خيرا أعلنتَه، وإن رأيتَ بهما شرا سترْتَه.

قال: فما شُكْر الأذنين؟

قال: إن سمعت بهما خيرا وَعَيْتَه، وإن سمعتَ بهما شرا دفعْتَه.

قال: فما شُكر اليدين؟

قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقًا لله هو فيهما.

قال: فما شُكر البطن؟

قال أن يكون أسفله طعامًا وأعلاه علمًا.

قال فما شُكر الفرْجِ؟

قال: قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾ [المعارج:٢٩ – ٣١].

قال فما شُكر الرِّجْلَين؟

قال: إن علمْتَ ميّتًا تغبطه استعْمَلْتَ بهما عَمَله، وإن مَقَتَّه رغِبتَ عن عمله،

---

(١) مدارج السالكين.

وأنت شاكر لله(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نُوحٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَجُلٌ عَلَى بَعْضِ السَّوَاحِلِ: «كَمْ عَامَلْتَهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ بِمَا يَكْرَهُ فَعَامَلَكَ بِمَا تُحِبُّ؟

قُلْتُ: مَا لَا أُحْصِي ذَلِكَ كَثْرَةً.

قَالَ: فَهَلْ قَصَدْتَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ كَرْبِكَ فَخَذَلَكَ؟ قُلْتُ: لَا واللهِ، وَلَكِنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيَّ فَأَعَانَنِي.

قَالَ: فَهَلْ سَأَلْتَهُ شَيْئًا قَطُّ فَأَعْطَاكَ؟ قُلْتُ: وَهَلْ مَنَعَنِي شَيْئًا سَأَلْتُهُ، مَا سَأَلْتُهُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَعْطَانِي، وَلَا اسْتَغَثْتُ بِهِ إِلَّا أَغَاثَنِي، قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ بَعْضَ بَنِي آدَمَ فَعَلَ بِكَ بَعْضَ هَذِهِ الْخِلَالِ مَا كَانَ جَزَاؤُهُ عِنْدَكَ؟ قُلْتُ: مَا كُنْتُ أَقْدِرُ لَهُ عَلَى مُكَافَأَةٍ وَلَا جَزَاءٍ.

قَالَ: فَرَبُّكَ أَحَقُّ وَأَحْرَى أَنْ تَدْأَب نَفْسَكَ لَهُ فِي أَدَاءِ شُكْرِ نِعَمِهِ عَلَيْكَ، وَهُوَ الْمُحْسِنُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا إِلَيْكَ، واللهِ لِشُكْرُهُ أَيْسَرُ مِنْ مُكَافَأَةِ عِبَادِهِ، إِنَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - رَضِيَ بِالْحَمْدِ مِنَ الْعِبَادِ شُكْرًا»(٢).

فالعجب ممن يعلم أن كل ما به من النعم من الله ثم لا يستحيي من الاستعانة بها على ارتكاب ما نهاه!

وإذا وفّقك الله للشكر؛ فهذه نعمة تحتاج إلى شكرٍ جديد؛ فإن شكرْتَ فإنها نعمة تحتاج إلى شكرٍ ثانٍ، وهلمّ جرا؛ فلا يقدر العبادُ على القيام بشكر النعم؛ فحينئذ يعترفون بالعجز عن الشكر.

---

(١) عدة الصابرين، لابن القيم.

(٢) الشكر لابن أبي الدنيا.

قال ابن القيم: «فنعمة الشكر أجلّ من نعمة المال والجاه والولد والزوجة ونحوها»(١).

ولهذا نقول: سبحانك! لا نُحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

واعلم أن الشاكرين هم الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣] وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة:٢٤٣].

وهنا طَعَن إبليس اللعين في الخلق قائلا: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٧].

ماذا لو انصرف الناس عن الشكر؟

لو انصرف الناس عن الشكر؛ لسامهم الله سوء العذاب؛ فهم بين أمرين: زوال النعمة، أو الاستدراج.

الأول: زوال النعمة:

قال – عز من قائل –: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣].

قال ابن القيم: «فمن غَيَّر غُيِّر عليه، جزاءً وفاقًا، من غيَّر الطاعة بالمعصية؛ غيَّر اللهُ عليه العزَّ بالذلّ، والعافيةَ بالمصيبة والعقوبة»(٢).

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.

(٢) الجواب الكافي بتصرف يسير.

وإذا كان ﷺ قد أخبر أن النساء أكثر أهل النار، ووَصَفهنَّ بالفسْق؛ لأنهنّ يكفُرْن العشير – أي: لا يشكرن نعمة الزوج، وهي نعمة واحدة – فكيف بمن لم ير نِعَمَ الله عليه! وكيف بمن لم يشكرْها؟!

فقد قال ﷺ: «إن الفساق هم أهل النار، قيل: يا رسول الله، ومَن الفساق؟ قال: النساء، قال رجل: يا رسول الله، أَوَلَسْنَ أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا؟ قال: بلى، ولكنهن إذا أُعطين لم يشكرْن، وإذا ابتُلين لم يصْبِرْن»(١).

فلو لم يكن من فضل الشكر إلا أن النعم به موصولة؛ لكان كافيًا؛ فهو الحافظ للنعم الموجودة، وجالب للنعم المفقودة ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

فلن ينقطع المزيد من الله؛ حتى ينقطع الشكر من العبد.

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

وحافظ عليها بشكر الإله ... فشكر الإله يزيل النقم

الثاني: الاستدراج:

فإذا توالت النعم على العبد وهو مقيم على معاصي الله ولم يَرْعَوِ لمحارم الله، ولم يشكر نعم الله؛ فإنما هو استدراجٌ كما قال – عز من قائل –: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الأعراف:١٨٢] أي: سنزيدهم ونكثّر عليهم، ونستدرجهم إلى العذاب والهلاك.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٣] أي: أُمهِلُهم، ولا أُعجّل لهم العقوبة، حتى إذا أخذْتُهم أخذْتُهم أخذة شديدةً أليمة، وهذا هو معنى قوْل النبي ﷺ: «إن الله ليملي للظالم؛ حتى إذا أخذه لم يُفلتْه»(٢).

---

(١) رواه أحمد، وصحّحه الألباني في الصحيحة.

(٢) رواه الشيخان.

ولا يظن، أحد أن هؤلاء المستدرجين منعَّمون بالنعمة، بل إنهم لمُعَذَّبون بها، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة:٥٥] وقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧].

قال الحسن البصري: «إن الله ليُمَتِّعُ بالنعمة ما شاء؛ فإذا لم يُشكَر قَلَبَها عذابًا...»(١).

المعينات على الشكر:

ومما يعين على الشكر:

١- أن تنظر إلى من هو دونك؛ فالإنسان كلما نظر إلى من هو أقل منه؛ كلما كان أكثر شكرًا، وأعظم عبادة، وفي هذا يقول ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»(٢).

وإذا أخطأتْ جوارحُك فنَظَرَتْ إلى من هو فوقك؛ فاعلم أن الله ميَّزك عنه بشيء آخَر، واذكر قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ [الأنعام:١٦٥].

٢- أن يتدبر نِعَم الله، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها؛ فإنه إذا وازن بين حال وجودها وبين حال عدمها؛ تنبّه عقلُه لموضع المنة، بخلاف من جرى مع العوائد، ورأى أن هذا أمر لم يزل مستمرًا ولا يزال، وَعَمِيَ قلبُه عن الثناء على الله بنِعَمِه، ورؤية افتقاره إليه في كل وقت؛ فإن هذا لا يُحدِث له فكرةَ شكر»(٣).

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) تفسير السعدي.

٣- أن تعلم أن الله تعالى سائلك عن النعم وشكرها، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر:٨].

عن عبد الله بن الزبير بن العوّام عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر:٨] قَالَ الزُّبَيْرُ: أَيُّ النَّعِيمِ نُسْأَلُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا هُما الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ؛ فَقَالَ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ**»(١).

والمعنى: أنه سيكون السؤال عن التمر والماء هل شكرت الله عليهما أم لا؟

فكيف بنا اليوم وقد فُتحت علينا الدنيا، وصار الطعام أشكالًا وألوانًا في الفطور والغداء والعشاء وما بين ذلك، والشراب كذلك؛ فاللهم أَدِمْ علينا نِعَمَك، وأوْزِعْنا شُكْرَها.

وقال ﷺ: يقول الله تعالى يوم القيامة: «**يابن آدم، حملتُك على الخيل والإبل، وزوّجتك النساء، وجعلتُك تربع وترأس؛ فأين شُكْرُ ذلك؟**»(٢).

٤- الرضا والقناعة.

فمن رضِيَ بما أعطاه الله، وقنِعَ بما قسَمَه الله له مِن صحَّةٍ وزوجةٍ وولد وغيرها من الرزق؛ كان شاكرًا، كما قال ﷺ: «**كُن قَنِعا تكن أشكر الناس**»(٣).

٥- الدعاء بأن يرزقك الله شكْر النِّعم.

ذلك أن العبد لا يصل إلى مقامٍ من مقامات الإيمان إلا بتوفيق الله تعالى له؛ فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، وقال: يا معاذ، والله إني لأحبك، ثم قال: يا معاذ، لا تدعنّ دبر كل صلاة أن تقول: «**اللهم أعنّي على ذِكْرك**

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، وحسّنه الألباني.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه ابن ماجه، وحسّنه الألباني.

وشكرك وحسن عبادتك»(١).

❁ ثانيًا: أن نشكر مَن أجرى الله النعمةَ على يده:

قال الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤] فأمر بشُكره، ثم بشُكْر الوالدين؛ إذ كانا سببا في وجوده في الدنيا، وسهرا وتَعِبا في تربيته؛ فيُحْسِن إليهما بالقول الكريم، والخطاب اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما وإكرامهما، واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه بالقول والفعل؛ فمن عقَّهما أو أساء إليهما فما شَكَرَهما على صنيعهما، بل جحد أفضالهما عليه، ومن لم يشكرهما فإنه لم يشكر الله الذي أجرى تلك النعمَ على أيديهما، وقد قال ﷺ: «**لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناس**».

أي: مَن كان مِن طبعه كفرانُ نعمةِ الناس، وترْكُ الشكر لمعروفهم؛ فلن يكون شاكرًا لله، ولا يُوَفَّق لذلك...»(٢).

فلا بد من مكافأة المحسن، وشُكْره على صنيعه.

كما قال ﷺ: «**مَن صنع إليكم معروفا فكافئوه؛ فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه**»(٣).

❁ ثالثًا: ألا نستصغر شيئًا من أعمال البر:

لأن الشكور جَلَّ جَلَالُهُ يُعطي الأجور الكبيرة على الأعمال اليسيرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

---

(١) رواه النسائي وأبو داود، وصحّحه الألباني رحمه الله.

(٢) الأسماء الحسنى والصفات العلى، عبد الهادي حسن وهبي.

(٣) صحيح أبي داود.

وقال ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلْق**»(١).

وقال ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة؛ فإن لم يجد فبكلمة طيبة**»(٢).

رابعًا: أن ندعو الله تعالى باسميه «الشكور»، «الشاكر»:

فقد أمر النبي ﷺ، معاذَ بن جبل رضي الله عنه أن يدعو به قائلًا: يا معاذ، والله إني لأحبك، ثم قال: يا معاذ، لا تدعنّ دبر كل صلاة أن تقول: «**اللهم أعنّي على ذِكْرك وشكرك وحسن عبادتك**»(٣).

وقال النبي ﷺ لشداد بن أوسٍ: «إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فأكثر هؤلاء الكلمات:

اللهم إني أسألك الثبات في الأمرِ، والعزيمة على الرُّشد،

وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتِك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذُ بك من شرِّ ما تعلم، وأستغفرُك لما تعلمُ؛ إنك أنت علامُ الغيوب»(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه النسائي وأبو داود، وصحّحه الألباني رحمه الله.

(٤) رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني.

(٥٤) الحليم جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وقال سبحانه: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ [الأحزاب: ٥١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما **قال:** كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب، «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم**»[١].

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

(**الحليم**) جل جلاله: الصبور المتصف بالحلم، الذي يتمهل، ولا يتعجل، يمهل عباده الطائعين ليزدادوا الثواب، ويمهل العصاة ليرجعوا إلى الطاعة والصواب.

(**الحليم**) جل جلاله: هو الذي لا يستفزه غضب غاضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاصٍ، لا يعجل على عباده بعقوبتهم على كثرة ذنوبهم، بل على شركهم وكفرهم.

(**الحليم**) جل جلاله: هو الذي يُدر على خلقه النعم الظاهرة، والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا»[٢].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) تفسير السعدي.

من مظاهر حلمه سبحانه:

١ - إمهال الكافرين:

قال تعالى في شأن أعدائه الذين حرَّقوا أولياءه في الأخدود وهم أحياء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج: ١٠].

قال الحسن البصري: «انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه، وهو يدعوهم إلى التوبة والرحمة»[(١)].

وقال سبحانه - في الحديث القدسي -: «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي، فقوله اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولو أولد ولم يكن لي كفوًا أحد»[(٢)].

وقال ﷺ: «ليس أحدٌ أصبر على أذىً سمعه من الله، إنهم يدعون له ولدًا وإنه يعافيهم ويرزقهم»[(٣)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو - الله جَلَّ جَلَالُهُ - مع هذا الشتم والتكذيب يرزق الله الشاتم المكذِّب ويعافيه ويدفع عنه ويدعوه إلى جنته، ويقبل توبته إذا تاب إليه ويبدله بسيئاته حسنات، ويلطف به في جميع أحواله...»[(٤)].

٢ - إمهال العصاة والظالمين:

فالعبد يسرف على نفسه، والله تعالى يرخي عليه حلمه، ويدعوه إلى الإنابة

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

(٤) شفاء العليل.

إليه، والإقبال عليه، ثم إن تاب وأناب قَبل منه، وصيّره كأن لم يَجْر منه ذنب، ولم يصدر عنه عيب، فلله الحمد على إحسانه(١).

فسبحانه، كم أخّر العصاة، فلم يعاجلهم بالعقوبة، رغم استحقاقهم لها.

قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل:٦١].

وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان

فالإهمال من أعظم نعم الله على عباده، وفرصة منه لهم ليسيروا في طريقه.

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم واستغفر الله منها، ألقاها، وإلا كُتبت واحدة»(٢).

٢-عدم استجابته لاستعجال عباده:

فالحليم جل جلاله لا يستجيب لاستعجال عباده بإنزال العقوبة بالكافرين أو الطغاة الظالمين، بل لا يستجيب سبحانه لاستعجال الكافرين أنفسهم عذاب الله، وإنما يحلم عليهم ويؤخرهم عنهم.

لما قال النبي ﷺ: «اللهم العن فلانًا وفلانًا» -لأحياء من العرب- نزل قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وقال سبحانه: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧].

---

(١) تفسير السعدي.

(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

وقد يقول قائل: إن حلم الله تعالى على بعض الكفرة والطغاة والظلمة، يجعلهم يزدادون كفرًا وطغيانًا وظلمًا!!

الجواب:

ليست الحكمة من حلم الله فقط ليتوبوا، ثمة حِكم أخرى، منها:

-أن الله تعالى لا يريد رحمة هؤلاء، بتعذيبهم في الدنيا؛ لأن عذاب الدنيا رحمة الله، كما قال ﷺ: «**إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة**»(١).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩﴾ [الكهف: ٢٩].

-**ومنها:** جعل المظلومين في عليين، فإن المظلوم كلما ازداد وقْع الظلم عليه، كلما علت منزلته عند ربه.

مَرّ عامر بن بهدلة برجل قد صلبه الحجاج، فقال: يارب إن حلمك عن الظالمين قد أضرّ بالمظلومين، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت، وكأنه قد دخل الجنة، فرأى المصلوب فيها في أعلى عليين، وإذا منادي ينادي:

«حلمي عن الظالمين جعل المظلومين في أعلى عليين»(٢).

-**ومنها:** أنه لو عجّل لعباده الجزاء، ما نجا من العقوبة أحد؛ لأنه «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولأتى بقوم غيركم يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم**».

الفرق بين حلم الرب وحلم العبد:

١-حلم الرب مقرون بالغنى، بخلاف حلم العبد.

(١) صحيح أبي داود.

(٢) ربيع الأبرار: أبو القاسم الزمخشري جار الله.

قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة: ٢٦٣]، للدلالة على أن حلمه لم يكن عن حاجة، فهو غنيٌ عن عباده غير محتاج إليهم.

٢- حلم الرب **مقرون بالعلم، بخلاف حلم العبد.**

قال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ [الأحزاب: ٥١] للدلالة على أن حلمه وسع كل شيء كعلمه.

٣- حلم الرب مقرون بالعظمة التامة والقدرة الكاملة، بخلاف حلم العبد.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [النحل: ٧٠]، للدلالة على أن حلمه سبحانه لا عن ضعف أو عجز، إنما عن قدرة، وقوة، ورحمة.

- **فما أحلم الله:**

يخلق ويُعبد غيره، يرزق ويُشكر سواه، خيره للعباد نازل، وشرهم إليه صاعد، يتحبب إليهم بالنعم وهو غنيٌ عنهم، ويتبغضون إليه بالمعاصي، وهم أفقر ما يكونون إليه.

ومع ذلك فلنحذر غضبه؛ لأن الحليم ﷻ إذا غضب أخذ الأخضر واليابس، ولم يقف لغضبه شيء، ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال(٢٥)].

قال سبحانه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقال سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران].

وقال ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» ثم قرأ قول الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢][1].

---

(١) متفق عليه.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد تأملت أمرأ عظيمًا: أنه عَزَّ وَجَلَّ يُمهل حتى كأنه يُهمل، فترى أيدي العصاة مطلقة، كأنه لا مانع، فإذا زاد الانبساط ولم ترعو العقول، أَخَذَ أَخْذَ جبار، وإنما كان ذلك الإمهال، ليبلو صبر الصابر، وليملي في الإمهال للظالم، فيثبت هذا على صبره ويُجزَي هذا بقبيح فعله»[١].

وقال أيضًا: قد تَبْغَتُ العقوبات، وقد يؤخرها الحلم، فالعاقل من إذا فعل خطيئة بادرها بالتوبة، فكم من مغرور بإمهال العصاة لم يُمهل»[٢].

كيف تعبد الله باسمه الحليم؟

❋ أولًا: أن نحبه الحب كلَّه، ونستحيي منه حق الحياء:

من تأمل عفو الله، ورأى حلمه، ونظر صبره، أحبه الحب كلّه، واستحي منه حق الحياء، فبادر إلى طاعته وترك معاصيه.

قال سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف: ٥٨].

❋ ثانيًا: أن نتحلى ونتخلق به ونكون من أهله:

ولو لم تكن فائدة من التحلي بالحلم إلا أن العبد كلما ازداد حلمًا، ازداد حِلم الله به، لكان في ذلك كفاية، وأيُّ كفاية!!

- **الحلم**: «ضبط النفس عند هيجان الغضب»[٣].

ولهذا قالوا: الحلم لا يظهر إلا ساعة الغضب.

---

(١) صيد الخاطر.

(٢) صيد الخاطر.

(٣) المفردات للراغب.

من يدعي الحلم أغضبه لتعرفه. لا يُعرف الحلم إلا ساعة الغضب

فالمسلم الذي ارتوت نفسه من هدي الإسلام يروض نفسه على الحلم وكظم الغيظ متمثلًا قول الله تعالى – وهو يصف عباده المتقين –:

-﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

قال ابن كثير: «أي لا يُعملون غضبهم في الناس، بل يكُفُّون عنهم شرهم، ويحتسبون ذلك عند الله»(١).

-وقال سبحانه، وهو يصف عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان:].

قال الحسن: «حلماء إذا جُهل عليهم لم يجهلوا»(٢).

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت

إن كلمته فرّجت عنه وإن خليته كمدًا يموت

-**وقال تعالى:** ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

قال ابن عباس: «أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدُّوهم كأنه وليٌّ حميم»(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) تفسير ابن عطية.

(٣) تفسير ابن كثير.

-وقال ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عن الغضب»[(١)].

فالشديد في نظر الإسلام ليس بالرجل ذي العضلات الظاهرة، القادر على صرع الناس، والتغلب عليهم، بل الشديد، هو ذلك الرجل المتزن الذي يتحكم في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته عند الغضب.

-وقال ﷺ: «من كظم غيظًا وهو قادر أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من أي الحور العين شاء»[(٢)].

• الحلم من أبرز صفات الأنبياء والمرسلين:

-قال سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة:].

-ولما سأل إبراهيم ربه الولد قائلًا: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠]، جاء الجواب: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: ١٠١].

-يتجلى حلم الأنبياء في معاملتهم لقومهم وصبرهم على أذاهم، وعفوهم عن إساءتهم، فلقد كُذبوا وأوذوا، فصبروا على ما كُذبوا وأذوا، وقابلوا ذلك كله بالحلم والصفح الجميل.

فها هو نوح عليه السلام يقول له الملأ من قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ فما زاد على قوله: ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ [الأعراف: ٦١].

وهود عليه السلام يقول له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ فما زاد على قوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأعراف: ٦٧].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

-وبلغ نبينا ﷺ الذُّروة والغاية في الحلم والعفو وضبط النفس.

-تصف عائشة رضي الله عنها خُلق رسول الله ﷺ فتقول: «ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح»(١).

-وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه بُردٌ نجرانيٌ غليظ الحاشية [الطرف] فأدركه أعرابيٌ فجبذه بردائه جبذةً شديدة، نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ. وقد أثَّرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد!

مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي ﷺ يتقاضاه، فأغلظ، فهم به أصحابه، فقال ﷺ: «**دعوه، فإن لصاحب الحق مقالًا، ثم قال: أعطوه سِنًا مثل سنّه** [أي بعيرًا سنه مثل البعير الذي له] **قالوا: يا رسول الله لا نجد إلا أمثل من سنه، فقال ﷺ: أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاءً**»(٣).

- **والحلم كذلك من أبرز صفات الصالحين الصادقين:**

-سب رجلٌ ابن عباس رضي الله عنهما، فقال ابن عباس: يا عكرمة – غلامه - هل للرجل حاجة فنقضيها له؟ فنكس الرجل رأسه واستحيي مما رأى من حلمه عليه(٤).

-شتم رجل أبا ذر رضي الله عنه، فقال: يا هذا إنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه(٥).

---

(١) صحيح الترمذي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) إحياء علوم الدين.

(٥) رواه البيهقي في الشعب.

-قال رجل لعمر بن عبد العزيز: أشهد أنك من الفاسقين!!

فقال: لا تقبل شهادتك[١].

-قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك؛ ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله، فإذا أحسنت حمدت الله، وإذا أسأت استغفرت الله[٢].

-وسئل عمرو بن الأهتم: أي الرجال أشجع؟ قال من ردّ جهله بحلمه، قال: فأي الرجال أسخى؟ قال: من بذل دنياه لصالح دينه[٣].

-قال أبو حاتم: «الواجب على العاقل إذا غضب واحتد، أن يذكر كثرة حلم الله عنه، مع تواتر انتهاكه محارمه، وتعديه حرماته، ثم يَحْلُم، ولا يخرجه غيظه إلى الدخول في أسباب المعاصي»[٤].

❋ ثالثا: أن ندعو الله تعالى باسمه «الحليم»:

كما دعا به النبي ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم**»[٥].

وكأن يقول العبد: يا حليم يا غفور يا رحيم، أسألك حلمك ومغفرتك ورحمتك.

---

(١) إحياء علوم الدين.

(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد الكبير.

(٣) إحياء علوم الدين.

(٤) روضة العقلاء لابن حبان.

(٥) رواه البخاري.

(٥٥) الواسع جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وقال عز من قائل: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء: ١٣٠].

معنى الاسم في حق الله:

(الواسع) جل جلاله: هو الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحدٌ ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم»[1].

-فسبحانه، واسع الذات:

قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يَقدر قدره إلا اللهُ تعالى»[2].

وقال ﷺ: «**ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة**»[3].

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي.

(٢) رواه الحاكم وصححه الألباني في مختصر العلو.

(٣) رواه ابن حبان وصححه الألباني في مختصر العلو.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم»(١).

-وسبحانه، واسع الصفات:

-واسع السمع والبصر:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت:** الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادِلة إلى النبي ﷺ وأنا في ناحية البيت، تشكو زوجها، وما أسمع ما تقول، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ »(٢).

أما بصره: فالبصير سبحانه «الذي لكمال بصره يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة وأعضائها ولحمها ودمها ومخها وعروقها، ويرى دبيبها على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى ما تحت الأرضين السبع كما يرى ما فوق السماوات السبع»(٣).

-وسبحانه واسع العلم:

قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: ٩٨].

وقال عز من قائل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

---

(١) رواه ابن خزيمة في التوحيد، والذهبي في العلو، والبيهقي في الأسماء والصفات، وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية.

(٢) رواه البخاري.

(٣) إغاثة اللهفان.

يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون!!

-وسبحانه واسع الملك والخلق والقدرة:

تأمل قوله ﷺ: «...البيت المعمور يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه»(١).

وقوله ﷺ في ليلة القدر: «... وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى»(٢).

وعن عائشة قالت: «من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم؛ ولكن رأى جبريل في صورته، وخَلْقُه سادٌ بين الأفق»(٣).

-وقال ﷺ: «أُذن لي أن أحدِّث عن ملَك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»(٤).

-وسبحانه واسع الغنى والرزق والعطاء والنعم:

كما قال ﷺ: «يد الله ملأى، لا تَغيضها نفقة، سحاءُ الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغِض ما في يمينه»(٥).

يغض: ينقص.

-وسبحانه واسع الرحمة والمغفرة:

وقال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وانظر السلسلة الصحيحة.

(٣) متفق عليه.

(٤) صحيح أبي داود.

(٥) متفق عليه.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

وهذا قطرة من سيل سعة صفاته سبحانه، وإلا فإن:

(الواسع) جل جلاله: «هو الذي لا نهاية لسلطانه وإحسانه وغناه وعطاياه، وحلمه ورحمته، ولا يتصف بهذه الصفة على هذا النحو إلا الله، فرحمة العباد وإحسانهم وغناهم وحلمهم مهما عظمت، فإن لها حدودًا تتناهى، وتتجلّى هذه الصفة في الدار الآخرة في حق المؤمنين في جنات النعيم، حيث يعطيهم عطاءً بغير حساب ويقول لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤].

➢ **كيف نعبد الله باسمه «الواسع»؟**

❋ **أولًا: أن نحبه سبحانه وتعالى الحب الخالص، الأكبر وأن نستحيي منه حق الحياء:**

فإن من وسع ملكه وعلمه، وقدرته، وغناه ونعمه وعطاياه وفضله، ورحمته ومغفرته، فكيف لا يحَبّ الحب كله، وكيف لا يُستحيي منه؟

❋ **ثانيًا: أن نقدره حق قدره ونعظمه حق تعظيمه ونجتهد في معرفته تمام المعرفة:**

وتقديره حق قدره، إنما يكون بتوحيده والانشغال بطاعته، وعدم التفريط في حقوقه.

جاء حبر من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك النبي حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧][1].

---

(١) متفق عليه.

✵ ثالثا: ألا يتملكنا اليأس ولا يتطرق إلى قلوبنا القنوط، مهما ضاقت الأحوال، ومهما اشتدت الكروب والخطوب:

ذلك أن رحمة الله واسعة ومغفرته واسعة، ورزقه واسع، غناه واسع، وجوده واسع، وملكه واسع، وأرضه واسعة، وشريعته واسعة.

فكيف يحزن المؤمن؟ وكيف ييأس؟ وكيف تضيق عليه نفسه أو تضيق عليه الأرض، وربه واسع الصفات والنعوت، عظيم الكمال والجلال؟!

إذا تأمل المؤمن، فقط، قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف ١٥٦]، هدأت نفسه، ولم يحمل هم شيء، فقط يحاول إرضاء الله سبحانه.

✵ رابعًا: أن ننشغل بطاعته لننال واسع فضله:

فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، وإذا نيل بغير طاعة كان وبالًا على صاحبه في الدنيا والآخرة.

فقد قال ﷺ: قال الله تعالى: «**يا ابن آدم تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غنى وأَسُدُّ فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسد فقرك**»(١).

✵ خامسًا: أن يتمنى الإنسان السعة لعمل الخير، وبذل البر، والدعوة إلى الله:

فقد قال ﷺ: «**أُحدثكم حديثًا فاحفظوه: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقه، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٌ رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا، فهو يقول: لو كان لي مالٌ لعملت بعمل فلان، فأجرهما سواء، وعبدٌ رزقه الله مالًا ولم يرزقه علمًا، فهو يتخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقه، فهذا بأخبث**

---

(١) رواه أحمد، وابن ماجه وابن حبان، والترمذي وغيرهم وصححه الألباني.

المنازل، وعبدٌ لم يرزقه الله مالًا ولا علمًا، فهو يقول: لو كان لي مالٌ لعملت بعمل فلان، فوزرهما سواء»[١].

❊ سادسًا: أن يتسع صدرك للمسلمين:

بأن تصبر على أذاهم، وتحسن الظن بهم، فتحمل أقوالهم وأعمالهم على أحسن المحامل، لا سيما من كان منهم ظاهره الصلاح والعلم.

أن يتسع صدرك لمن يُخالفك الرأي، طالما يسوغ الخلاف.

أن يتسع صدرك لقبول الحق، وإن جاءك ممن هم أقل منك علمًا وعملًا وحالًا، ومن ثَمّ العمل به.

أن يتسع صدرك لزوجتك وأولادك ومن حولك.

واجعل قدوتك في ذلك رسول الله ﷺ القائل:

«إنكم لن تسَعوا الناس بأموالكم؛ ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ، عشر سنين، فما قال لي أفٍ قط، وما قال لي لشيءٍ صنعتُه: لم صنعتَه، ولا لشيء تركتُه: لم تركتَه...»[٣].

وفي رواية: «وكان بعض أهله إذا أعتبني على شيء يقول: دعوه دعوه فلو قُضِي شيء لكان»[٤].

---

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو يعلى والبزار وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٣) رواه مسلم.

(٤) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الاحتجاج بالقدر وصححه الألباني.

❋ سابعًا: أن نستشعر سعة شريعته ويُسرها:

وهذا يدعونا إلى الفرح بها، وشكر الله على الهداية إليها، والأخذ بأسباب الثبات عليها، والدعوة إليها، والجهاد في سبيل نشرها.

وهذا المعنى أشار إليه القرطبي في تعريفه لاسم الله «الواسع» حين قال: «الواسع الذي يوسع على عباده في دينهم، ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم»(١).

قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ [الأعراف: ٤٢].

❋ ثامنًا: أن ندعو الله تعالى باسمه «الواسع»:

كما كان النبي ﷺ يدعو للميت ويقول: «....ووسِّع مدخله»(٢).

ودعا النبي ﷺ لقوم دَعوْه إلى طعامهم فقال: «اللهم اغفر لهم وارحمهم وبارك عليهم ووسع عليهم في أرزاقهم»(٣).

ودعا النبي ﷺ وهو يصلي فقال: «اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي»(٤).

---

(١) تفسير القرطبي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٥٦) الحكيم جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦٢] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج:٥٢] وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:١٠] وقال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٣٠].

معنى الاسم في حق الله:

(الحكيم) جل جلاله: «**هو الذي لا يدخل في تدبيره خلل، ولا زلل**»(١).

أوْجَد الخلْقَ بأحسن نظام، ورتّبه بأكمل إتقان، لا تفاوُتَ فيه ولا نقصان، قال – عز من قائل –: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [المُلك:٣]وقال سبحانه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ [النمل:٨٨].

(الحكيم) جل جلاله: الذي له الحكمة البالغة في خلْقه وأمْره وشرْعه؛ فلا يخلق ولا يأمر إلا بما فيه المصلحةُ والحكمة، علمها من علِمَها، وجَهِلَها مَن جهِلَها، حكيم – سبحانه – في أقواله، حكيم في أفعاله، حكيم في أحكامه؛ فلا يقول ولا يفعل إلا الحق والعدل والصواب.

(الحكيم) جل جلاله: الذي إذا أمَر بأمْر كان المأمور به حسَنا في نفسه، وإذا نَهى عن شيء كان المنْهِيُّ عنه قبيحا في نفسه، وإذا أخبر بخبر كان صِدْقا، وإذا فعَل فعْلا كان صوابا(٢).

(الحكيم) جل جلاله: هو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها،

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) التفسير القيّم لابن القيم.

في خلْقه وأمره؛ فلا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقالٌ[١].

(**الحكيم**) ﷻ: هو الذي يُحسن التدبير والتقدير والتوقيت، ولا يُحسن ذلك غيرُه؛ فإذا أعطى فلِحِكْمَةٍ، وإذا منع فلِحكْمَةٍ، وإذا أفقر قومًا فإنما أفقرهم لحكمةٍ، وإذا أغنى آخرين فإنما أغناهم لحكمة، يُمرض من يُمرضه لحكمة، ويشفي من يشفيه لحكمة،

لا يخلق شيئا عبَثا، ولا يشرع شيئًا سُدى، ولا يترك عباده هملًا.

فحكْمَتُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نوعان:

الأول: حكْمَتُه – سبحانه – في خلْقه وصنعه:

فسبحانه خلَق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتّبها أكمل ترتيب، وأعطى كلَّ مخلوق خلْقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكلَّ عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته؛ فلا يَرى أحدٌ في خلْقه خللًا ولا نقصًا ولا فطورًا؛ فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخِرهم ليقترحوا مثل خلْق الرحمن أو ما يقارب ما أوْدعه في الكائنات من الحسن والانتظام والإتقان؛ لم يقدروا، وأنى لهم القدرةُ على شيء من ذلك[٢].

وَمن نظر في هذا العالم وتأمل أمْرَه حقَّ التأمل؛ علِم قطعا أنَّ خالقه أتقنَه وأحْكَمَه غاية الإتقان والإحكام؛ فإذا تأمَّله وجَدَه كالبيت المبنيّ المعَدِّ، فيه جميع عتاده؛ فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض مبسوطة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والمنافع مخزونة كالذخائر، والإنسان كالمالك المخوَّل فيه، وضروب النبات مهيَّأةٌ لمآربِه، وصنوف الحيوان مصرَّفة في مصالحه؛ فمنها ما هو للدّرّ والنسل

(١) الحق الواضح المبين، للسعدي.

(٢) الحق الواضح المبين، للسعدي.

والغذاء فقط، ومنها ما هو للركوب والحمولة فقط، ومنها ما هو للجمال والزينة، ومنها ما يجمع ذلك كلَّه كالإبل، وفي الطير واختلاف أنواعها وأشكالها وألوانها ومقاديرها ومنافعها وأصواتها، صافَّات وقابضات وغادياتٍ ورائحات ومقيمات وظاعنات أعظم عبرة، وأبْين دلالة على حكمة الخلاق العليم(١).

الثاني: الحكمة في شرْعه وأمْره:

فإنه تعالى شرَع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسلَ؛ ليعرفه العباد ويعبدوه؛ فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيُّ فضل وكرَمٍ أعظم من هذا؟ فإن معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له وإخلاص العمل له وحده، وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق.

ومن حكْمة الشرع الإسلامي: أنه كما هو الغاية لصلاح القلوب والأخلاق والأعمال والاستقامة على الصراط المستقيم؛ فهو الغاية لصلاح الدنيا؛ فلا تصْلُح أمور الدنيا صلاحًا حقيقيًا إلا بالدين الحق الذي جاء به محمد ﷺ.

وهذا مشاهَد محسوس لكل عاقل؛ فإن أمة محمد ﷺ لما كانوا قائمين بهذا الدين أصوله وفروعه وجميع ما يهدي ويرشد إليه؛ كانت أحوالهم في غاية الاستقامة والصلاح، ولما انحرفوا عنه، وتركوا كثيرا من هداه، ولم يسترشدوا بتعاليمه العالية؛ انحرَفَتْ دنياهم كما انحرف دينُهم(٢).

من مظاهر حكمته جل جلاله:

١- حكمته تعالى في شرعه وأمره:

فكما سبق ذِكْرُه أن الله تعالى إنما شرَع الشرائع، وأنزل الكتب وأرسل للرسل؛

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم بتصرف.

(٢) الحق الواضح المبين.

لصلاح الدنيا والدين؛ فالدنيا التي خلقها الله لنا، وجعل أمرها بيده لا تصلح إلا بالاستقامة والصلاح، وكذلك القلوب والأخلاق والأعمال لا تصلح إلا بالاستقامة على الصراط المستقيم.

واعلم أن ما لا نعرفه من الحِكَم أضعاف أضعاف ما نعرفه، وإليك بعضَ الأمثلة:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت:٤٥].

وقال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

وفي الحديث: «مَن لم يدَعْ قول الزور والعمَل به؛ فليس لله حاجةٌ في أن يدَع طعامه وشرابه»(١).

وقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

وفي الحديث: «من حج فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩].

---

(١) رواه البخاري مرفوعا.

(٢) رواه مسلم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢].

وعموما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥].

٢-حكمته تعالى في تشريع الحدود وإقامتها:

قال ﷺ: «حدٌّ يقام في الأرض خير من مطر أربعين صباحا»(١).

وقد تغيب حكمةُ الحكيم في تشريع الحدود وإقامتها عن بعض أصحاب العقول، لكنها لا تغيب عن أهل الإيمان.

قال ابن القيم: «وَأَمَّا قَطْعُ الْيَدِ فِي رُبُعِ دِينَارٍ وَجَعْلُ دِيَتِهَا خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ فَمِنْ أَعْظَمِ الْمَصَالِحِ وَالْحِكْمَةِ؛ فَإِنَّهُ احْتَاطَ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِلْأَمْوَالِ وَالْأَطْرَافِ، فَقَطَعَهَا فِي رُبُعِ دِينَارٍ حِفْظًا لِلْأَمْوَالِ، وَجَعَلَ دِيَتَهَا خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ حِفْظًا لَهَا وَصِيَانَةً»(٢).

وقد تساءل أبو العلاء المعري عن حكمة قطع اليد في سرقة ربع دينار فقال:

يَدٌ بخمس مئين عسجدٍ وُدِيَتْ ... ما بالها قُطعَتْ في ربع دينار

فأجابه القاضي عبد الوهاب المالكي:

عِزّ الأمانة أغلاها وأرخَصَها ... ذُلُّ الخيانة فافهم حِكْمة الباري

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، وحسّنه الألباني.

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم.

٣-حمكته تعالى في بسط الرزق لأقوام وقبْضه عن آخرين:[١].

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ - أي: لبعضهم - لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧] فالله تعالى يوسع لبعض عباده امتحانًا، هل سيشكرون أم سيكفرون؟ ويُضيّق على آخرين امتحانًا، هل سيصبرون، أم سيسخطون؟

فالغِني لا يدلّ على رضا الله عن العبد أو حبِّه له، والفقر كذلك لا يدل على سخطٍ أو بغض.

٤-حكمته تعالى في تأخير إجابة الدعاء:[٢].

أحيانا يكون في الإجابة الضَّرَرُ البالغ بالعبد؛ فالأمر كما قال الله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦] ولذلك رُوي عن بعض السلف أنه كان يسأل الله الغزْوَ، فهتف به هاتف: إنك إن غَزَوْتَ أُسِرْتَ وإن أُسِرْتَ تنصَّرتَ[٣].

وهذا المعنى كفيل بأن يفرغ القلب من عناء التدبير.

قال سفيان الثوري: «منْعُه عطاء، وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدَم، وإنما نَظَر في خير العبد، ومنَعه اختيارًا وحسن نظر»[٤].

وأحيانا يُستجاب الدعاء وأنت لا تشعر، وفي ذلك يقول ﷺ: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحِم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجَّل له دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها،**

---

(١) راجع بسط هذه المسألة في اسمي «القابض» و «الباسط»

(٢) راجع بسط هذه المسألة في اسم الله «المجيب»

(٣) صيد الخاطر، لابن الجوزي.

(٤) مدارج السالكين، لابن القيم.

قالوا: إذا نُكثر، قال: الله أكثر»[١].

وأحيانا نسُدُّ طريق الإجابة بالمعاصي.

نحـن نـدعوا الإلـه في كـل كـرب ثـم ننسـاه عنـد كشـف الكـروب
كيـــف نرجـــو إجابـــةً لدعـــــاءٍ قـــد ســددنا طريقهـا بالذنـــوب!

٥- حكْمتُه تعالى في ابتلاء المؤمنين:

الله ﷻ حين يبتلي عباده المؤمنين إنما يبتليهم ليرفع درجاتهم في الجنة؛ فذلك خير لهم، أو ليكفر عنهم سيئاتهم، وذلك كذلك خير لهم.

أما الأول؛ ففيه يقول ﷺ: «**إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله؛ فما يبلغها بعمل؛ فلا يزال يبتليه بما يكره حتى يبلِّغه إياها**»[٢].

وأما الثاني؛ ففيه يقول ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخيرَ؛ عجَّل له العقوبةَ في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرَّ؛ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة**»[٣].

وعموما يقول ﷺ: «**إن الله إذا أحبَّ قوما ابتلاهم؛ فمن صبَر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع**»[٤].

وعن مصعب بن سعد عن أبيه أنه قال: «يا رسول الله، مَن أشدُّ الناس بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه؛ فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[٥].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، وصحّحه الألباني.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه الترمذي والحاكم وغيرهما، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه أحمد في المسند، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه، وصحَّحه الألباني.

وفي رواية له: «فمن ثخُن دينه – أي: قَوِيَ – اشتدَّ بلاؤُه، ومَن ضعُف دينه؛ ضعُف بلاؤه...».

وفي رواية البخاري: «فإن كان في دينه صلبًا؛ اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقَّةٌ؛ ابتُلي على قدر دينه...».

قال ابن القيم – عليه رحمة الله –: «إذا تأمّلْتَ حكمتَه – سبحانه – فيما يبتلي به عباده وصفوته؛ وجدتَ أنه ساقهم به إلى أجلّ الغايات، وأكْمَل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وَكَانَ ذَلِك الجسر لكماله كالجسر الَّذِي لَا سَبِيل إلى عبورهم إلى الْجنَّة إِلَّا عَلَيْهِ، وَكَانَ ذَلِك الِابْتِلَاء والامتحان عيْن الْمنْهَج فِي حَقهم والكرامة، فصورته صُورَة ابتلاء وامتحان وباطنه فِيهِ الرَّحْمَة وَالنعْمَة؛ فكم لله من نعْمَة جسيمة وَمِنْه عَظِيمَة تُجنى من قطوف الِابْتِلَاء والامتحان»(١).

فالمؤمن إذا نظر إلى الابتلاء بهذا المعنى؛ هان عليه، ونال الأجر.

حَبس عبدُ الله بن طَاهِر، مُحَمَّدَ بن أسلم الطوسي، فَكتب إِلَيْهِ بعض إخوانه يعزيه؛ فَأَجَابَهُ: «كتبتَ إِلَيّ تُعزيني، وَإِنَّمَا كَانَ يجب أَن تهنيني، أُريت الْعَجَائِب، وَعُرضت عَليّ المصائب، إِنِّي رَأَيْت الله تَعَالَى يتحبب إِلَى من يُؤْذِيه، فَكيف من يُؤْذى فِيهِ، إِنِّي نزلت بَيْتا سَقَطت فِيهِ عني فروض وَحُقُوق، مِنْهَا الْجُمُعَة، وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْي عَن الْمُنكر، وعيادة الْمَرِيض، وَقَضَاء حُقُوق الإخوان، وَمَا نزلت بَيْتا خيرًا لي فِي ديني مِنْهُ؛ فَأُخْبر بذلك ابْن طَاهِر، فَقَالَ: نَحن فِي حَاجَة إِلَى ابْن أسلم، أَطْلقُوهُ فأُفرج عَنه»(٢).

---

(١) مفتاح دار السعادة.

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي.

٦- حكْمتُه تعالى في فساد الحكَّام أو صلاحهم:

قال ابن القيم: «وَتَأمل حكمته تَعَالَى فِي أن جعل مُلُوك الْعباد وأمراءهم وولاتهم من جنس أعمالهم، بل كَأَن أَعْمَالهم ظَهرت فِي صور ولاتهم وملوكهم؛ فَإِن استقاموا استقامت مُلُوكهمْ وَإِن عدلوا عدلتْ عَلَيْهِم، وَإِن جاروا جارت مُلُوكهمْ وولاتهم، وَإِن ظهر فيهم الْمَكْر والخديعة؛ فوُلاتهم كَذَلِك، وَإِن مَنعُوا حُقُوق الله لديهم وبخلوا بهَا؛ منَعَتْ مُلُوكهمْ وولاتهم مَا لَهُم عِنْدهم من الْحق... وَلما كَانَ الصَّدْرُ الأول خِيَارَ الْقُرُون وأبرّها؛ كَانَت ولاتُهم كَذَلِك؛ فَلَمَّا شابوا شابتْ لَهُم الْوُلَاة؛ فَحكمةُ الله تأبى أن يُوَلَّي علينا فِي مثل هَذِه الأزمان مثلُ مُعَاوِيَة وَعمرَ بن عبد العزيز، فضلا عَن مثل أبي بكر وَعمر، بل ولاتنا على قَدْرنَا، وولاة من قبلنَا على قدرهم»[1].

٧-حكمتُه تعالى في الحفظ والنسيان:

قال رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّهُ لَوْلَا الْقُوَّة الحافظة الَّتِي خُصَّ بهَا؛ لدخل عَلَيْهِ الْخلَل فِي أُمُوره كلهَا، وَلم يعرف مَاله وَمَا عَلَيْهِ، وَلَا مَا أخذ وَلَا مَا أعطى، وَلَا مَا سمع وَرَأى، وَلَا مَا قَالَ وَلَا مَا قيل عنه، وَلَا ذكر من أحسن إليه، وَلَا من أساء إليه، وَلَا من عَامله، وَلَا من نَفعه فَيُقَرَّب مِنْهُ، وَلَا من ضرَّه فينأى عَنهُ... وَمن أعْجَبْ النعم عَلَيْهِ نعْمَة النسْيَان؛ فلولاها لما سلا شَيْئًا، وَلَا انْقَضتْ لَهُ حسرة، وَلَا تعزى عَن مُصِيبَة، وَلَا مَاتَ لَهُ حزن، وَلَا بَطل لَهُ حقد، وَلَا تمتّع بِشَيْء من مَتَاع الدُّنْيَا مَعَ تذكُّر الآفات... فَتَأمل نعْمَة الله فِي الْحِفْظ وَالنِّسْيَان مَعَ اخْتِلَافهمَا وتضادِّهما...»[2].

٨- حكْمته تعالى في خلْق المشركين والمعاندين:

ومن حكمته – سبحانه – أن يُظهر لعباده حلْمَه وصبْره، وأناته وسَعَةَ رحمَتِه

(١) مفتاح دار السعادة.

(٢) مفتاح دار السعادة.

وجوده فاقتضى ذلك خلق من يشرك به، ويضاده في حكمه، ويجتهد في مخالفته، ويسعى في سخطه وهو مع ذلك يسوق إليه الطيبات، ويرزقه ويعافيه، ويعامله من برّه وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كُفْره وشِرْكه، كما في الصحيح عنه ﷺ: «ليس أحدٌ أصبرَ على أذى سمِعَه من الله تعالى؛ إنهم ليدعون له ولدًا، ويجعلون له أندادًا، وهو مع ذلك يعافيهم ويرزقهم»(١).

٩- حكمته تعالى في إجراء سنة الجزاء من جنس العمل:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولذلك كان الجزاء مماثلًا للعمل من جنسه في الخير والشر؛ فمن ستر مسلمًا ستره الله.. ومن يَسَّر على معسر يَسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة.. ومَن نَفَّس عن مؤمن كُربة من كُرَب الدنيا؛ نَفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.. ومن أقال نادمًا أقال الله عَثْرَته يوم القيامة.. ومن تَتَبَّعَ عَوْرة أخيه؛ تتبَّع الله عورته.. ومن ضارَّ مسلماَ ضارَّ الله به.. ومن شاق شاق الله عليه.. ومن خَذَل مسلمًا في موضع يحبّ نُصْرَته فيه؛ خَذَله الله في موضع يحب نصرته فيه.. ومن سمَّع سمَّع الله به.. والراحمون يرحمهم الرحمن.. وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.. ومن أنفق أُنفق عليه.. ومن أوْعَى أُوعي عليه.. ومن عفا عن حقه عفا الله له عن حقه.. ومن تجاوز تجاوز الله عنه.. ومن استقصى استقصى الله عليه.. فهذا شرْعُ الله وقدَره، ووحْيُه وثوابه وعقابه، كله قائمٌ بهذا الأصل، وهو إلحاق النظير بالنظير، واعتبار المثل بالمثل...»(٢).

➢ كيف نعبد الله باسمه الحكيم؟

❋ أولًا: أن نستسلم لأوامره الشرعية وأحكامه الدينية وأن نذعن لها:

فلا نُقَدِّم على شرْعه – سبحانه – قولًا ولا عقلًا ولا حكمًا ولا رأيًا؛ لأن أقوال

---

(١) متفق عليه.

(٢) إعلام الموقعين.

الحكيم – سبحانه – وأفعاله وأوامره ونواهيه كلها خير وعدل وحكمة، وإن جَهِل العبد ذلك، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ - ذلك لأن حكمه وأحكامه جل وعلا إنما صدرتْ عن حكيم عليم - ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦].

«وهذا الإذعان لأحكام الله تعالى الشرعية واجب وفرض متعين على الفرد والمجتمع والدولة، وذلك بأن يكون الحكم والتحاكم إلى شرع الله وحده، ورفْض ما سواه؛ فمن لم ير الكفاية في شرع الله تعالى فأعرض عنه أو بدَّله بغيره ولو في بعضه؛ فإن هذا العمل مناقض للإيمان باسمه (الحكيم) فضلًا عن أنه شِرْك في الطاعة والاتباع، بل شرْك في توحيد الربوبية، والذي من خصائصها السيادة، والحكم، والتشريع، وكلها حق لله تعالى لا يجوز صرْفُها لغيره سبحانه»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع؛ ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدَّقتْ نبيها وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه وبلّغها عن ربها، ولو فعلتْ ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلَّمتْ وأذعنت، وما عرفتْ من الحكمة عرفتْه، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وإيمانها واستسلامها على معرفته، ولا جعلتْ طلبه من شأنها، وكان رسولها أعظم في صدورها من سؤالها عن ذلك، كما في الإنجيل: يا بني إسرائيل لا تقولوا لم أمر ربنا، ولكن قولوا: بم أمر ربنا؛ ولهذا كانت هذه الأمة التي

---

(١) ولله الأسماء الحسنى، لعبد العزيز ناصر الجليل.

هي أكمل الأمم عقولًا ومعارف وعلومًا لا تسأل نبيها لم أمر الله بذلك؟ ولم نهى عن كذا؟ ولم قدّر كذا؟ ولم فعل كذا؟ لِعِلْمِهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام، وأن قَدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم...»(١).

❁ ثانيًا: أن نرضى بقضائه وقدره:

لأن جميع ما يقضيه الله تعالى ويقدّره لعبده هو خير له، إما في الحال، وإما في المآل، ولو ظهر للعبد خلافُ ذلك؛ فقد قال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له...»(٢).

فالإيمان بعلم الله ﷻ وكتابته لجميع المقادير قبل قوعها، ثم الإيمان بأنه سبحانه الحكيم فيما يفعل ويقضي ويقدّر، كل هذا يبثّ الروح والطمأنينة ويسكبها في قلب المؤمن المخبت لربه، المطمئن بقضائه وقَدَره، الموقن بأن كل ما كتب الله عليه من مصائب وغيرها فهي خير له، إما عاجلا، أو آجلا، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وكما قال ﷺ: **«عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، كَانَ ذَلِكَ لَهُ خَيْرًا، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ، كَانَ ذَلِكَ لَهُ خَيْرًا»**(٣).

فهذا نبي الله يعقوب – عليه الصلاة والسلام – عندما جاءه الخبر بحَجْز ابنه الثاني عند عزيز مصر – وقد سبق ذلك فقْدُه ليوسف عليه السلام – توجَّه بدعائه ورجائه لله ﷻ قال تعالى يحكي حاله: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف:٨٣].

(١) الصواعق المرسلة.
(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، بتخريج الشيخ الألباني رحمه الله.
(٣) رواه أحمد في المسند.

وكذلك الحال ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما جمعه الله بأبويه؛ حيث قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠].

ومن خلال التأمل للآيتين السابقتين نلاحظ أن يعقوب وابنه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قد ختما تضرُّعهما لله بعد المصائب التي حلَّتْ بهما بهذين الاسمين العظيمين: (العليم الحكيم) جَلَّ جَلَالُهُ[(١)].

✵ ثالثًا: أن نسأل الحكمةَ، الحكيمَ جَلَّ جَلَالُهُ:

لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مالكها ومعطيها لمن يشاء من عباده، مع بذْل الأسباب في تحصيلها بالعلم النافع، والعمل الصالح؛ فالحكمة التي هي وضع الشيء في موضعه، والإصابة الغالبة، في الأقوال والأفعال أفضل العطايا، وأجلُّ الهبات.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرٗا كَثِيرٗا﴾ [البقرة:٢٦٩].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا حسَد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالًا؛ فسلّطه على هلَكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة؛ فهو يقضي بها ويعلّمها**»[(٢)].

والحكمة هي العلم الذي يمنع من الجهل، ويزجر عن القبيح»[(٣)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** ضمَّني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى صدْره وقال: «اللهم علِّمْه الحكمة»[(٤)].

---

(١) ولله الأسماء الحسنى، لعبد العزيز الجليل.

(٢) رواه البخاري.

(٣) تعليقات مصطفى البغا على البخاري.

(٤) رواه البخاري.

رابعًا: أن نحاول جاهدين تطبيق الحكمة، واقعًا عمليًا في حياتنا:

فيتعامل الزوج بحكمة مع زوجته، والوالد بحكمة مع أولاده، والكبير يتعامل بحكمة مع الصغير، والمربي مع تلاميذه، وهكذا.

❃ خامسًا: أن ندعو الله تعالى باسمه «الحكيم»:

كأن يقول العبد:

أسألك اللهم باسمك «الحكيم» أن ترزقني الحكمة، وتجعلني من أهلها.

(٥٧) التواب جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة:٣٧].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾ [التوبة:١٠٤].

وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر:٣].

معنى الاسم في حق الله:

(التواب) جل جلاله:

هو الذي يقبل التوبة عن عباده، فما من عبدٍ عصاه وبلغ عصيانه مداه، ثم رغب في التوبة إلا فتح له أبواب رحمته وفرح بعودته ما لم ينم العبد على فراش الموت، أو تطلع الشمس من مغربها.

فعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(٢).

من الذي تاب إليه فما قبله؟

من الذي دعاه فما لباه؟

من الذي استغفره فما غفر له؟

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني.

من الذي وقف ببابه فطرده؟

فلو أن إنسانًا اتبع هواه أو استجاب لشيطانه وتمادى في جرمه وعصيانه فقتل مائة نفس وارتكب كل إثم وأراد التوبة تاب عليه، وبدّل له سيئاته حسنات.

قال تعالى واصفًا عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

وجاء أبو طويل شطَب الممدود إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: أرأيت من عَمِل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئًا وهو في ذلك لم يترك حاجةً ولا داجة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ فقال ﷺ: «**فهل أسلمت**»؟

قال: أما أنا فأشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله.

قال: «**تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كُلَّهن**».

قال: وغدراتي وفجراتي؟

قال: «**نعم، فما زال الرجل يكبِّر حتى توارى**»[1].

(التواب) جل جلاله:

إذا أراد العبد أن يتوب وفّقه للتوبة قبْلها، وقَبِلَها منه وأثابه عليها بعدها، فتوبة العبد محفوفة بتوبتين من الله.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟[2] حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) أي تخلفوا عن غزوة تبوك.

وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ [التوبة ١١٨](١).

فهو التائب على التائبين أولًا بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التائب على التائبين بعد توبتهم قبولًا لها وعفوًا عن خطاياهم(٢).

(التواب) جل جلاله:

هو الذي يتوب على عبده ويقبل توبته، كلما تكررت التوبة تكرر القبول(٣).

(التواب) جل جلاله:

هو الذي يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه وقد صور النبي ﷺ هذا المعنى أحسن تصوير حين قال: «**لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيِس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيِس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**»(٤).

وسبب هذا الفرح الإلهي: هو أن الله تعالى إنما خلق الخلق ليعبدوه ويطيعوه وهذا أحب الأشياء إلى الله، فإذا خرج العبد عن الطاعة فقد خرج عن أحب الأشياء إلى الله، فإذا رجع العبد إلى الطاعة فقد رجع إلى أحب الأشياء إلى الله فتزداد إذن محبة الله له وفرحه به.

وقد ذكر ابن القيم – عليه رحمة الله – حكاية مُعبِّرة عن هذا المعنى العظيم فقال:

---

(١) مدارج السالكين.

(٢) تفسير السعدي.

(٣) شأن الدعاء: الخطابي.

(٤) رواه مسلم.

«ذكر بعض العارفين أنه رأى في بعض السكك بابًا قد فُتح وخرج منه صبيٌ يستغيث ويبكي وأمه خلفه تضربه وتطرده حتى خرج، فأغلقت الباب في وجهه ودخلت، فذهب الصبي غير بعيد ثم وقف مفكرًا فلم يجد له مأوى غيرَ البيت الذي أُخرج منه ولا من يئويه غيرَ أمه فرجع مكسور القلب حزينًا فوجد الباب مغلقًا فوضع خده على عتبة الباب ونام.

فخرجت أمه فلما رأته في تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه والتزمته تقبله وتبكي وتقول: يا ولدي أين تذهب عني؟ من يئويك سواي؟ ألم أقل لك لا تخالفني ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلتُ عليه من الرحمة بك والشفقة عليك وإرادتي الخير لك؟ ثم أخذته ودخلت....

فتأمل قول الأم: «لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة والشفقة.. «وتأمل قوله ﷺ: «**لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها**»(١).

(التواب) ﷻ:

هو الذي يحب أن يتوب عباده ويريد من عباده أن يتوبوا.قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ٢٧﴾ [النساء: ٢٧].

فإذا أردت أن تعرف الفرق بين ما يريده الله منك، وبين ما تريده منك صحبة السوء والقنوات الفضائية الهدامة والمقاطع الفاضحة والإعلام الماكر، فالجواب في هذه الآية.

---

(١) مدارج السالكين.

(التواب) جل جلاله:

هو الذي يغفر ذنوب التائبين مهما عظمت وكثرت.

قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

(التواب) جل جلاله:

هو الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر ويقول: «هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائلٍ فأعطيه حتى يطلع الفجر»[1].

(التواب) جل جلاله:

جاء بصيغة المبالغة هكذا (التواب) وليس من أسماء الله (التائب) لأن المعاصي تأتي من الخلق متكرِّرة ومبالغًا فيها فكان ذلك مناسبًا ليقابل الخطايا الكبيرة والذنوب العظيمة بالتوبة الواسعة.

اقتران اسم الله (التواب) باسمي (الرحيم)، (الحكيم):

فأحيانًا يأتي اسم الله (التواب) مقترنًا باسم الله (الرحيم) كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [التوبة ١٠٤].

وفي هذا إشارة إلى أن توبة الله على عباده، رحمةً منه بهم، وأن رحمته هذه تقتضي ألا يعاقبهم بعد التوبة..

وأحيانًا يقترن اسم الله (التواب) باسم الله (الحكيم) كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [النور: ١٠].

---

(١) رواه مسلم.

قال البغوي في تفسير الآية: «جواب لولا محذوف، يعني لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم...»[(١)].

وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى لا يعاجل أهل المعاصي بالعقوبة، بل يعطيهم الفرصة للتوبة والرجوع وهذا من حكمته، وأنه تعالى لا يفضحهم ابتداءً ليكون ذلك عونًا لهم على توبتهم وهذا كذلك من حكمته سبحانه.

➢ كيف نعبد الله تعالى باسمه «التواب»؟

❋ أولًا: أن نبادر بالتوبة له والإنابة إليه:

حاجة الخلق إلى التوبة:

لأن التوبة ليست عبادةً يتعبد بها العبد يومًا أو شهرًا ثم ينساها، بل التوبة موجودة لا تفارقه، لأن التوبة ليست خاصة بالعصاة والمذنبين وإنما هي علامة على طريق الأنبياء والموحدين.

قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١١٧].

وقال ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة**»[(٢)].

فإذا كان المعصوم ﷺ يتوب في اليوم مائة مرة!!

فكم نحتاج نحن إلى توبات وتوبات ونحن أصحاب الغفلات والغدرات؟!

وقال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١].

---

(١) معالم التنزيل: البغوي.

(٢) رواه مسلم.

قال ابن القيم – عليه رحمة الله –:

«هذه الآية مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم ثم علق الفلاح بالتوبة، وأتى بكلمة «لعل» إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنت على رجاء الفلاح فلا يرجوا الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم..»(١).

المبادرة بالتوبة ضرورة مُلِحّة:

لأن الموت يأتي بغتة، فهل الموت سيفجؤك وأنت تائب منيب أم سيفجؤك وأنت ظالم مُريب؟

لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات:١١].

قال ابن القيم– عليه رحمة الله –: «المبادرة إلى التوبة من الذنب واجب على الفور ولا يجوز تأخيرها فمتى أخرّها عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى وهي توبته من تأخير التوبة، وقَلَّ هذه أن تخطر ببال التائب بل عنده أنه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شيءٌ آخر، وقد بقِي عليه التوبة من تأخير التوبة...»(٢).

فأخطرشيءٍ يواجه العصاة أن يؤخروا التوبة، فيقول أحدهم: سوف أتوب، سوف أرجع، سوف أفعل، ويفجؤه الموت كما فاجأ الكثير دون أن يتوب ويرجع أو يفعل،

ولهذا قيل: «سوف» من جنود إبليس، وقيل: أكثر أهل النار المسوِّفون، فالمبادرة بالتوبة تعين العبد على اقتلاع الذنب قبل أن يستفحل ويرسخ في أرض القلب أصله وتُنشر في الأعمال فروعه ويزداد كل يوم تشبثًا بالجذور وتشعبًا في الفروع.

---

(١) مدارج السالكين.

(٢) مدارج السالكين.

ومثل المسوّف كمثل رجل أراد قلع شجرة فرآها لا تقلع إلا بمشقة فقال: أؤخرها سنة – وهذا من حماقته – لأمرين:

الأول: أن الشجرة كلما بقيت ازدادت رسوخًا.

الثاني: أنه كلما طال عمره ازداد ضعفه.

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا ... واعص الهوى فالهوى ما زال فتانا
أما ترين المنايا كيف تلقطنا لقطًا ... وتلحق أخرانا بأولانا
في كل يوم لنا ميتٌ نشيّعه ... نرى بمصرعه آثار موتانا
فما بالنا نتعامى عن مصائرنا ... ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا

باب التوبة مفتوح على مصراعيه:

فإن الله تعالى بكرمه الفيّاض ورحمته الواسعة فتح باب التوبة على مصراعيه للتائبين ونادى بفضله وجوده على المذنبين.

قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

وعن صفوان بن عسّال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: فما زال النبي ﷺ يحدثنا حتى ذكر بابًا من المغرب مسيرة عرضه أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عامًا، قال سفيان – أحد الرواة – قِبل الشام خلقه الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض مفتوحًا للتوبة لا يُغلق حتى تطلع الشمس منه»(٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قالت قريش للنبي ﷺ: «**ادع لنا ربك يجعل لنا**

(١) جزء من أبيات منسوبة لسفيان الثوري.

(٢) رواه الطبراني في الكبير والترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

الصفا ذهبًا فإن أصبح ذهبًا اتبعناك، فدعا ربه فأتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: «إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: «إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا فمن كفر منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة فقال ﷺ: **«بل باب التوبة والرحمة»**(١).

حقيقة التوبة وشروطها:

والتوبة حتى يقبلها الله يجب أن تكون توبة صادقة نصوحًا، والرجوع حتى ينفع صاحبه يجب أن يكون رجوعًا صحيحًا، والإقبال حتى يُقبِل الله به عليك يجب أن يكون إقبالًا يليق به سبحانه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [التحريم: ٨].

والتوبة النصوح: كما قال الحسن البصري: إنها ندم بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح وإضمار ألا يعود(٢).

فالتوبة هي: الرجوع عما يكرهه الله تعالى ظاهرًا وباطنًا إلى ما يحبه الله تعالى ظاهرًا وباطنًا، هي الينبوع الفيّاض لكل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، هي أول طريق الفلاح، هي شعور بالندم على ما وقع وكفٌّ عن الذنب وتوجهٌ إلى الله تعالى.

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني.

شروط التوبة النصوح:

واعلم أن التوبة النصوح الصادقة لا بد لها من شروط:

(١) الإخلاص:

فيكون الباعث على توبتك هو حبك لله تعالى وتعظيمك له ورجاؤك في ثوابه وخوفك من عقابه لا تقربًا إلى مخلوق ولا قصدًا في عرض من أعراض الدنيا.

(٢) الإقلاع عن المعصية:

فلا تُتصور صحة التوبة مع الإقامة على المعاصي، فما أكذب عبد يقول: يا رب تب عليّ وهو لا يزال يأكل الربا ويسمع الغنا ويشرب الخمر وما أقبح شاب يهتف: يا رب غفرانك وهو لا يزال مقيمًا على علاقة محرمة مع فتاة فلا يكون المرء تائبًا إلا بعد أن يتخلص من معصيته ومن كل ما يمت بها بصلة.

ومن الإقلاع عن المعصية: الإقلاع عن أماكن المعصية وأهل المعصية وأسباب المعصية بشكل عام.

إن الذي يريد النجاة لا يسكن أرضًا موبوءة، فإن ميكروب المرض لابد أن يصيبه، فكيف لتائب من الزنا أن تحسن توبته وهو لا يترك الذهاب إلى المراقص والمسارح؟

وكيف لتائب من مصافحة النساء وهو لا يترك أماكن الاختلاط؟

وكيف لتائب من التدخين وهو يجلس وسط المدخنين فلا هو ينهاهم ولا هو يفارق مجلسهم؟

وهذا ما وصّى به العالم الرباني الرجل التائب: «إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ قال: نعم ومن يحول بينك وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بهم

أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع أرضك فإنها أرض سوء...»[١].

فالصاحب ساحب، فاصحب من يسحبك إلى الخير تنل الخير وتصح توبتك،

واحذر أخي:

من مقدمات الذنب فكل ما أدى إلى حرام فهو حرام ولو كان في الأصل حلالًا، فالسهر مثلًا حلال لكن إذا أدى إلى ترك صلاة الفجر فهو حرام، فمن تمام الإقلاع عن المعصية الإقلاع عن مقدمات المعصية.

(٣) الندم:

فـ«الندم توبة» كما جاء ذلك عن النبي ﷺ[٢].

وأي إنسان أحق بالندم ممن عصى الله ﷻ؟ أفلا يندم العبد على تفريطه في حق ربه؟ أفلا يندم العبد على تضييعه لوقته ورأس ماله، لا في المباح بل فيما يحرق شمعة حياته ويعرضه لسوء الخاتمة؟

فلا تتصور توبة بغير ندم، فقم يا صاحبي واهتف في جوف الليل وناد بالأسحار وقل:

يا رب إن ذنوبي اليوم قد كثرت ... ولا أطيق لها حصرًا ولا عددًا
وليس لي بعذاب النار من قِبَل ... ولا أطيق لها صبرًا ولا جلدًا

(٤) العزم:

اعزم ألا ترجع إلى الذنب ولا تعود إليه، وكن رجلًا، فإذا وعدت فأوف وإذا نويت فاصدق وإذا عزمت فتوكل على الله.

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) أخرجه أحمد وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وإذا عُدت إلى الذنب بعد التوبة فسارع إلى توبة جديدة، حتى لو طال ذلك، ففي الحديث: «**ما من عبد إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا إن المؤمن خلق مفتنًا توّابًا نسِيًّا إذا ذُكر ذَكر**»(١).

(٥) رد المظالم إلى أهلها:

إذا كانت المعصية تتعلق بحقوق الآدميين وجب عليك أن ترد الحقوق إلى أهلها ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضٍ أو شيءٍ فليتحلله اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته وإلم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**»(٢).

(٦) أن تكون التوبة في زمن قبولها:

وهو ما قبل حضور الأجل وطلوع الشمس من مغربها، وذلك يدعونا إلى الاستعداد وأخذ الأُهبة، فالموت لا يستأذن على أحد والآجال محدودة والأعمار معدودة والأيام دول.

فكـل بـاك فسيُبكى — وكـل نـاع فسيُنعى
وكـل مخلـوق سيفنى — وكـل مـذكور سيُنسى
لـيس غيـر الله يبقـى — مـن عـلا فـالله أعلـى

قصة توبة:

عساها أن تكون ذكرى للمؤمنين وآية وعظة للعصاة والمذنبين، قصة مالك بن دينار.

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

كان مالك بن دينار – كما يذكر أهل السير – يشرب الخمر وكان صادًا عن سبيل الله نادًا عن الله..شاء الله أن يتزوج بامرأة أحبها حبًا عظيمًا ورزقه الله منها ببنية جميلة سكنت فؤاده وسيطرت على حياته، فإذا خرج أو دخل داعبها ومازحها، وكانت إذا رأته يشرب الخمر أتت إليه وكأنها تريد أن تعتنقه فتسقط الخمر من يده وكأنها تقول: يا أبت اتق الله!!

وذات يوم رجع من عمله يسأل عن بُنَيَّته ليلعب معها، فإذا بها قد ماتت، تنغصّت عليه حياته وحزن حزنًا عظيمًا، وكعادته شرب الخمر طوال ليلته ثم نام،

قال: فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت، وكأن الناس قد خرجوا من قبورهم فإذا بثعبان عظيم فاغرًا فاه يقصدني من بين هؤلاء الخلق جميعًا ويأتي إليّ يريد أن يبتلعني وأهرب منه ويطاردني وكاد قلبي أن ينخلع من بين أضلاعي وإذا برجل حَسَنِ السمت وقور، أسرعت نحوه وقلت: بالله عليك أنقذني.

فقال: لا أستطيع اذهب إلى من ينقذك.

فأقبل الثعبان يطاردني وإذا بي على شفير جهنم فبقي الثعبان من ورائي وجهنم من أمامي،

فقلت: أرمي بنفسي في جهنم، فإذا بهاتف يهتف ويقول: ارجع فلست من أهلها، فرجعت لأدور في عرصات القيامة والثعبان من روائي يطاردني، فإذا بالشيخ الوقور، فقلت: بالله عليك أنقذني أو دلني،

فقال: أما إنقاذك فلا ولكن أدلك على هذا القصر فلك فيه وديعة.

قال: انطلقت إلى القصر ولا يزال الثعبان يطاردني وإذا بهذا القصر من زبرجد وياقوت مكلل باللؤلؤ والجوهر ففتح فإذا بأطفال مثل فِلق الصبح وإذا بابنتي ترمي نفسها بيني وبين الثعبان وتنادي أبتاه، ثم تصرف الثعبان بيُمناها ثم تضرب على صدري وتقول: أبتاه: ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ

ﭐلْحَقِّ ﴾ فقلت: بل آن، ثم قلت: ما هذا الثعبان؟

قالت: هذا عملك السيء.

قلت: وما هذا الشيخ الوقور؟

قالت: هذا عملك الصالح ضعّفته حتى ما استطاع أن يقاوم عملك السيء.

قال: ثم ضربت على صدري ثانية وهي تقول: أبتاه ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾.

ففزعت من نومي وأنا أقول: بل آن بل آن، ثم توضأت وانطلقت إلى المسجد وإذا بالإمام يقرأ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾.

فقلت: والله ما كأنه يعني إلا أنا[١] فأصلحت علاقتي مع الله.

فالتوبة التوبة قبل أن تأتي من الله النوبة.

الإنابة الإنابة قبل غلق باب الإجابة.

الإفاقة الإفاقة قبل يوم الفاقة.

❁ ثانيًا: أن ندعوا الله تعالى باسمه «التواب»:

كما دعا بذلك خليل الرحمن عَلَيْهِ السَّلَامُ **قائلًا:** ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** كنا نعدّ لرسول الله في المجلس الواحد «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**»[٢].

---

(١) وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي، مطوّلة وصاغها قصيرة هكذا الشيخ على القرني في خطبة له مكتوبة بعنوان: » كلنا ذو خطأ «.

(٢) صحيح أبي داود.

(٥٨) الغَنيُّ ﷻ

قال تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يونس: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦].

وقال تعالى: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(الغَني) ﷻ: هو المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل مَن عداه.

فسبحانه الخلق جميعًا فقراء إلى إنعامه وإحسانه، فلا يفتقر إلى أحد في شيء، وهذا هو الغنى المطلق الذي لا يشارك اللهَ تعالى فيه غيرُه، وأي غَنيٍّ سوى الله، فغناه نسبيٌّ مقيدٌ.

(الغني) ﷻ: هو الذي يغني مَن يشاء من عباده، حسب حكمته ورحمته؛ كما قال عز من قائل: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

(الغني) ﷻ: هو الذي عطاؤه لا يمتنع، ومددُه لا ينقطع، وخزائنه ملأى لا

تنفَد، وهنا يظهر الفرق بين غنى الرب وغنى العبد:

فغنى الرب ذاتي، لا ينفك عنه؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو سبحانه الغني بذاته الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه؛ لكماله وكمال صفاته، لا يتطرق إليه نقصٌ بوجه من الوجوه، بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة.

أما العبد، فهو فقيرٌ بذاته، غنيٌّ بما أغناه الله، ففقر العبد مطلق؛ لأن حياته متعلقة بروحه، وروحُه أودعها فيه الغني بغير إذن منه، وجعلها عارية مستردة، وسيسلبها منه بغير إذنٍ منه، ولا علمٍ بذلك، فأين الغنى إذًا؟

• فغنى العبد من كثرة العَرَض الذي وهبه الله له، فإن سلبه الله إياه، افتقر، فالعبد يحتاج إلى ما يَستغني به، ويحتاج إلى مُغنٍ يُغنيه، والغنيُّ جَلَّ جَلَالُهُ إن شاء منعه وإن شاء أعطاه، إن شاء أفقره وإن شاء أغناه.

من مظاهر غناه جَلَّ جَلَالُهُ:

١-أن خزائنَ السماوات والأرض بيده، وأن جودَه على خلقه متواصلٌ، وأن يده سبحانه ملأى بالخير الليل والنهار، فعطاؤه لا يمتنع، ومددُه لا ينقطع.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول ﷺ قال: «**يدُ الله ملأى لا يغيضها** [ينقصها] **نفقةٌ، سحَّاءُ الليلَ والنهارَ؛ أي: دائمة الصب فيَّاضة بالعطاء**»، أرأيتم ما أنفقه منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض [يُنقص] ما في يده، عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»[1].

٢- أن الخلق لو اجتمع أولهم وآخرهم في صعيدٍ واحدٍ، فأعطى كلَّ واحدٍ منهم ما سأل، ما نقص من مُلكه مثقال ذرةٍ؛ عن أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن رب العزة، قال: «**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم، قاموا**

(١) رواه البخاري.

في صعيدٍ واحدٍ فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنقصُ المُحيط إذا أدخل البحر....»[١].

٢-أنه تعالى لا تنفعه طاعة الطائعين، كما لا تضره معصية العاصين.

قال الله تعالى في الحديث القدسي، حديث أبي ذرٍّ المتقدم: «**يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنَّكم، كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم، كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ منكم، ما نقص ذلك من مُلكي شيئًا**»[٢].

٤- أنه تعالى لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا ولا شريكًا في الملك، ولا وليًّا من الذل، وذلك لكمال أسمائه وصفاته، تبارك وتعالى وجل شأنه.

٥- أنه تعالى مالك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، لا شريك له في شيء من ذلك؛ قال تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الحج: ٦٤].

٦- أنه تعالى لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقُه، ولا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه خلقُه، وذلك لكمال أسمائه وأوصافه تبارك وتعالى وجل شأنه.

٧- أنه تعالى يأمر عباده بدعائه، ويعدهم بإجابة دعائهم وإسعافهم بجميع مرادهم.

٨- أنه تعالى بسط لعباده من الأرزاق وأدرَّ عليهم من الخيرات، وأنزل عليهم من البركات، وتابع عليهم من النعم التي لا تُعد ولا تُحصى، ويسَّر لهم من الأسباب الموصلة إلى الغنى، وأفاض على قلوب أوليائه من المعارف الدينية والعلوم الربانية

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

والحقائق الإيمانية، حتى تعلقت قلوبهم به، ولم يلتفتوا إلى أحدٍ سواه.

٩- أن الخلائق بأسرها لا تستغني عنه طرفةَ عينٍ في أي حالٍ من الأحوال، فهم فقراء إلى الله على الإطلاق في كل شيء؛ قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

- فقراء إلى الله في الخلق والإيجاد.
- فقراء إلى الله في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح التي لولاها لما عملوا شيئًا.
- فقراء إلى الله في إعدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة.
- فقراء إلى الله في صرف النِّقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الشدائد والكروب عن طريقهم.
- فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية.
- فقراء إلى الله في تعليمهم ما لا يعلمون.
- فقراء إلى الله في عفوه عنهم ومغفرته لهم وستره عليهم.
- فقراء إلى الله في قَبول أعمالهم.

١٠- أنه تعالى بسط على أهل جنته ودار كرامته من اللذات المتتابعات والكرامات المتنوعات، والخيرات المتواصلات، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهذا قطر من سيل غناه سبحانه.

➢ كيف نعبد الله باسمه الغَني؟

۞ أولًا: أن نُظهر افتقارنا إلى الغني جل جلاله:

لأنه لا حول لنا ولا قوة فعلًا إلا به، ولا غنى لنا عنه طرفة عين، فنحن

مضطرون إليه على مدى أنفاسنا، وفي كل ذرةٍ من ذراتنا ظاهرًا وباطنًا، فمن افتقر إلى الله أغناه، وسدَّ فقره وآواه، ورعاه وتولاه.

لَمَّا سقى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للمرأتين، تولى إلى الظل، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤].

لم يحتجْ إلى أحد، ولم يلجأ إلى أحد، ولم يستعن بأحد، وهو الذي خرج طريدًا خائفًا، لكنه أعلن فقره إلى الله، واستغنى به عمن سواه، فآواه وكفاه، وأكرمه وأغناه.

ولو حقق العبد افتقاره إلى الله، حاز جائزتين عظيمتين:

أولهما: كان موِّحدًا خالصًا؛ لأن حقيقة التوحيد أن يُفرَّغَ القلب مما سوى الله.

ثانيهما: الغنى عن الخلق، وهو معنى الافتقار إلى الله وثمرته.

وأعظم شيء يفتقر فيه العبد إلى الله: أمر الهداية، فالعبد المفتقر إلى الله يعلم أن العبادات التي يقوم بها، وأن الهداية التي وفِّق لها، ما هي إلا خالص توفيق من الله، وهذا معنى (لا حول ولا قوة إلا بالله)، ومعنى قولنا في سائر صلواتنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٥، ٦].

ومعنى قول أهل الجنة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

فيجب على العبد أن يفتقر إلى الله تعالى في:

- أن يوفقه إلى الطاعات وأن يُثبته عليها.
- وأن يتقبلها منه وأن يثيبه عليها.

ثم لا يَنسب العمل إلى نفسه، بل إلى فضل الله وتوفيقه، فيزول الإعجاب ويبقى الأجر والثواب، واعلم أن أكمل الخلق عبوديةً لله، هم أكثرهم شهودًا

لفقرهم وحاجتهم إلى الله، ولهذا كان من دعائه ﷺ: «**أصلِح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحدٍ من خلقك**»(١).

وكان يدعو: «**يا مقلب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك**»(٢).

عَلِم عليه الصلاة والسلام أن قلبه بيد الرحمن ﷻ، لا يملك منه شيئًا، وأن الله يُصَرفه كما يشاء، وأيقن أن التثبيت من الله، كيف لا وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤﴾ [الإسراء: ٧٤].

فوجب أن نعلن فقرنا إلى الله، وحاجتنا إليه في أمورنا كلها صغيرها وكبيرها وظاهرها وباطنها.

والافتقار إلى الله إنما يتحقق باستشعار عظمة الخالق سبحانه، واليقين بضَعف المخلوق وعجزه مهما بلغت قوته أو جاهه أو علمه.

❋ ثانيًا: أن نأخذ بالأسباب الشرعية للغنى:

(الطريق إلى الغنى) (هل تريد أن تكون غنيًّا؟).

وهل الغنى محمود حتى يأخذ العبد بأسباب تحصيله؟

الجواب: نعم، المال ما أجمله، وما أشرفه، وما أعزه، وما أكرمه إن حركته أيدي الصالحين! وما أحقره وأهونه إن حركته أيدي العابثين! ولهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»(٣).

• **وعن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال له: «إنك إن تذر ورثتك أغنياءَ**

---

(١) رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم.

خيرٌ من أن تذرهم عالةً يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرتَ عليها حتى ما تجعل في فِي امرأتك»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: أن تصدَّق وأنت صحيحٌ شحيحٌ، تخشى الفقر وتأمُل الغنى، ولا تُهمل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان»(٢).

الطريق إلى الغنى:

إن الله تعالى جعل لكل شيء سببًا، وجعل للغنى أسبابًا يُنال بها، حسية ومعنوية، قولية وفعلية، فمن أراد الغنى، فليستعنْ بالغَنِي، وليأخذ بهذه الأسباب، فخذها بقوةٍ وأْمُر قومك يأخذوا بأحسنها.

١- الاستقامة على طاعة الله:

قال الله تعالى عن السابقين: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦].

وقال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦]، قال مجاهد: «لو استقاموا على طريقة الإسلام لأعطيناهم مالًا كثيرًا»، وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ماءً غدقًا: عيشًا رغدًا»(٣).

حكِّم شرع الله تعالى في نفسك، وفي بيتك، يأتك رزقُك تحت رجليك، ويجعل الله الغنى في قلبك وبين عينيك.

- **ففي الحديث القدسي يقول الله تعالى:** «تفرَّغ لعبادتي أملأ صدرك غنى،

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) الدرر المنثور للسيوطي.

وأسُد فقرك، وإلا تفعل ملأتُ صدرك شغلًا، ولم أسد فقرك»(١).

والتفرغ للعبادة ليس معناه الانقطاع لها، ولكن معناه ألا يُزاحم وقتَ العبادة غيرُها.

٢- حمل همِّ الآخرة:

• **عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من كانت الدنيا همَّه، فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»(٢).**

«فمن كان فقره بين عينيه، لم يزل خائفًا من الفقر، لا يستغني قلبه بشيء، ولا يشبع من الدنيا، ومن كان الغنى في قلبه فلا يضره ما لقِي من الدنيا»(٣)، فتلك هي حقيقة الفقر، وتلك هي حقيقة الغنى.

• **وذكر ابن أبي الدنيا عن معقل بن عبدالله الجَزَرِي قال:** «كان العلماء إذا التقوا تواصوا بهذه الكلمات، وإذا غابوا، كتب بها بعضهم إلى بعض أنه: من أصلح سريرته، أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله، كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن اهتم بآخرته، كفاه الله همَّ دنياه»(٤).

٣- تقوى الله جَلَّ جَلَالُهُ:

فمن اتقى الله بفعل ما به أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وراقَبه في السر والعلن، أغناه من فضله وفتح عليه من بركات السماوات والأرض؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟

(١) رواه أحمد والترمذي، وصحَّحه الألباني.
(٢) رواه ابن حبان وابن ماجه، وصحَّحه الألباني.
(٣) لطائف المعارف؛ ابن رجب.
(٤) الإخلاص لابن أبي الدنيا.

فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

قال الإمام الرازي: «بركات من السماء بالمطر، وبركات من الأرض بالنبات والثمار، وكثرة المواشي والأنعام، وحصول الأمن والسلامة؛ وذلك لأن السماء تجري مجرى الأب، والأرض تجري مجرى الأم، ومنهما يحصل جميع المنافع والخيرات...»(١).

• مَرَّ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مع أصحاب له في بعض نواحي المدينة، فوضعوا سُفرةً، فمرَّ بهم راعي غنمٍ، فسلَّمَ، فقال ابن عمر: هَلُمَّ يا راعي، هَلُمَّ، فأَصِب من هذه السفرة، فقال: إني صائمٌ، فقال ابن عمر: أتصوم في هذا اليوم الحار وأنت في هذه الجبال ترعى هذه الغنم؟ فقال: أي والله أُبادر أيامي الخالية، فقال له ابن عمر – وهو يريد أن يختبر ورعه وتقواه: بِعْنا شاةً من هذه الغنم نُعطك ثمنها ونعطك من لحمها، فقال: إنها ليستْ لي، إنها غنم سيدي، فقال ابن عمر: فما عسى سيدك فاعلًا إذا فقدها، فقلت: أكلها الذئب؟ فولَّى الراعي مدبرًا، وقد رفع أُصبعه إلى السماء، يقول: أين الله؟ فجعل ابن عمر يرددها: أين الله؟ أين الله؟ فلما قدم ابن عمر المدينة بعث إلى مولاه – مولى الراعي – فاشترى منه الغنم واشترى منه الراعي، فأعتق الراعي ووهب له الغنم»(٢).

فتأمل: كيف حققت التقوى الغنى، وَلَنعيمُ الآخرة أعظم غِنًى.

٤ – الاستغفار:

وكيف لا وفي الاستغفار حياةُ القلوب، وتفريج الكروب، وغفران الذنوب، ونيل كل مطلوب؟

أما علمتَ أن استغفار الأسحار مفتاحُ جنة الأبرار؟

---

(١) التفسير الكبير.

(٢) رواه أحمد في كتاب الزهد، وانظر الداء والدواء لابن القيم.

فلا تستهن بلحظة استغفارٍ واحدة، فلا تعلم كم من الخير ستُرزق وكم من البلاء سيُرفع عنك!

قال تعالى في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح: ١٠، ١١]، المطر الذي به حياة الزروع والثمار والدواب والأبدان، ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٢]، المال والولد اللذان هما زينة الحياة الدنيا، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٢].

الحياة الجميلة والغنى والعز، في الأولى والآخرة.

فهل أكثرت من الاستغفار، وجعلت لنفسك وردًا منه حتى يغنيك الله؟

دواؤك منـــــك ولا تشـــــعُر   وداؤك فيـــــك ولا تُبصـــــر

٥- الاستغناء بالغني عن الفقراء، بالخالق عن الخلق:

كما قال ﷺ: «**ومن يستعفف يُعفه الله، ومن يستغنِ، يُغنِه الله**»(١).

ويدخل في ذلك صدق التوكل على الله، بالركون إليه، واعتماد القلب حقيقةً عليه، مع الأخذ بالأسباب، فالجوارح تأخذ بالأسباب والقلوب متعلقةٌ صدقًا بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى؛ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه.

فمن توكل على الله حقًّا كفاه، ومن استغنى به أغناه، ومن فوَّض الأمر إليه هداه، وجاد عليه بالنعم وأعطاه.

٦- الرضا بما قسم الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهنَّ، أو يُعلم من يعمل بهنَّ؟**»، قلت: أنا يا رسول الله، فأخذ يدي فعدَّ

(١) الرقة والبكاء؛ لابن أبي الدنيا.

خمسًا، فقال: «**اتَّقِ المحارم تكن أعبدَ الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك؛ فإنَّ كثرة الضحك تُميت القلب**»[١].

٧- فتح باب الصدقات:

يقول ﷺ: «ما فتح رجل باب عطية بصدقة أو صلة، إلا زاده الله تعالى كثرةً»[٢].

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**أَنْفِقْ، أُنْفِق عليك**»[٣].

وقال النبي ﷺ لبلال: «أنفق يا بلال، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالًا»[٤].

فالمؤمن لا يصل إلى عطايا الله إلا بالأعطيات، ولا ينال هباته إلا بالهبات.

٨- الإقبال على الزواج تعفُّفًا:

أي: بنية العفاف، حفظ الفروج، وغض الأبصار؛ قال تعالى: ﴿**وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾**﴾ [النور: ٣٢].

قال أبو بكر ﵁: «أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، يُنجز لكم ما وعدكم من الغنى»، وقال ابن مسعود: «التمسوا الغنى في النكاح»[٥].

وفي الحديث يقول (عليه الصلاة والسلام): «ثلاثةٌ حقٌّ على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله»[٦].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أحمد، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه البيهقي والطبراني في الكبير، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع.

(٦) انظر تفسير ابن كثير.

٩- بر الوالدين وصلة الأرحام:

ذلك لأن الواصل موصول، ففي الصحيحين يقول ﷺ:

«الرحم معلقةٌ بالعرش، تقول: مَن وصلني وصلَه الله، ومَن قطعني قطَعه الله»(١).

وقال ﷺ: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنْسَأُ له في أثره، فليبرَّ والديه، وليصل رحمه»(٢).

وقال ﷺ: «إن أهل البيت لَيكونون فجرة، فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا»(٣).

١٠- المتابعة بين الحج والعمرة:

كما قال ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكيرُ خبث الحديد والذهب والفضة»(٤).

١١- الدعاء واللجأ إلى رب الأرض والسماء:

فقد كان ﷺ يدعو ويقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتُّقى والعفاف والغنى»(٥).

فمن رُزق الهدى والتقى والعفاف والغنى، نال السعادتين، وحصل له كل مطلوب، ونجا من كل مرهوب.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أن مكاتَبًا [مدينًا] جاءه، فقال: إني عجزت عن كتابتي، فأعني، فقال: ألا أُعلمك كلماتٍ علمنيهنَّ رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل صيرٍ دينًا أداه الله

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصحَّحه الألباني.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، وحسَّنه الألباني.

(٤) صحيح الترمذي.

(٥) رواه مسلم.

عنك؟ قل: «**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك**»[١].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي، كلكم جائعٌ إلا من أطعمته، فاستطعموني أُطعمْكم، يا عبادي، كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني، أُكسكم...»[٢].

فواعجبًا ممن صُرف عن الدعاء!!

ما الذي صرفه؟ أضعْفُ ثقته في الله؟ أم غفلته عن الله؟

أم سوء ظنه بالله؟ أم أعمته دنياه وأضله هواه؟

وأخيرًا:

اعلم أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس، أن يكون العبد راضيًا قانعًا بما قسمه له الله، شاكرًا لما أعطاه إياه؛

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»[٣].

وعن عمرو بن تغلِب رضي الله عنه قال: أُتِيَ رسول الله ﷺ بمال أو سبي فقسَمه، فأعطى رجالًا، وترك رجالًا، فبلغه أن الذين تركهم - يعني لم يعطهم - عتبوا، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فوالله إني لأعطي الرجل، وأدَع الرجل، والذي أدع أحبُّ إليَّ من الذي أعطي، ولكني إنما أعطي أقوامًا لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكِلُ أقوامًا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب،، قال: فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمر النعم»[٤].

---

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

وعَنْ أَبِي ذرٍّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟»، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ، وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ»(١).

❋ **ثالثا: أن ندعوا الله تعالى باسمه «الغني»:**

كما كان النبي ﷺ يدعو قائلًا: «اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغَني ونحن الفقراء، أنْزِلْ علينا الغيثَ، واجعل ما أنزلت لنا قُوَّةً وبلاغًا إلى حين...»(٢).

وكان من دعائه ﷺ إذا أوى إلى فراشه: «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء زاد وهب في حديثه اقض عني الدين وأغنني من الفقر»(٣).

---

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم، وصحَّحه الألباني.

(٢) صحيح أبي داود.

(٣) صحيح ابن ماجه، وصحيح أبي داوود.

(٥٩) (٦٠) (٦١) الكريم، الأكرم، الجواد، جل جلاله

-قال الله تعالى:(وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) [النمل:٤٠].

وقال ﷺ: «إن ربكم تبارك وتعالى حييٌ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا»(١).

-وقال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ [العلق: ١-٤].

-وقال ﷺ: «إن الله عز وجل جوَاد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها»(٢).

معنى هذه الأسماء في حق الله:

(**الكريم**) جل جلاله: هو الذي يبدأ النعمة قبل الاستحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استتابة، ويغفر الذنب ويعفو عن المسيء، ويقول الداعي في دعائه: يا كريم العفو، فقيل: إن من كرم عفوه، أن العبد إذا تاب عن السيئة، محاها عنه، وكتب له مكانها حسنة»(٣).

(**الكريم**)جل جلاله: هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفّى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإن جُفي عاتب وما استقصى، ولا يَضيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك، لا بالتكلف، فهو الكريم المطلق،

(١) صحيح أبي داود.
(٢) رواه ابن أبي يعلى وأبو نُعيم في الحلية وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.
(٣) شأن الدعاء / الخطابي.

وذلك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقط»[١].

(الأكرم) جَلَّ جَلَالُهُ: هو أكرم الأكرمين، لا يوازيه كريم، ولا يعادله نظير»[٢].

قال ابن القيم: من الكرم، وهو كثرة الخير، ولا أحدَ أولى بذلك منه سبحانه، فإن الخير كله بيده، والخير كله منه، والنعم كلها هو موليها، والكمال كله والمجد كله له فهو الأكرم حقًا»[٣].

(الجواد) جَلَّ جَلَالُهُ: «الذي عمّ بجوده جميع الكائنات، وملأها من فضله، وكرمه ونعمه المتنوعة، وخصّ بجوده السائلين بلسان المقال أو بلسان الحال من برٍ وفاجر، ومسلم وكافر، فمن سأل الله أعطاه سؤاله، وأناله ما طلب، فإنه البر الرحيم»[٤].

(الجواد) جَلَّ جَلَالُهُ: الذي له الجود كلُّه، وجود جميع الخلائق في جنب جوده أقل من ذرة في جبال الدنيا ورمالها»[٥].

(الجواد) جَلَّ جَلَالُهُ: الذي لا يزال يُنفق ويُعطي ويجود، لن تنفد خزائنه ولن ينقطع عطاؤه، ولن يتوقف جوده.

الفرق بين (الكريم)، و(الأكرم)، و(والجواد):

(الكريم): هو الذي لا يَرُدُّ سائلًا؛ لكن **(الجواد)**: يعطي بلا مسألة فبين الاسمين اختلاف وإن اقتربا في المعنى.

فالجود: سهولة البذل والعطاء وتجنب مالا يُحمد من الأخلاق.

---

(١) المقصد الأسنى / الغزالي.

(٢) شأن الدعاء / الخطابي.

(٣) مفتاح دار السعادة.

(٤) الحق الواضح المبين / السعدي.

(٥) إغاثة اللهفان: ابن القيم.

ورجل جواد: سخي كثير العطاء بلا طلب.

ورجل كريم: حسن المعاملة ومنها العطاء.

وضد الجود: البخل، وضد الكرم: اللؤم.

أما (الأكرم): فهو من الكرم؛ لكنه يدل على المفاضلة المطلقة من كل الوجوه، فالله عَزَّ وَجَلَّ لا كرمَ يسمو إلى كرمه، ولا إنعام يرقى إلى إنعامه، ولا عطاء يوازي عطاءه، له علو الشأن في الكرم، سبحانه.

من مظاهر كرمه، سبحانه:

الله جَلَّ جَلَالُهُ، كرمه واسع، وجوده فياض، فهو الكريم، الأكرم، والجواد، المعطي، المقيت، الوهاب، المنان، الرزاق، سبحانه.

- **فمن كرمه: أنه يُعطي الأجور الكبيرة على الأعمال اليسيرة:**

أعطى الجنة بشربة ماء لكلب، ويعطي العبد جبلًا من الحسنات بتمرة يُنفقها من كسب طيب.

تأمل:

-**يقول** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من مؤمن يُعزِّي أخاه بمصيبة، إلا كساه الله سبحانه من حلل الكرامة يوم القيامة**»(١).

-**يقول** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من توضأ في بيته فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحقٌّ على المزور أن يكرم الزائر**»(٢).

---

(١) صحيح ابن ماجه.

(٢) رواه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

-يقول ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلًا كلما غدا أو راح»(١).

-يقول ﷺ: «من أنظر معسرًا أو وضع عنه، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»(٢).

- **ومن كرمه سبحانه: أنه يفتح بابه للتائبين، وينادي على السائلين، ويجيب المضطرين:**

قال عز من قائل: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال ﷺ: «إن للتوبة بابًا عَرض ما بين مصراعيه، ما بين المشرق والمغرب، لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها»(٣).

وقال ﷺ: «ينزل الله في كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر»(٤).

وقال ﷺ: «إن الله حييٌّ كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه، أن يردهما صفرًا خائبيتن»(٥).

وقال ﷺ: «ليس شيءٌ أكرم على الله ﷻ من الدعاء»(٦) ذلك؛ لأنه سبحانه يحب أن يعطي ويجود ويكرم عباده.

---

(١) رواه ابن حبان وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) صحيح الترمذي.

(٦) صحيح الترمذي.

• **ومن كرمه سبحانه ما جاء في قوله في الحديث القدسي:**

«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[١].

• **ومن كرمه سبحانه: أنه كرّم بني آدم من جميع الوجوه**، وجوه الإكرام، فأنعم عليهم بل أسبغهم بالنعم الظاهرة والباطنة، التي لا يستطيعون عدّها ولا حصرها، وخصهم بالفضائل والمناقب التي ليست لغيرهم من أنواع المخلوقات، كما قال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الاسراء: ٧٠].

• **ومن كرمه سبحانه: إكرامه لعباده في الآخرة:**

تأمل قطرة واحدة من قطرات جوده، ومشهدًا واحدًا من مشاهد فضله وكرمه:

قال ﷺ: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: هو رجل يجيء بعد ما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أَخذاتهم؟

فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟

فيقول: رضيت يا رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت يا رب، قال: رَبِّ، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على قلب بشر»[٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم وغيره.

➢ **كيف نعبد الله بأسمائه: «الكريم»، «الأكرم»، «الجواد»؟**

❋ **أولًا: أن نحبه الحب الخاص الأكبر:**

فهل أكرمنا أحدٌ كما أكرمنا الله؟ وهل أنعم علينا أحدٌ كما أنعم علينا الله؟

وهل جاد علينا أحدٌ كما جاد علينا الله؟

والنفس جُبلت على حب من أكرمها.

وفي الأثر: «أحبوا الله على ما يغذوكم به من النعم».

❋ **ثانيًا: أن نسأله وحده، ونرجوه وحده، ونعلِّق آمالنا به وحده:**

إن المؤمن حينما يُدرك اتصاف الله تعالى بالجود والكرم؛ فإنه يُنزل به حوائجه؛ لأنه تعالى كريم يحب الكرم، كثير الخير والعطاء، يعم عطاؤه المحتاجين وغيرهم، إذا علم العبد ذلك رجاه وحده، وعلق آماله به وحده.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فهو سبحانه يحب من عباده أن يؤمِّلوه، ويرجوه ويسألوه من فضله؛ لأنه الملك الحق الجواد، أجود من سئل، وأوسع من أعطى، وأحب ما إلى الجواد: أن يُؤمل ويُرجى ويسأل، وفي الحديث: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»، **والسائل راج وطالب، فمن من لم يرج الله يغضب عليه» فهذه فائدة أخرى من فوائد الرجاء، وهي التخلص به من غضب الله**»[1].

ذكر القشيري: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال في مناجاته: **إنه لتُعرَض لي الحاجة أحيانًا فأستحيي أن أسألك، فأسأل غيرك، فأوحى الله إليه: يا موسى، لا تسل غيري، وسلني حتى ملح عجينك، وعلف دابتك**[2].

---

(١) مدارج السالكين.

(٢) ولله الأسماء الحسنى / عبد العزيز ناصر، نقلًا عن الكتاب الأسنى.

❋ ثالثا: أن نَجِدّ في طاعته، ونبتعد عن معاصيه:

كثرة كرم الله تستدعي الجد في طاعته، لا الانهماك في عصيانه اغترارًا بكرمه، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار:٦].

قرأها عمر بن الخطاب، وقال: غرّه والله جهله»[١].

فالكرم يدفع إلى طاعة الكريم لا إلى الغفلة عنه.

❋ رابعًا: أن يُظهر العبد آثار إكرام الله له وإنعامه عليه:

فقد جاء في حديث أبي الأحوص عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أتى النبي ﷺ، في ثوبٍ دون، فقال: ألك مالٌ؟ قال: نعم، قال: من أي المال؟ قال: قد أتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق، قال: فإذا أتاك الله مالًا فليُر أثر نعمة الله عليك وكرامته»[٢].

❋ خامسًا: أن يحرص العبد على أن يكون جوادًا[٣] كريمًا:

ذلك؛ لأن الله تعالى جواد يحب الجود، كريم يحب الكرم، ويحب من عباده أن يتصفوا به.

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١﴾ [البقرة:٢٦١].

قال ابن كثير: هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف»[٤].

---

(١) الدر المنثور السيوطي.

(٢) صحيح أبي داود.

(٣) والفرق بين الجود والإسراف: أن الجواد حكيم يضع العطاء مواضعه، والمسرف مبذر، وقد يصادف عطاؤه موضعه، وكثيرًا لا يصادفه [مدارج السالكين].

(٤) تفسير ابن كثير.

وقال ﷺ: «هم الأخسرون ورب الكعبة، هم الأخسرون ورب الكعبة، يوم القيامة، الأكثرون، إلا من قال في عباد الله هكذا وهكذا، وقليل ما هم..»(١).

قال المبار كفوري: قوله: «هكذا وهكذا: كناية عن التصدق العام في جميع جهات الخير»(٢).

وقال ﷺ: «المؤمن غِرٌّ كريم، والفاجر خِب لئيم»(٣).

ومعنى «غِرٌ» أي ليس بذي مكر، فهو ينخدع لانقياده ولينه، والخب: هو المخادع الذي يسعى بين الناس بالفساد(٤).

ولقد كان النبي ﷺ المثل الأعلى والقدوة الحسنة في الجود والكرم، فليقتد به المقتدون، وليهتد به المحبون.

كان النبي ﷺ **أجود الناس، كان أجود بالخير من الريح المرسلة.**

ما سئل على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، فجاءه رجل، فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدًا يُعطي عطاءَ من لا يخشى الفاقة»(٥).

وكان ﷺ يقول: «لو كان لي مثل أحد ذهبًا ما يسرني أن لا يمر عليّ ثلاث وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين»(٦).

- وإذا ذكر الجود ذكر أبو طلحة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وأصله في الصحيحين.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.

(٣) صحيح الترمذي.

(٤) عون المعبود / للعظيم أبادي.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه البخاري.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان أبو طلحة أكثر أنصاريٍّ بالمدينة مالًا، وكان أحبُّ ماله إليه بيرَحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: «**إن الله يقول في كتابه**: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب مالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال ﷺ: «**بخ بخ ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلتَ، وإني أرى يا أبا طلحة أن تجعلها في الأقْربين، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه**»(١).

ويُظهـر عيـبَ المـرء في النـاس بُخلُه ويستره عنهم جميعًا سخاؤه
تَغَـطَّ بـأثواب السـخاء فـإنني أرى كـلَّ عيـبٍ فالسخاء غطـاؤه

وذكر ابن القيم رحمه الله أن الجود عشر مراتب:

أحدها: الجود بالنفس، وهي أعلى مراتبه، كما قال الشاعر.

يجـود بـالنفس إذ ضَـنّ البخيـل بهـا والجـود بـالنفس أقصـى غايـة

الثانية: الجود بالرياسة، وهي ثاني مراتب الجود، فيحمل الجواد جوده على امتهان رياسته، والجود بها، والإيثار في قضاء حاجات الملتمس.

الثالثة: الجود براحته ورفاهيته، وإجمام نفسه، فيجود تعبًا وكدًا في مصلحة غيره.

الرابعة: الجود بالعلم وبذله، وهو من أعلى مراتب الجود، والجود به أفضل من الجود بالمال؛ لأن العلم أشرف من المال.

الخامسة: الجود بالنفع والجاه، كالشفاعة، والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه، وذلك زكاة الجاه المطالب بها العبد، كما أن التعليم وبذل العلم زكاته.

---

(١) رواه مسلم.

السادسة: **الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه**، كما قال ﷺ: «**يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل في دابته، فيحمله عليها، أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة يمشيها الرجل إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة**»[1].

السابعة: الجود بالعِرض، كجود أبي ضمضم من الصحابة رضي الله عنه كان إذا أصبح قال: اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي، فمن شتمني، أو قذفني فهو في حل.

وفي هذا الجود من سلامة الصدر، وراحة القلب، والتخلص من معاداة الخلق ما فيه.

الثامنة: الجود بالصبر والاحتمال والإغضاء، وهذه مرتبة شريفة من مراتبه وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال، وأعز له وأنصر وأملك لنفسه، وأشرف لها، ولا يقدر عليها إلا النفوس الكبار.

التاسعة: الجود بالخُلق والبِشر والبسْطة وهو فوق الجود بالصبر والاحتمال والعفو، وهو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وهو أثقل ما يوضع في الميزان، قال النبي ﷺ:: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسطٌ إليه**»[2].

وفي هذا الجود من المنافع والمسارّ ما فيه، والعبد لا يمكنه أن يسع الناس بماله، ويمكنه أن يسعهم بخلقه واحتماله.

العاشرة: الجود بتركه ما في أيدي الناس لهم، فلا يلتفت إليه، ولا يستشرف له

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح أبي داود.

بقلبه، ولا يتعرض له بحاله، ولا لسانه، وهذا الذي قال فيه عبد الله بن المبارك: إنه أفضل من سخاء النفس والبذل».

ولكل مرتبة من مراتب الجود تأثير خاص في القلب والحال، والله سبحانه قد ضمن المزيد للجواد والإتلاف للممسك، والله المستعان(١).

✵ سادسًا: أن يدرك المؤمن أن الإكرام الحقيقي، هو إكرام الله لعبده بتوفيقه لطاعته وابتغائه لمرضاته:

قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

«فالكريم حقًا عند الله هو أكثرهم طاعة وانكفافًا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقومًا، ولا أشرفهم نسبًا.... فإن ذلك لا يوجب كرمًا ولا يُثبت شرفًا، ولا يقتضي فضلًا»(٢).

ولما سئل النبي ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم»(٣).

وقال ﷺ: «الحسب المال، والكرم التقوى»(٤).

والمعنى: أن الحسب ينحصر في المال، وهذا عند الناس، والكرم منحصر في التقوى، وهذا عند الله.

أما الإكرام بالنعمة فهو ابتلاء يستوجب الطاعة والشكر، كما جاء الحديث أن النبي ﷺ قال: «**فيلقى العبد ربه فيقول: أي فلان، ألم أكرمْك وأسودْك وأزوجْك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرْك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، فيقول: أفظننت أنك**

(١) باختصار من مدارج السالكين.
(٢) طريق الهجرتين: ابن القيم.
(٣) متفق عليه، واللفظ لأحمد.
(٤) صحيح الترمذي.

ملاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني»(١).

❋ سابعًا: أن ندعوه تعالى بأسمائه الكريم، والأكرم، والجواد:

كما كان يدعوه الجنيد: «اللهم إني اسألك من فضلك وسعة جودك ورحمتك التي وسعت كل شيء، فإنه لا يملكها إلا أنت، أسألك يا جواد يا كريم مغفرة كلٍّ ما أحاط به علمك من ذنوبنا والتجاوز عن كل ما كان منّا، إنك جوادٌ تحب الجود، اللهم بك أعوذ وبك ألوذ، اللهم اجعل لي في اللهف إلى جودك والرضا بضمانك مندوحةً عن منع البخلاء وغِنىً عما في أيدي الأغنياء»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حلية الأولياء: أبو نعيم.

(٦٢) الصمد جل جلاله

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص ١-٤].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه، أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: «**انسب لنا ربك**» فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص][(١)].

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

عرّف العلماء (الـصَّـــمَــــد) بتعاريفَ كثيرة، منها:

☜ **(الـصَّـــمَــــدُ)** جل جلاله: هو الذي كَمُلَ في أنواع الشرف والسؤدد.

☜ **(الـصَّـــمَــــدُ)** جل جلاله: «هو الذي لا جوف له، فلا يأكل ولا يشرب، وهو يُطعِم ولا يُطعَم»[(٢)].

☜ **(الـصَّـــمَــــدُ)** جل جلاله: «هو الذي لا يموت ولا يورث؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، والله لا يموت ولا يورث»[(٣)].

☜ **(الـصَّـــمَــــدُ)** جل جلاله: هو الذي تقصده الخلائق كلها، إنسها وجنّها، بل العالم بأسره العلوي والسفلي، بحاجاتها وملماتها الدقيقة والجليلة.

---

(١) رواه أحمد والترمذي وحسنه الألباني.

(٢) تفسير الطبري.

(٣) صحيح الترمذي عن أبيّ بن كعب.

○ **وأصح هذه المعاني ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وهو سبحانه المصمود إليه في الحوائج والنوازل، المقصود إليه في الرغائب، المستغاث به عند المصائب»(١).

○ **قال الإمام الخطابي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصَّمَدُ: هو السيد الذي يُصمد إليه في الأمور، ويُقصد في الحوائج والنوازل، وأصل الصمد: القصد، ويقال للرجل: أصْمِدْ صمْد فلان، أي أقصدْ قصدَه، وجاء في التفسير: أن الصَّمَدَ الذي قد انتهى في سؤدده، وقيل: الصَّمَدُ الدائم، وقيل الباقي بعد فناء خلقه، وأصح هذه الوجوه، ما شهد له معنى الاشتقاق، والله أعلم»(٢).

○ **وقال السعدي**: «هو المصمود إليه المقصود في جميع الحوائج والنوائب»(٣).

وقال أيضًا: «هو الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها وأحوالها وضروراتها؛ لما له من الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله»(٤).

و**(الصَّمَدُ)** جَلَّ جَلَالُهُ: هو المقصود في الرغائب، المستغاث به عند المصائب، المفزوع إليه وقت النوائب؛ ففي كل لحظات حياتك أنت بحاجة إليه، فإلم ترجع إليه اختيارًا، رجعت إليه اضطرارًا.

➢ كيف نعبد الله باسمه (الصَّمَد)؟

❃ أولًا: أن نحبه تعالى الحب الخالص، الأكبر:

الذي تصمد إليه الخلائق، وتهرع إليه في قضاء حوائجها، وتفريج كرباتها،

---

(١) تفسير سورة الإخلاص.

(٢) شأن الدعاء.

(٣) بهجة قلوب الأبرار.

(٤) تفسير السعدي.

حريٌّ بأن يُحَب الحب الخالص الأكبر، ذلك لأن النفوس الأبية جُبلت على حب من يعاونها ويقضي لها حاجاتها، فكيف بالصمد ﷻ، الذي لا يكشف السوءَ غيرُهُ ولا يجيب المضطر سواه؟!

ولازم هذه المحبة: الإقبال على طاعته، والسعي في سبيل مرضاته.

✵ ثانيًا: ألا يقصد العبد بحوائجه إلا الله، ولا يعلق الآمال إلا بالله:

أن يفرده العبد بالتوجه والقصد والسؤال والطلب، والتوكل والتعلق والثقة، كما قال عليٌّ رضي الله عنه: «لا يخافنّ أحدكم إلا ذنبه ولا يَرْجُوَنَّ إلا ربه»(١).

○ **قال الإمام القرطبي**: «فيجب على كل مكلف أن يعْلَمَ أن لا صمدانية ولا وحدانية إلا لله وحده، فلا يقصد غيره ولا يلجأ في حوائجه إلا إليه.....»(٢).

☚ فلا تضِقْ ذرعًا بهمِّك أو بمرضك أو بدَيْنك؛ فالصمد ﷻ إذا التجأت إليه، لن يخذلك ولن يضيعك، فقط اُصْدُق في صمدك إليه وإنزال حاجتك به، واعلم أن انتظار الفرج عبادة، ودوام الحال محال، والليالي حُبالى بالعجائب، والغيب مستور، وإن مع العسر يسرًا.

ياصاحب الهم إن الهم منفرجٌ ... أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه ... لا تيأسنَّ فإن الكافي الله
الله يُحدث بعد العسر ميسرة ... لا تجزعنَّ فإن القاسم الله
فإذا بُليت فثقْ بالله وارضَ به ... إن الذي يكشف البلوى هو الله
والله مالك غير الله من أحدٍ ... فحسبك الله في كلٍ لك الله

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه.
(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

فحينما يقول المؤمن: يا صمد، فليعلم أنه صمَد إلى عظيم والتجأ إلى قوي واعتصم بقادرٍ، لا تعجزه ولا تُعضله أمنية.

هذا الطريق سلكه الأنبياء ووعته قلوبهم، فعاشوا مطمئنين وأكرمهم أكرم الأكرمين في الدنيا ويوم الدين.

- أبو الأنبياء إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) قُذِفَ في النار، فذكر ربه ولجأ إلى الصمد، فتغيرت طبيعة النار، من حرارةٍ وحرقٍ إلى برودةٍ وسلام.

- موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما أدركه الغرق، ولجأ إلى الصمد ووثِق به، شقَّ له البحر وفلقه، وهيَّأ له أرضًا مُمَهدةً للسير، فلا خوفٌ من غرقٍ، ولا خشية إدراك العدو، فنجا وهلك عدوه.

وهكذا، كل من فرّغ قلبه من غير الله، ولجأ إلى الله، وسأل الصمد، أجاب دعاءه وأعطاه سؤله.

❁ «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ، لن ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك»(١).

❁ ثالثا: أن يتخلق العبدُ بهذا الاسم، فيجعل نفسه مقصودًا للخير متعاونًا عليه:

❑ **قال القرطبي**: «ثم عليه أن يتخلق بأخلاق السيادة والسادة حتى يكون مصمودًا وبابه مقصودًا، روى هشام بن عروة عن أبيه قال: أدركت سعد بن عبادة ومنادٍ ينادي على أُطْمة: من أحب شحمًا ولحمًا فليأتِ سعدًا، ثم أدركت ابنه قيسًا ينادي مثل ذلك»(٢).

---

(١) صحيح الترمذي،عن ابن عباس مرفوعًا.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

☜ فالسعيد من قصده الناس لقضاء حوائجهم

● **فقد قال ﷺ: «والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه»**[١].

● **وقال ﷺ: «من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته»**[٢].

فتخيل أن الله تعالى هو الذي يقضي لك حاجتك!!

هل تبقى حاجة لك لا تقضى؟!

● وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: **«أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ: سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أوتقضي عنه دينًا، أوتطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهرًا......»**[٣].

● **وقال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السُّوء و الآفات و الهلكات، وأهل المعروف في الدُّنيا هم أهل المعروف في الآخرة»**[٤].

اقضِ الحوائجَ ما استطعتَ ... وكُنْ لهَمِّ أخيكَ فارِجْ.
فَلَخيرُ أيَّامِ الفَتى ... يَومٌ قَضى فِيهِ الحَوائجْ

✵ رابعًا: أن يعتني العبد بسورة (الصَّمَد) قراءةً وتدبرًا وفهمًا:

فسورة الصَّمَدِ فضائلها كثيرة، وحسبك أنها تعدل ثلث القرآن!!

○ **فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ**

---

(١) رواه مسلم.
(٢) صحيح أبي داود والترمذي.
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني في الصحيحة.
(٤) رواه ابن حبان في صحيحه وصححه الألباني في صحيح الجامع.

الْقُرْآنِ؟». قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟. قَالَ: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ①﴾ **تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(١).

○ **قال النووي:** «قال القاضي: قال المازِرِي: قيل معناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء، قصص، وأحكام، وصفات لله تعالى، وقل هو الله أحد متمحضة للصفات فهي، ثلث وجزء من ثلاثة أجزاء»(٢).

○ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا [أي يراها قليلة] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(٣).

○ **وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:** قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْشُدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ**»، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَرَأَ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ①﴾ ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أُرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنْ السَّمَاءِ، فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(٤).

● وكان صحابيٌّ يقرأ لأصحابه في صلاتهم كلها بـ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ①﴾، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟**» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال: «**أخبروه أن الله يحبه**»(٥).

☜ وتأمل كيف بدأت السورة بـ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ①﴾ ذلك لأنها تتعلق بأعظم وأشرف علم ينبغي أن يتلقاه الناس وهو العلم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) شرح النووي على مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري.

فإن قيل: إن كثيرًا من آي القرآن فيها تلقين العقيدة من غير أن يكون فيها ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾

⬅ **فالجواب**: أن لهذه السورة خصائص:

١- أنها كلها من أولها إلى آخرها في أمر التعريف بالله ﷻ، وهذا ليس لغيرها من السور.

٢- أن فيها معاني خاصة انفردت بها، كاسم الله (الصَّمَد) فهو من الأسماء العظيمة، الذي كلما تأملته، وجدت القلب يتزلزل منه، ومن وقْعه وثِقله؛ ولهذا استحب للعبد أن يقرأ هذه السورة في مواطن عديدة، منها:

- في الركعة الأخيرة من الوتر.
- دبر الصلوات.
- في الركعة الثانية من ركعتي سنة الفجر وسنة المغرب.
- في الركعة الثانية من ركعتي الطواف.
- عند النوم.
- عند المرض.
- في أذكار الصباح والمساء.

○ فقد أخبر النبي ﷺ أن من قرأها مع سورتي الفلق والناس، ثلاث مرات صباحًا ومساءً، كفاه الله كل شيء»(١).

○ وأخبر (عليه الصلاة والسلام) أن من قرأها عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة»(٢).

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

فحريٌّ بسورة الصمد أن تُتَعلَّمَ، وتُدرَّسَ، وتُتَدبَّرَ؛ فهي سورة التوحيد.

خامسًا: أن ندعو الله تعالى باسمه (الصَّمَد):

فعن عبد الله ابن بريدة عن أبيه [بريدة بن الحصيب] **قال**: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»(١).

فاللهم يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد، يا من ليس له ولد، ولم يكن له كفوًا أحد، أنزل السكينة على قلوبنا، واقضِ اللهم حاجاتنا، وسكن آلامنا، واجبر كسرنا، وقوِّ اللهم ضعفنا، إنك نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني.

(٦٣) القريب جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:١٨٦].

الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي خالفَتْ سائر الآيات التي تبدأ بسؤال الناس النبيَّ ﷺ فكلها تبدأ بـ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾ ويأتي الجواب: ﴿قُلْ﴾.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ ﴾ [البقرة:٢١٧] ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ ﴾ [البقرة:٢١٩] ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ ﴾ [الأعراف:١٨٧] ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ﴾ [الإسراء:٨٥] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ﴾ [الأنفال:١].

لكن هنا: الله جل جلاله لم يترك عباده أن يسألوا كعادتهم، وإنما افترض سؤالهم قائلا: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ ﴾ ولم يقل: «فقل إني قريب» وإنما قال: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ لبيان قُرْبه جل جلاله من عباده، وأنه لا واسطة بينهم وبينه.

﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ الله قريب، لكن نحن الذين نبتعد!

﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ رسالة مهدّئة للنفوس، مطَمْئِنَةٌ للقلوب، باثَّةٌ للأمل في الأرواح.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ:٥٠].

وحين سَمِعَ النبيُّ ﷺ أصحابه يوما يرفعون أصواتهم بالتكبير قال: «أيها الناس، اربَعوا على أنفسكم؛ إنكم لا تدْعون أصمَّ ولا غائبًا؛ إنكم تدْعُون سميعا بصيرا، وهو معكم، والذي تدْعُونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[1].

اربَعوا – بهمزة وصْل وباء مفتوحة – أي: ارفُقوا بأنفسكم، واخفضوا

(١) متفق عليه.

أصواتكم؛ فإن رفْع الصوت إنما يفعله من يخاطب بعيدًا.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكلما استحضر القلْبُ قُرْبَ الله تعالى منه، وأنه أقرب إليه من كل قريب وتصوَّر ذلك؛ أخفَى دعاءه – وذِكْرَه – ما أمكنه، ولم يتأتَّ له رفع الصوت به، بل يراه غير مستحسَن، كما أن مَن خاطب جليسًا له يسمع خفيَّ كلامه فبالغ في رفع الصوت استُهجِن ذلك منه، ولله المثل الأعلى»(١).

معنى الاسم في حق الله:

(القريب) جَلَّ جَلَالُهُ هو القريب من كل أحد، وقرْبُه نوعان:

١- قُرْبٌ عام من كل أحد بعِلْمه وخبرته ومراقبته ومشاهدته لهم، وإحاطته بهم، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] وقول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾ [المجادلة:٧].

٢- قُرْبٌ خاصّ من عابديه وسائليه ومُحبّيه، وهو قرْبٌ يقتضي المحبة والنصرة والتأييد في الحركات والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول والإثابة للعابدين، وهذا النوع لا تُدرَك حقيقته، وإنما تُعلَم آثارُه من لُطْفه بعبده، وعنايته به، وتوفيقه وتسديده.

وهو المذكور في نحو قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦] وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصاحبه في الغار مستشعرًا معيَّة الله لهما، وقرْبه منهما: «ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما؟!»(٢).

---

(١) بدائع الفوائد.

(٢) متفق عليه، ويُنظر: تفسير السعدي، والحق الواضح المبين له بتصرّف يسير.

➢ كيف نعبد الله باسمه القريب؟

✵ أولًا: أن نقترب منه سبحانه وتعالى، ونتقرَّب إليه:

دعانا ربنا سبحانه وتعالى أن نقترب منه، وأن نتقرّب إليه فقال: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق:١٩] ويقول تعالى في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذَكَرني؛ فإن ذَكَرني في نفسه؛ ذكرْتُه في نفسي، وإن ذَكَرَني في ملإٍ ذَكَرْتُه في ملإٍ خير منهم، ومن تقرّب إليّ شبرًا؛ تقرّبت إليه ذراعًا، ومن تقرَّب إليّ ذراعًا تقرّبت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيْتُه أُهرْوِل**»[١].

فإن قيل: كيف نقترب من الله، وبماذا نتقرّب إليه؟

١- المحافظة على النوافل بعد الفرائض:

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًا فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه؛ فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به وبَصَره الذي يُبصر به، ويده الذي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه»[٢].

٢- كثرة السجود، كما قال تعالى ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق:١٩]:

فكلما كان العبد كثير الصلاة كثير السجود؛ كلما كان قريبًا من الله سبحانه وتعالى.

ويقول صلى الله عليه وسلم: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد...**»[٣].

ولما تمنَّى ربيعة بن كعب الأسلميُّ رضي الله عنه أن يكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم قال له

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) البخاري وغيره.

(٣) رواه مسلم.

- عليه الصلاة والسلام -: «**فأعنِّي على نفْسِك بكثرة السجود**»(١).

٣- القيام لله تعالى في جوف الليل:

يقول ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل الآخِر؛ فإن استطعْتَ أن تكون ممن يذكر الله في هذه الساعة فكُن»(٢).

يقول ابن تيمية عليه رحمة الله: «والناس في آخِر الليل يكون في قلوبهم من التوجُّه والتقرُّب والرِّقَّة ما لا يوجد في غير ذلك الوقت، وهذا مناسب لنزوله إلى سماء الدنيا وقَوْلِه: هل من داعٍ؟ هل من سائل؟ هل من تائب؟»(٣).

قال عمرو بن عبسة السُّلميّ رضي الله عنه: «قلت: يا رسول الله، أيُّ الليل أسْمَعُ؟ قال: جوْف الليل الآخِر؛ فصَلِّ ما شئت؛ فإن الصلاة مكتوبة مشهودة حتى تُصلّي الصبح...»(٤).

وقيل للحسَن: «ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ قال: لأنهم خَلَوْا بالرحمن؛ فألبَسَهم نورا من نوره؟»(٥).

٤- القرآن.

على قدر قُرْبك من القرآن يكون قربُك من الله، والعكس.

يقول خبَّاب بن الأرتّ -أحدُ المهاجرين الأوّلين السابقين-: «تقَرَّبْ إلى الله ما استطَعْتَ، واعلَمْ أنك لن تتقرَّب إليه بشيء أحب إليه من كلامه»(٦).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد.

(٣) مجموع الفتاوى.

(٤) صحيح أبي داود.

(٥) إحياء علوم الدين، وبحر الدموع.

(٦) رواه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في الشُّعَب.

٥- الذِّكْر.

وحسْبُك قوْلُ الله تعالى: «أنا مع عبدي ما ذَكَرَني وتَحَرَّكَتْ بي شفتاه»[(١)].

يقول ابن القيم - عليه رحمة الله -: «والمعية الحاصلة للذاكر معيةٌ لا يشبهها شيء، وهي أخصُّ من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي، وهي معيةٌ لا تدركها العبارة، ولا تنالها الصفة، وإنما تُعْلَم بالذْوق»[(٢)].

٦- الدعوة إلى الله.

وكيف لا تكون قريبا من الله وأنت تدلُّ الناس على الله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فُصِّلَت:٣٣].

قال ابن الجوزي: «ألسْتَ تبغي القرْبَ منه؟ فاشتَغِلْ بدلالة عباده عليه»[(٣)].

٧- حبُّ المساكين وإكرامُهم والقُرْبُ منهم:

يقول ﷺ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يا عائشة، أحِبِّي المساكين وقرِّبيهم؛ فإن الله تعالى يقرّبك يوم القيامة»[(٤)].

٨- الابتعاد عن المعاصي، وعدَم الاقتراب منها.

أنت قريب من الله ما دمتَ بعيدا عن المعاصي؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١].

قال الحارث المحاسبي: «من كان يحبّ القرب من الله؛ فليترك ما يباعد عن الله»[(٥)].

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم، وصحَّحه الألباني.

(٢) الوابل الصيب.

(٣) صيد الخاطر.

(٤) صحيح الترمذي.

(٥) آداب النفوس.

قال قتادة: «من يتَّق الله يكن الله معه، ومن يكن الله معه فمَعَه الفئةُ التي لا تُغلَب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضلُّ»(١).

❋ ثانيًا: قريب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجب أن نحذره ونخافه ونخشاه:

قال عامر بن قيس: «ما نظرتُ إلى شيءٍ إلا رأيتُ الله أقرب إليَّ منه»(٢).

وهذا يدعو العبيد إلى مراقبة أقواله وأفعاله وتصرُّفاته وأحواله؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة:٨٣ – ٨٥].

وهذا هو السر في كون الملائكة – وهم عباد الله المكرمون – لا يعصون أوامره، ويفعلون ما يؤمرون؛ لقربهم من الله جَلَّ جَلَالُهُ.

وهذا هو السر كذلك في شدّة خوف نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ربه، مع عِلْمه أن الله جَلَّ جَلَالُهُ قد غَفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر؛ لقرْبه من الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ فكلما استشعر العبْدُ قُربَ ربه منه؛ كلما ازدادتْ خشْيَتُه له وحَذَرُه منه.

❋ ثالثًا: أن ندعو الله تعالى باسمه «القريب»:

كما دعا به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائلًا: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك، ثم قال: إنها حق فادرسوها ثم تعلموها»(٣).

---

(١) صفة الصفوة، وجامع العلوم والحكم.

(٢) الكشف والبيان للنيسابوري.

(٣) صحيح الترمذي.

وكان ﷺ يقول: «اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا»[١].

(١) صحيح ابن ماجه.

(٦٤) المجيب جَلَّ جَلَالُهُ

أخبر الله تعالى عن صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله لقومه: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ٦١﴾ [هود:٦١].

قريب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ممن أخلص له في العبادة، مجيب له إذا دعاه.

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

(المجيب) جَلَّ جَلَالُهُ هو الذي يقابل السؤال والدعاء بالقبول والعطاء، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، ويكشف السوء عن عباده، ويرفع البلاء عن أحبابه، وكل الخلائق مفتقرة إليه، ولا قوام لحياتها إلا عليه، لا ملجأ لها منه إلا إليه؛ فجميع الخلائق تصمد إليه، وتعتمد عليه(١).

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن شانه أن يغفر ذنبًا، ويُفرّج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخَرين»(٢).

«من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويُفرج همًا، ويكشف كربًا، ويجبر كسرًا، ويُغني فقيرًا، ويعلّم جاهلًا، ويهدي ضالًا، ويُرشد حيران، ويغيث لهفان، ويفكّ عانيًا، ويشبع جائعًا، ويكسو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويعافي مبتلى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصر مظلومًا، ويَقصم جبارًا، ويقيل عثرةً، ويستر عورةً، ويؤمن روعةً، ويرفع أقوامًا، ويضع آخَرين، لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفَع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل...»(٣).

---

(١) أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة للرضواني.

(٢) صحيح ابن ماجه وابن حبان.

(٣) الوابل الصيب.

علاقة القريب بالمجيب:

علاقة القريب بالمجيب علاقة واضحة؛ فمن آثار القُرب «الإجابة للداعين، والإثابة للعابدين؛ فهو المجيب إجابة عامة للداعين مهما كانوا، وأين كانوا، وعلى أي حال كانوا، كما وعدهم بهذا الوعد المطلق، وهو المجيب إجابة خاصة للمستجيبين له، المنقادين لشَرْعه، وهو المجيب أيضا للمضطرين، ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين وقَوِيَ تعلقهم به طمعًا ورجاء وخوفا»[١].

وهنا قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦] ففي الآية قُرْبٌ ما بعده قُرب، ومع القرب الإجابة، وكأنه تعالى يقول لرسوله ﷺ: وإذا سألك عبادي عني يا محمد؛ فلا تُجبْهم بلسانك أنت، أنا الذي أجيبهم، أنا قريب منهم؛ فالله تعالى يجيب دعوة الداع إذا دعاه دعاء عبادة، أو دعاء مسألة؛ فدعاء العبادة شامل لكل أنواع القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن القائم بها داع بلسان حاله، وأما دعاء المسألة؛ فهو شامل لكل دعاء، مباشر بلسان المقال.

أمّن يجيب المضطر إذا دعاه؟

قال الاوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «رأيت رجلًا في الطواف وهو متعلقٌ بأستار الكعبة، وهو يقول: يا رب، إني فقير كما ترى، وصِبْيَتي قد عَرَوا كما ترى، وناقتي قد عجفتْ كما ترى؛ فما ترى فيما ترى؟ يا من يَرى ولا يُرى؛ فإذا بصوت خلْفَه: يا عاصم، الْحَقْ عمَّك؛ فقد هَلَك بالطائف، وقد خلّف ألف نعجة، وثلاثمائة ناقة، وأربعمائة دينار، وأربعة أعبُد، وثلاثة أسياف يمانية، امضِ فخذها؛ فليس له وارثٌ غيرُك.

فقلتُ له: يا عاصم، إن الذي دعوْتَه لقد كان قريبا منك.

---

(١) تفسير السعدي.

قال: يا هذا، أما سمعْتَ قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦][١].

➢ كيف نعبد الله باسمه المجيب؟

❋ أن نلزم الدعاء، ونتأدب بآدابه، ونتحرى أوقاته، ونحقق شروطه، ونتعلم فقهه، وننفي عن أنفسنا موانعه:

١- فضل الدعاء.

الدعاء وما أدراك ما الدعاء! سلاح المؤمن المكين، وحصْنُه الحصين، وملاذ الحيارى والمكروبين.

- الدعاء عبادة:

فكما أن المصلّي يُثاب على صلاته، والمتصدق يُثاب على صدَقَته، والصائم كذلك، والمعتمر والحاج، كل هؤلاء يُثابون على فعلهم؛ فكذلك الداعي يُثاب على دعائه، سواء أُجِيبَ هذا الدعاء أو تأخَّرَت الإجابة؛ فكلما رفَع الداعي يديه إلى السماء قائلا: يا رب، يا رب، وكلما اجتهد في الدعاء وواصل؛ أثابه الله على دعائه[٢].

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: «سمعْتُ النبي ﷺ يقول: الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠][٣].

ومعنى قوْل النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة» أي: رأس العبادة، أو لبّ العبادة، أو علامة على العبودية لرب البرية جل جلاله.

---

(١) المستغيثون بالله عند المهمات والحاجات، لابن بشكوال الأندلسي.

(٢) فقه الدعاء، لمصطفى العدوي.

(٣) رواه الترمذي وأبوداود وأحمد وغيرهم، وصحّحه الألباني.

ولهذا قال ﷺ: «إنه من لم يسأل اللهَ يغضب عليه»(١).

ومن هنا كان مَن دعا غيرَ الله؛ فقد أشرك بالله، مَن دعا الرسولَ ﷺ نفسَه أو عليًّا او الحسن والحسين أو البدويَّ أو غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم – فضلا عن غيرهم – ضرًا أو نفعًا، أو موتًا أو حياةً أو نشورًا؛ فقد وقع في الشرك بالله؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥،٦].

ـ الدعاء يردّ عنك المصائب قبل وقوعها، ويدفع عنك الشرور قبل حصولها:

فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يردّ القضاء إلا الدعاء»(٢).

ومن الكلمات العظيمة التي علّمنا النبي ﷺ أن نقولها في الوتر: «وقني شرَّ ما قضيتَ»(٣).

ـ الدعاء يجعلك عند الله كريمًا:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس شيءٌ أكرمَ على الله من الدعاء»(٤).

وإذا كان الدعاء كريمًا على الله؛ فمن لزمه وحرص عليه وتعبّد لله به؛ كان عند الله كريمًا.

ـ الدعاء من أعظم أسباب المغفرة:

في الحديث القدسي يقول الله تعالى: «يابن آدم، إنك ما دعوْتَني ورجَوْتني

(١) رواه الترمذي، وحسّنه الألباني.

(٢) رواه الترمذي، وحسّنه الألباني.

(٣) رواه أبوداود والترمذي وابن ماجه والنسائي، وصحّحه الألباني.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد.

غفرْتُ لك على ما كان منك ولا أبالي...»[١].

قال سفيان بن عيينة: «لا تتركوا الدعاء، ولا يمنعكم منه ما تعلمون من أنفسكم؛ فقد استجاب الله تعالى لإبليس، وهو شرُّ الخلق! قال: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف:١٤] قال الله: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف:١٥]»[٢].

والقرآن الكريم مليء بأدعية الأنبياء والمرسلين والصالحين، واستجابة الله تعالى لدعائهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٨٣ - ٩٠].

وكل مَن دعا الله ﷻ دعاء اضطرار وفاقةٍ، وتعلَّق به - سبحانه - وحده؛ فإن الإجابة لا تتأخر في العادة، إلا إذا كان في إجابة الدعاء ضررٌ، أو هلاك لصاحب الدعوة؛ قال الله ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

(١) رواه الترمذي وأحمد وغيرهما، وحسّنه الألباني.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي.

٢. ما لنا ندعو فلا يُستجاب لنا:

سؤال ملحٌّ! لطالما سأله كثير ممن دَعَوْا ربهم فلم يُستجَبْ لهم! وشكوى لطالما شكاها قوم تضرعوا على الله، وألَحُّوا على الله ولم يُجابوا على ما طلبوا وأرادوا!

والجواب على هذا التساؤل: أنه غالبا ما تكون هناك موانعُ تمنع إجابة الدعاء؛ فيجب على مَن أراد أن يستجيب الله له أن يتخلص من هذه الموانع.

موانع إجابة الدعاء:

- **الدعاء بلا ثناء على الله، ولا صلاة على رسول الله ﷺ:**

فإنه مما يليق بالله ﷻ ألا ندخل عليه بحاجاتنا هكذا بلا مقدمات ولا نهايات.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه، ثم الصلاة على رسوله ﷺ وكذلك يُختم الدعاء بهما، والآثار في هذا الباب كثيرة معروفة»(١).

فعن فضالة بن عبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: «بيْنا رسول الله ﷺ قاعد؛ إذ دخَل رجلٌ فقال: اللهم اغفر لي وارحمْني؛ فقال رسول الله ﷺ: **عجَّلْتَ أيها المصلي! إذا صليْتَ فقعدْتَ فاحمَد اللهَ بما هو أهلُه، وصلِّ عليَّ، ثم ادعُه، قال: ثم صلى رجل آخرُ بعد ذلك؛ فحمِد الله، وصلَّى على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: ادعُ تُجَبْ**»(٢).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أنه قال**: «**إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيء حتى تصلِّي على نبيك** ﷺ»(٣).

---

(١) الأذكار للنووي.

(٢) رواه الترمذي، وصحّحه الألباني.

(٣) رواه الترمذي والنسائي وابن خزيمة والطبراني والحاكم، وصحّحه الألباني لغيره وثبتَ نحوُه مرفوعا.

-الدعاء والقلب غافل:

فكيف يستجيب الله تعالى لعبد يدعو بلسانه وقلبُه سارح في الدنيا وشواغلها عن الله ﷻ؟ فقد قال ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافل لاهٍ**»[(١)].

-عدم الإخلاص في الدعاء:

ومعنى الإخلاص في الدعاء: صِدقُ النية في التوجه إلى الله وحده، مع اليقين بأنه على كل شيء قدير؛ فمن لم تكن عنده هذه النية وهذا اليقين؛ فأنّى يُستجاب له؟ قال الله تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر:١٤] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن:١٨] فالذين يتوسّلون في دعائهم بالموتى ويقولون: نسألك بفلان، أو بجاه فلان، هؤلاء لا يُستجاب لهم؛ لأن الله تعالى لم يشرّعْ أن ندعُوَه بواسطة أحد، بل أمرنا أن ندعوه مباشرة من غير واسطة»﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [البقرة:١٨٦].

- تضييع فرائض الله، وانتهاك محارمه:

فهذا عبد قد ابتعد عن الله، وقطَع الصلة بينه وبين الله؛ فحَرِيٌّ إذا وقع في شدَّة ودعا ألا يُستجاب له؛ ففي الحديث: «تعرَّف على الله في الرخاء؛ يعرفْك في الشدة»[(٢)].

فالعبد إذا اتقى الله وحفِظ حدوده، وراعى حقوقه حال رخائه؛ فقد تعرّف على الله بذلك، فهذا حريٌّ أن يستجيب الله له؛ ولهذا لما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة:١٨٦] قال بعدها: ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي﴾ [البقرة:١٨٦] فاستجابة الرب على حسب استجابة العبد، ولما

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم، وحسّنه الألباني.

(٢) رواه أحمد والطبراني والحاكم وغيرهم، وصحّحه الألباني مرفوعا عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الله تعالى في الحديث: «**وما تقرّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضتُه عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه**» قال بعدها: «**ولئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه**»[١].

- المطعم الحرام:

قال ﷺ: «**أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون:٥١] **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧٢] **ثم ذَكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِي بالحرام؛ فأني يُستجاب لذلك؟!**»[٢].

فيأتي رجل يدعو ويُلحُّ في الدعاء، وربما يبكي، وقد أكل مال اليتيم، أو أكل أموال الناس بالباطل، أو أكَل الربا، أو كتبَه، أو شهِد عليه، أو تعامل بالرشوة، أو غشّ في معاملاته، أو لم يَقم بالأمانات التي كُلِّف بها، أو باع الحرام وما فيه شبهةٌ كمن يتاجرون في الخمور والمخدرات، ويشيعون الأوبئة بين الناس؛ فكيف يستجيب الله لهؤلاء؟!

- الدعاء بإثم أو قطيعة رحِمٍ:

كأن يدعو ربه أن يمكّنه من حرام كسَرِقةٍ أو زنا ونحوهما! أو يدعو على أقاربه وأرحامه ونحوهما!

يقول ﷺ: «**ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرَف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحِم؛ فقال رجل من القوم: إذًا نُكثر،**

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

قال: الله أكثر»[١].

-الاستعجال:

يقول ﷺ: «يُستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَل، يقولك: دعوْتُ فلم يُستَجب لي»[٢].

والاستعجال المراد هنا: المفضي إلى الملل وترْك الدعاء عندما يرى تأخُّرًا في الإجابة، لكن لو أن إنسانًا قد تعجّل الإجابة لكن لم يملَّ من الدعاء ولم يتركه؛ لا يكون ذلك استعجالاً مذمومًا، وقد قال ﷺ: «**لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدْعُ بإثم أو قطيعة رحِم ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوْتُ وقد دعوْتُ فلم أر يستجيب لي؛ فيستحسر عند ذلك ويَدَع الدعاء»**[٣].

تَرْك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده؛ لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده، ثم لتدعنَّه فلا يستجيب لكم»[٤].

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «مُروا بالمعروف، وانهَوْا عن المنكر قبل ان تدْعُوا فلا يستجاب لكم»[٥].

-الدعاء على الزوجة سيئة الخلُق، ودعاء من لم يُشهد على دَيْنه، والمعطي أمواله للسفهاء:

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم والبخاري في الادب المفرد، وصحّحه الألباني.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد والترمذي، وحسّنه الألباني.

(٥) رواه ابن ماجه وحسّنه الألباني.

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأةٌ سيئة الخلق فلم يُطلِّقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يُشهدْ عليه، ورجل آتى سفيهًا مالَه»، وقد قال الله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء:٥](١).

ومعنى الحديث: أن الرجل الذي يتزوّج امرأةً سيئة الطباع لو دعا عليها لسوء خُلُقها فلن يستجيب الله له؛ لأنه المعذِّب نفسه بمعاشرتها، وهو في سَعَةٍ من فراقها، وأما الرجل الثاني فهو مَن أقرضَ آخَر ولم يُشهِدْ على ذلك؛ فأنكره عندما طالبه بحقّه؛ فإذا دعا عليه فلا يستجاب له؛ لأنه المفرّط ابتداء؛ لعدم امتثال قول الحق – تبارك وتعالى –: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة:٢٨٢] وأما الرجل الثالث فهو مَن أعطى مالَه للسفهاء المبذّرين من الأزواج والأولاد ونحوهم، ولم يُحسن التصرّف فيه؛ فإذا دعا عليهم فلن يُستجاب له.

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟

قال: لأن قلوبكم ميتة، قالوا: وما الذي أماتها؟ قال: ثمان خصال:

عرَفْتُم الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته، وقُلْتُم نخشى الموت ولم تستعدوا له، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦] فواطأتموه على المعاصي، وقلتم: نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها: وقلتم: نحب الجنة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فُرشِكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم؛ فأسخطتم ربكم؛ فكيف يستجيب لكم؟!(٢).

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) إحياء علوم الدين.

وقيل لجعفر الصادق: ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه[١].

فائدة: وقد يدعو الصالحون فلا يجابون !

فالجواب: أن الإجابة تتنوّع؛ فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع لكن يتأخّر لحكْمة يعلمها الله، وتارة تقع الإجابة ولكن بغير المطلوب؛ حيث لا يكون في المطلوب مصلحةٌ ناجزة أو أصلح منها، أو في المطلوب مضرّة، وقد تُدَّخر له أجرًا ومثوبة في الآخرة، وفي ذلك يقول ﷺ: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحِم؛ إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجَّل له دعوتُه، وإما أن يدَّخرَها له في الآخرة، وإما أن يَصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذا نُكثر؛ قال: الله أكثر**»[٢].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «رأيت من البلاء العجاب أن المؤمن يدعو فلا يجاب؛ فيُكرر الدعاء وتطول المدة ولا يرى أثرا للإجابة؛ فينبغي له أن يعلم أنّ هذا من البلاء الذي يحتاج إلى الصبر، وما يعرض للنفس من الوسواس في تأخير الجواب مرض يحتاج إلى طبّ، ولقد عرَض لي من هذا الجنس؛ فإنه نزلتْ بي نازلةٌ فدعوْتُ وبالغْتُ فلم أر الإجابة؛ فأخذ إبليس يدور في حلبات كيده؛ فتارة يقول: الكرم واسع، والبخل معدوم؛ فما فائدة تأخير الجواب؟ فقلت: اخسأ يا لعين! فما أحتاج إلى تقاضٍ، ولا أرضاك وكيلًا.

ثم عدْتُ إلى نفسي فقلتُ: إياك ومساكَنَةَ وسوسته؛ فإنه لو لم يكن في تأخير الإجابة إلا أن يبلوَك في محاربة العدوّ؛ لكفى في الحكمة.

---

(١) إيقاظ أولي الهمم العالية، لعبد العزيز السلمان.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد في المسند، وصحَّحه الألباني.

قالتْ: فسَلِّنِي عن تأخير الإجابة في مثل هذه النازلة؛ فقلت: قد ثبت بالبرهان أن الله ﷻ مالك، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء؛ فلا وجه للاعتراض عليه.

والثاني: أنه قد ثبتت حكمته بالأدلة القاطعة؛ فربما رأيت الشيء مصلحة، والحق أن الحكمة لا تقتضيه، وقد يخفى وجه الحكمة فيما يفعله الطبيب من أشياء تؤذي في الظاهر يُقصد بها المصلحة؛ فلعل هذا من ذاك.

والثالث: أنه قد يكون التأخير مصلحة والاستعجال مضرة، وقد قال النبي ﷺ: «**لايزال العبد في خير ما لم يستعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي!**».

والرابع: أنه قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك؛ فربما يكون في مأكولك شبهة، أو قلبك وقت الدعاء في غفلة، أو تزاد عقوبتك في منع حاجتك لذنْبٍ ما صدقت في التوبة منه؛ فابحث عن بعض هذه الأسباب، لعلك توقن بالمقصود.

والخامس: أنه ينبغي أن يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب؛ فربما كان في حصوله زيادة إثم، أو تأخير عن مرتبة خير؛ فكان المنع أصلح، وقد روي عن بعض السلف أنه كان يسأل الله الغزو؛ فهتف به هاتف: إنك إن غزوت أُسِرْتَ، وإن أُسِرْتَ تنصَّرْتَ.

والسادس: أنه ربما كان فقد ما فقدتُه سببًا للوقوف على الباب واللجأ، وحصوله سببًا للاشتغال عن المسؤول، وهذا الظاهر، بدليل أنه لولا هذه النازلة، ما رأيناك على باب اللجأ»[1].

٣- آداب الدعاء:

الدعاء له آداب ينبغي أن يتأدب بها من أحبّ أن يكون دعاؤه أرجى قبولًا.

---

(١) صيد الخاطر.

- الدعاء على وضوء:

عن أبي موسى الاشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أرسل جيشًا وأمّر عليهم أبا عامر الأشعريَّ؛ فأصيب بسهم في ركبته؛ فنزعه أبو موسى؛ فقال له أبو عامر: بلِّغْ رسولَ الله ﷺ السلامَ، وقل له: يستغفر لي، ثم مات! فرجع أبو موسى فبلَّغَ رسولَ الله ﷺ فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال: اللهم اغفر لعبيد بن عامر، اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس، وقال أبو موسى: وَلِي فاستَغْفِرْ؛ فقال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبَه، وأدخِلْه يوم القيامة مُدخلا كريما»(١).

-استقبال القبلة:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ لما أراد أن يدعو على نفر من قريش؛ استقْبَل القبلة فدعا»(٢).

ولما أراد أن يدعو على المشركين يوم بدر استقبل القبلة، ثم مدَّ يديه يهتف بربّه(٣).

-التضرُّع إلى الله وخفضُ الصوت:

قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف:٥٥] التضرع: الخشوع والخضوع وإحضار القلب، والخفية: الإسرار.

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** «رفَع الناسُ أصواتهم بالدعاء فقال ﷺ: **«اربَعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبا؛ إن الذي تدعونه سميع قريب»**(٤).

قال الحسن البصري: «كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمَع لهم

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

صوتٌ؛ إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم»[١].

- رفْعُ اليدين أثناء الدعاء:

عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إن ربكم حيي كريم؛ يستحي أن يبسط العبد يديه إليه فيردهما صفرا خائبتين»[٢].

أن يبدأ بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسوله ﷺ وأن يختم دعاءه بذلك كذلك، وقد مرَّ ذلك.

- أن يعزم المسألة ولا يستثني:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «لا يقولن أحدُكم: اللهم اغفر لي إن شئتَ، اللهم ارحمني إن شئت؛ ليَعْزِم المسألةَ؛ فإن الله صانع ما شاء لا مُكْرِه له»[٣].

ويدخل في العزم: اليقين بالإجابة، وأن الداعي لن يعدم من دعائه خيرا؛ فقد قال ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»[٤].

-تَكرار الدعاء ثلاثًا:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان إذا دعا دعا ثلاثا، وإذا سأل سأل ثلاثا»[٥].

وكان ﷺ يُعجبه أن يدعو ثلاثا، ويستغفر ثلاثا»[٦].

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) رواه أحمد والترمذي والحاكم، وصحَّحه الألباني.

(٣) متفق عليه.

(٤) صحيح الترمذي.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه أحمد وأبوداود، وصحّحه الألباني.

- اجتناب الدعاء على النفس أو الولَد أو المال:

فقد قال ﷺ: «لا تدعو على أنفسكم، ولا تدعو على أولادكم، ولا تدعو على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»(١).

- اجتناب الدعاء بالموت لضُرٍّ أو مصيبة:

فقد قال ﷺ: «لا تدعو بالموت ولا تتمنوه؛ فمن كان داعيا لا بدَّ فليقل: اللهم أَحْيِني إذا كانت الحياة خيرًا لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيرا لي»(٢).

- الإكثار من قول: يا ذا الجلال والإكرام:

فقد قال ﷺ: «أَلِظُّوا بـ: يا ذا الجلال والإكرام»(٣).

- الدعاء باسم الله الأعظم:

فقد سَمِع النبي ﷺ رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمَد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد؛ فقال: «لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئِل به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب»(٤).

- الإلحاح على الله:

فقد قال ﷺ: «إذا سأل أحدكم فليُكثر؛ فإنما يسأل ربَّه»(٥).

- الإكثار من الدعاء حال الرخاء:

فالعبد إذا كان كثير التضرُّع والدعاء حال الرخاء؛ فما أسرع ما يُستجاب له،

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وصحَّحه الألباني.

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه، وصحَّحه الألباني.

(٥) رواه ابن حبان، وصحّحه الالباني في صحيح الجامع.

كما حصَل ليونس عَلَيْهِ السَّلَامُ حين التقمه الحوتُ، قال الله تعالى: «﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات:١٤٣، ١٤٤].

وقد قال ﷺ: «من سرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد؛ فليُكثر الدعاء في الرخاء»[١].

-الإكثار من سؤال الله العافية:

فقد قال ﷺ: «أكثِرِ الدعاء بالعافية»[٢].

فمن عافاه الله في الدنيا والآخِرة؛ فقد حاز الخيرَ كلَّه، وقد قال ﷺ للعباس: **«يا عمَّ رسول الله، سَلِ اللهَ العافيةَ في الدنيا والآخِرة»**[٣].

-عدم الاعتداء في الدعاء:

قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف:٥٥] والاعتداء في الدعاء كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «تارة يكون بسؤال محرَّم، وتارة يكون بسؤال الله ما ينافي حِكْمته، كأن يسأله أن يُخلّده إلى يوم القيامة، أو أن يعيش بلا طعام، أو يسأله أن يكون معصوما، أو أن يرفع صوته به، أو أن يدعو غيرَ متضرِّع، أو أن يُثْنِيَ عليه بما لم يُثْن به على نفسه، أو أن يتكلف فيه بسجْعٍ ونحوه»[٤].

عن عبد الله بن مغفَّل أنه سمِع ابنه يقول: «اللهم إني أسألك القصرَ الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتُها» فقال: يا بنيَّ، سَلِ اللهَ الجنةَ، وعُذْ به من النار؛ فإني سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«يكون قومٌ يعتدون في الدعاء والطهور»**[٥].

---

(١) صحيح الترمذي.

(٢) رواه الحاكم والطبراني وغيرُهما، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) صحيح الترمذي.

(٤) بدائع الفوائد بتصرُّف.

(٥) رواه ابن ماجه وأحمد، وصحَّحه الألباني.

ورأى سعدُ بن أبي وقاص أحدَ أبنائه يدعو قائلًا: «اللهم إني أسألك الجنةَ ونعيمَها وبهجتها وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها وكذا وكذا؛ فقال: يا بنيَّ، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، إِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنْ أُعِذْتَ مِنَ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ**»(١).

٤- تَحَرِّي أوقات الإجابة:

-عند الأذان وعند الإقامة وبينهما:

إذا أذَّن المؤذّنُ في بلد ما؛ فتَح الله لهذا البلد أبوابا في السماء لقبول دعائهم، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا نوديَ بالصلاة؛ فتحت أبواب السماء، واستُجيب الدعاءُ**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو أن رجلا قال: يا رسول الله، إن المؤذنين يفضلوننا؛ فقال ﷺ: «**قل كما يقولون؛ فإذا انتهيتَ فسَلْ تُعْطَه**»(٣).

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «لا يُردُّ الدعاءُ بين الأذان والإقامة»(٤).

وقال ﷺ: «اطلبوا استجابةَ الدعاء عند الْتِقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول الغيث»(٥).

- الدعاء دبر الصلوات:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [الشَّرح:٧] جاء في تفسيرها عن قتادة بإسناد

---

(١) صحيح أبي داود.

(٢) رواه الطيالسيُّ والضياء المقدسيُّ، وانظر صحيح الجامع.

(٣) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان والنسائي وغيرهم، وصحَّحه الألباني.

(٤) صحيح أبي داود.

(٥) رواه الشافعي في الأم، وصحَّحه الألباني في صيح الجامع.

صحيح أنه قال: أَمَرَه إذا فَرَغَ من صلاته أن يبالغ في دعائه.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه **أنه قال:** قيل يا رسول الله، أيُّ الدعاء أَسْمَعُ؟ قال: **جوف الليل الآخِر، ودبر الصلوات المكتوبة»**[(١)].

وكان صلى الله عليه وسلم **يقول لمعاذ: «لا تَدَعَنَّ دبُر كل صلاة أن تقول: اللهم أعِنِّي على ذِكْرِك وشُكْرك وحُسْن عبادتك»**[(٢)].

- أثناء السجود:

عن أبي هريرة رضي الله عنه **أن النبي** صلى الله عليه وسلم **قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثِروا الدعاء»**[(٣)].

وقال صلى الله عليه وسلم: **«وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فقَمِنٌ أن يُستجاب لكم»**[(٤)].

- ثلث الليل الآخِر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه **أن رسول الله** صلى الله عليه وسلم **قال: «ينزل ربنا – تبارك وتعالى – كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلثُ الليل الآخِر، يقول: مَن يدعوني فأستجيبَ له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفرَ له؟»**[(٥)].

- آخِر ساعة من يوم الجمعة:

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم **قال: «يوم الجمعة اثنا عشرة ساعةً، لا يوجد فيها عبد مسلمٌ يسأل الله شيئا إلا آتاه إياه؛ فالتمسوها آخِر ساعة بعد العصر»**[(٦)].

---

(١) رواه الترمذي والنسائي، وصحَّحه الألباني.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان وغيرهم، وصحَّحه الألباني.

(٣) رواه مسلم وغيره.

(٤) رواه مسلم وغيره.

(٥) متفق عليه.

(٦) رواه أبو داود والنسائي والحاكم، وصحَّحه الألباني.

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «الْتَمِسوا الساعة التي تُرجَى في يوم الجمعة بعد العصر إلى غيبوبة الشمس»(١).

- الدعاء عند نزول المطر:

سبق قولُ النبي ﷺ: «اطلبوا استجابةَ الدعاء عند الْتِقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول الغيث».

- عند سماع الدِّيَكَة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إذا سمِعْتُم صياح الدِّيَكة فاسألوا اللهَ من فضله؛ فإنها رأتْ ملَكًا، وإذا سمعْتُم نهيق الحمار؛ فتعوَّذوا بالله من الشيطان؛ فإنه رأى شيطانا»(٢).

٥- هؤلاء يستجيب اللهُ لهم:

- مَن سأل اللهَ باسْمه الأعظم:

عن بريدة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سمِع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد؛ فقال: والذي نفسي بِيَده؛ لقد سأل اللهَ باسْمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى»(٣).

فاسْمُ الله الأعظم هو (الله) جَلَّ جَلَالُهُ، كما ذَهَب إلى ذلك أكثرُ أهل العلم، كالطحاوي والقرطبي وابن القيم وغيرهم(٤).

---

(١) صحيح الترمذي.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد والحاكم وابن حبان، وصحَّحه الألباني.

(٤) راجعْ تفصيل ذلك في شرْح لفظ الجلالة (الله) جل جلاله.

ويجب التنبيه على أنه لا يلزم أن تجاب كل دعوة دعا بها أحد بهذا الاسم؛ لأن لإجابة الدعاء شروطًا يجب أن تتوافر، وموانع يجب أن تزول؛ حتى يُرجى قبولُ الدعاء.

- من سأل الله بخالص عَمَله:

وأحسن ما يُبيِّن ذلك قصَّةُ أصحاب الغار؛ فعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ؛ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ؛ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالحِلاَبِ؛ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبُهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ؛ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ.**

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لاَ تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ؛ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ.

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ -مكيال يسع ثلاثة آصع- **مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ؛ فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَعْطِنِي حَقِّي؛ فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ؛ فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ**»(١).

---

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

فالإخلاص منجاة للعبد في الدنيا والآخِرة.

فتفكَّرْ في نفسك قليلا لو أنك وقعْتَ في شدَّةٍ وليس معك مَن يساعدك؛ فما الأعمال الصالحة والخالصة التي ستدعو اللهَ بها؟ وهل لديك رصيدٌ كافٍ منها؟

- مَن دعا لأخيه بظهْر الغيب:

عن صفوان بن عبد الله بن صفوان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكانت تحته الدرداء بنتُ أبي الدرداء؛ فقدمتُ عليهم الشامَ فوجدتُ أمَّ الدرداء في البيت ولم أجد أبا الدرداء؛ فقالت: أتريد الحجَّ العامَ؟ قلت: نعم، قالت: فادع اللهَ لنا بخير؛ فإن النبي ﷺ كان يقول: «إن دعوة المسلم مستجابة لأخيه بظهْر الغيب، عند رأسه مَلَك موكَّلٌ، كلما دعا لأخيه بخير قال الموكَّل به: آمين، ولك بمثْل»(١).

وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه بتلك الدعوة؛ لأنها تُستجاب، ويحصُل له مثلُها(٢).

- المظلوم:

لما بعث النبي ﷺ معاذا إلى اليمَن قال له: «اتَّق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(٣).

وقال ﷺ: «دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا، ففجوره على نفسه»(٤).

وكان النبي ﷺ يقول: «اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تُحمَل على الغمام، يقول الله: وعزَّتي وجلالي لأنصُرَنَّك ولو بعد حين»(٥).

---

(١) رواه مسلم وغيرُه.

(٢) شرْحُ الطيبي على مشكاة المصابيح.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد وغيرُه، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) رواه الطبراني، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وكان يقول: «اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»[١].

فتأمَّل كيف شبَّه النبي ﷺ سُرعَةَ صعودَها إلى الله بسرعة طيران الشرار من النار؛ فاحذر كل الحذر ظُلْم الناس في أموالهم أو أعراضهم أو دمائهم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.

لا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتدرًا ... فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ ... يدعو عليك وعيْنُ الله لم تَنَمِ

- دعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولَده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثلاث دعواتٍ مستجابات، لا شك فيهن، دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده» وفي رواية الترمذي: «ودعوة الوالد على ولَده»[٢].

وفيه تنبيه وتحذير للأبناء على أهمية إرضاء الآباء، وضرورة برّهم، واجتناب إغضابهم طرفة عين.

وأُخذ من هذا الخبر وما أشبهه: أن الأب أولى بالصلاة على جنازة ولَده[٣].

- دعوة المكروب:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ الله لَه»[٤].

---

(١) رواه الحاكم، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه أحمد وابن ماجه والبخاري في الأدب، وصحَّحه الألباني.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي.

(٤) رواه أحمد والترمذي والحاكم والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

- الذاكر الله كثيرا:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يردُّ الله دعاءهم: الذاكر الله كثيرًا، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط»[١].

وإنما يكون العبد ذاكرًا لله ذِكْرا كثيرا إذا:

- حافَظ على الأذكار المقيَّدة، كأذكار الصباح والمساء، ودبر الصلوات، والخروج والدخول، والطعام والشراب والنوم، ونحو ذلك.

- حافَظ على شيء من الأذكار المطْلَقة، وجعَل لنفسه وِردا منها، وداوَم عليه بالمحاسبة، كالتهليل والتسبيح والتحميد والحوقلة، والصلاة على النبي ﷺ ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤١] وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥] وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب:٣٥].

عن لقمان بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلا أتي أبا مسلم الخولانيَّ فقال: أَوْصِني، قال: اذكُر الله تحت كل شجرة وحجَر؛ فقال: زِدْني، قال: اذكُر اللهَ حتى يحسبك الناس مجنونًا، وكان أبو مسلم يُكثر ذِكْر الله؛ فرآه رجلٌ فقال لأصحابه: أمجنونٌ صاحبكم؟ فسمِعَه أبو مسلم فقال: يا أخي، هذا دواء الجنون»[٢].

وكان أبو الدرداء لا يفْتُر عن ذِكْر الله؛ فقيل له يومًا: «كم تسبّح في اليوم؟ فقال: مائة ألف إلا أن تُخطئ الأصابع»[٣].

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) شُعب الإيمان للبيهقي.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي.

- الحاج والمعتمر:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الغازي في سبيل الله والحاجُّ والمعتمر وفْدُ الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم»[١].

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان، وحسَّنه الألباني.

(٦٥) الْـجَـمِيـلُ جَلَّ جَلَالُهُ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ، بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[1].

- بطر الحق.: ردُّه
- **غمط الناس**: احتقارهم والحط من منازلهم.

❒ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللهُ: «هذا الحديث الشريف مشتمل على أصلين عظيمين، فأوله معرفة وآخره سلوك، فيُعرف الله سبحانه بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء، ويعبد الله بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق، فيحب من عبده أن يُجَمِّلَ لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه، وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ والشعور المكروهة والختان وتقليم الأظفار، فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه، فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة والسلوك»[2].

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(الجميل) جَلَّ جَلَالُهُ: من له نعوتُ الحسن والإحسان، فإنه جميلٌ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الفوائد.

١ - جمال ذاته:

لا يمكن لمخلوقٍ أن يعبّر عن بعض جمال ذاته، حتى أن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم واللذات والسرور والأفراح، إذا رأوْا ربهم، وتمتعوا بجماله، نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودوا أن لو تدوم هذه الحال؛ ليكتسبوا من جماله ونوره جمالًا إلى جمالهم، وكانت قلوبهم في شوقٍ دائمٍ، ونزوعٍ إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد – يوم الجمعة – فرحًا تكاد تطيرُ له القلوب.

✱ **كما قال ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»**[١].

٢ - جمال أسمائه:

فأسماؤه كلها حسنى، بل هي أحسن الأسماء وأجملها على الإطلاق، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

فكلها دالة على غاية الحمد والمجد والكمال، لا يسمى باسم منقسمٍ إلى كمال وغيره.

٣ - جمال أوصافه:

فإن أوصافه كلها أوصاف كمال، ونعوت ثناءٍ وحمد.

٤ - جمال أفعاله:

فأفعاله كلها جميلة، فإنها دائرةٌ بين أفعال البر والإحسان التي يُحمد عليها،

---

(١) رواه مسلم.

ويُثنى عليها، ويُشكر عليها، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقتها للحكمة والحمد، فليس في أفعاله عبثٌ ولا سفهٌ ولا سدىً ولا ظلم، كلها خيرٌ وهدىً ورحمةٌ ورشدٌ وعدلٌ.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود:٥٦][١].

ومَن أحقُّ بالجمال ممن كل جمالٍ في الوجود فهو من آثار صنعه؟

فله جمال الذات، وجمال الأوصاف، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، فأسماؤه كلها حسنى، وأوصافه كلها كمال، وأفعاله كلها جمال.

فلا يستطيع بشرٌ في هذه الدار النظر إلى جلاله وجماله، فإذا رأوْه – سبحانه- في جنات عدن، أَنْسَتْهُم رؤيته ما هم فيه من النعيم، فلا يلتفتون حينئذٍ إلى شيءٍ غيره[٢].

«حجابه النور لو كشفَه، لأحرقتْ سُبُحاتُ وجهِه ما انتهى إليه بصرُه من خلقِه»[٣].

قال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ليس عند ربكم ليلٌ ولا نهار، نورُ السماوات والأرض من نور وجهه».

وهو الجميل على الحقيقة كيف لا ... وجمال سائر هذه الأكوان.
من بعض آثار الجميل فربُّها ... أولى وأجدر عند ذي العرفان.
فجماله بالذات والأوصاف ... والأفعال والأسماء بالبرهان.
لا شيء يشبه ذاته وصفاته ... سبحانه عن إفك ذي البهتان[٤].

---

(١) الحق الواضح المبين للسعدي، بزيادات وتصرف.

(٢) رروضة المحبين.

(٣) رواه مسلم.

(٤) نونية ابن القيم.

➢ **كيف نعبد الله باسمه الـجـمـيـل؟**

✵ **أولًا: أن نحبه سبحانه وتعالى الحب كله، الحب الأكبر، الحب الخالص:**

فإذا كان الجميل من الأقوال والأعمال والأحوال والناس يُحبّ، فكيف بمن كلُّ جمال في الوجود، فهو من آثار جماله سبحانه؟

قال ابن القيم رحمه الله: «والمحبة لها داعيان: الجمال والإجلال، والرب (جل جلاله) له الكمال المطلق من ذلك، فإنه جميلٌ يحب الجمال، بل الجمال كلّه له، والإجلال كله منه، فلا يستحق أن يحب لذاته من كل وجه سواه»(١).

● **فإن قلتَ**: وكيف أعرفُ أنني أحبه؟

⬅ **الجواب**: خمسُ خصالٍ مذكورة في هاتين الآيتين، هي علامة حبك له.

● **الآية الأولى:**

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

● **الآية الثانية:**

قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: رحماءُ بهم، مشفقون عليهم.

قال عطاء: «للمؤمنين كالولد لوالده، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته».

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: شدادٌ غلاظٌ، لا يلينون لهم؛ لأنهم عادَوْا الله ورسوله.

---

(١) الجواب الكافي.

﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: بالنفس واليد واللسان والمال.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾: يقولون الحق، ويعملون به، لا يُعطِّلهم عن ذلك لوْم اللائمين أو إرهاب المرهبين، أو تثبيط المثبطين.

اتباع الرسول ﷺ وطاعته.

❋ ثانيًا: أن نشتاق إلى رؤيته جل جلاله:

مَنْ عرفَ (الجميل) جل جلاله، اشتاق إلى رؤيته وجماله.

ولذلك كان أعرف الناس بالله، رسولنا ﷺ يكثر من قوله في دعائه: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرّة، ولا فتنة مضلَّة**»(١).

وحريٌّ بالمؤمن أن يتأسى بنبيه ﷺ في هذا الدعاء.

وليعلم العبد أنه لا يتنعم بجمال الله، ولا يتلذذ برؤيته يوم القيامة إلا مَنْ آمن بالله وعمل صالحًا: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢،٢٣].

هذه الوجوه هي التي قال الله عنها: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩﴾ [عبس:٣٨، ٣٩].

وفي المقابل أخبر الله تعالى عن الكافرين الفاجرين المعرضين عن رب العالمين قائلًا: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦﴾ [المطففين: [١٥،١٦].

❋ ثالثًا: أن نرضى بما يقدره سبحانه وتعالى ويقضيه من المصائب والآلام:

فمن عرف (الجميل) جل جلاله، عرف أنه سبحانه لا يصدر منه إلا الجميل، ولا يفعل بعبده إلا الجميل، فإن أفعاله كلّها جميلة، وإن بدا لقاصر النظر والجاهل بالمآلات، خلاف ذلك.

---

(١) صحيح سنن النسائي.

❐ **كان النبي ﷺ إذا استفتح صلاته يقول: «... لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»**(١).

إن هذا مما يثمر في قلب المؤمن الطمأنينة إلى أقدار الله المؤلمة، وحسن الظن به سبحانه، واليقين بأنه ما قدَّر على العبد إلا كل جميل، وإن رأى العبد خلاف ذلك.

❋ رابعًا: أن يحرص العبد على أن يكون جميلًا نقيًّا نظيفًا في ظاهره وباطنه:

▫ **قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على حديث: «إن الله جميلٌ يحب الجمال..»:** «فيُعرف الله بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء، ويُعبد الله بالجمال الذي يحبه....».

وقال: «فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه...»(٢).

● فمن عرف (الجميل) جَلَّ جَلَالُهُ، حرص أن يكون جميلًا في ظاهره وباطنه، وعبد الله بذلك.

○ **أولًا: جمال الظاهر:**

فالله تعالى كما جمّلَ خلقه وزيَّنه، فهو سبحانه، فهو سبحانه يحب الجمال من خلقه، يحب من عباده أن يتجمّلوا ويتزينوا، ولا يهملوا أنفسهم.

قال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ [الأعراف: ٢٦].

أي لباسًا كماليًّا تتجملون به وتتزينون فيه.

وقال تعالى: ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ

---

(١) رواه مسلم.
(٢) انظر الفوائد، وقد مضى الكلام بأكمله.

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

[الأعراف: ٣١،٣٢].

وكان النبي ﷺ يأمر أصحابه بالتجمّل والتزيّن والنظافة وينكر على مَن أهمل في ذلك.

○ **كان ﷺ يقول: «إن الهدْيَ الصالح والسمْتَ الصالح والاقتصاد جزءٌ من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة»**(١).

«والمراد بالعدد المذكور التكثير لا التحديد، يريد أن هذه الخصال من شمائل الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، وأنها جزءٌ من أجزاء فضائلهم، فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها........»(٢).

وكان يقول: «البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم»(٣).

ويتأكد التجمل والتزين والتنظف والتطيب عند حضور الجماعة والجمعة والعيدين، كما قال ﷺ: **«من اغتسل يوم الجمعة ولبس من أحسن ثيابه ومسَّ من طيب إن كان عنده، ثم أتى الجمعة فلم يتخطَّ أعناق الناس، ثم صلى ما كَتَبَ الله له، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يفرغ من صلاته؛ كانت كفارة لما بينها وبين جمعته التي قبلها»**(٤).

وعن أبي الأحوص عن أبيه قال: «أتيت النبي ﷺ في ثوب دون، فقال: **«ألك**

---

(١) صحيح سنن أبي داوود.

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري.

(٣) رواه أبوداوود وابن ماجه والترمذي وصححه الألباني.

(٤) صحيح سنن أبي داوود.

مال؟»قال: نعم، قال: «**من أي المال؟**»قال: قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق، قال: «**فإذا آتاك الله مالا فليُرَ أثرُ نعمة الله عليك وكرامتِه**»(١).

ورأى النبي ﷺ رجلًا شعثًا قد تفرّق شعرُه، فقال: أما كان يجدُ هذا ما يُسكِّن به شعره؟!

ورأي رجلًا آخر وعليه ثيابٌ وسخةٌ، فقال: أما كان هذا يجدُ ماءً يغسل به ثوبه؟»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت**: قال رسول الله ﷺ: «**عشر من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم -عقد الأصابع- ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء، يعني الاستنجاء**» قال الراوي: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة»(٣).

↤ **والمقصود بالفطرة هنا**: الخصال التي اتفقت سائر الشرائع عليها، ودعت إليها.

وقال ﷺ: «**السواكُ مطْهَرةٌ للفم مرضاةٌ للرب**»(٤).

وقال ﷺ: «**من كان له شعرٌ فليكرمه**»(٥).

وقال ﷺ: «**حُبِّبَ إليَّ الطيب والنساء، وجُعِلَتْ قرةُ عيني في الصلاة**»(٦).

□ هذا، وقد بيَّن النبي ﷺ: أن من أسباب عذاب القبر عدم تطهر المسلم من بوله.

---

(١) رواه أبوداوود والنسائي وصححه الألباني.

(٢) صحيح أبي داوود.

(٣) رواه مسلم.

(٤) صحيح سنن ابن ماجه.

(٥) صحيح سنن أبي داوود.

(٦) رواه أحمد وأبوداود والنسائي والحاكم وصححه الألباني.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: مَرَّ رَسُولُ اللهِ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ بَوْله – وفي رواية مسلم: لا يَسْتَنْزِهُ من البول – وَأَمَّا الآخَرُ فَكَان يَمْشِي بَيْنَ النّاسِ بِالنَّمِيمَةِ**»[١].

وحثَّ الإسلام على نظافة الطرق، وجعل ذلك من شعب الإيمان.

قال رسول الله ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمان**»[٢].

وبيَّن النبي ﷺ أن وضع الأذى في الطريق مما يجلب اللعنة على صاحبه، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اتَّقُوا اللاعِنَيْنِ. قَالُوا: وَمَا اللاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ**»[٣].

وقال: «**اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، والظل، وقارعة الطريق**»[٤].

ولِحب النبي ﷺ للجمال وحرصه عليه، كان يدعو لغيره به.

فعن عمر بن أخطب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «استَسقى رسولُ اللهِ ﷺ، فأتَيته بإناءٍ فيه ماءٌ، وفيه شَعرةٌ فرَفَعتُها، ثُمَّ ناوَلتُه، فقال: «**اللَّهُمَّ جَمِّلْه**»، قال الراوي: فرَأَيتُه بعدَ ثَلاثٍ وتِسعينَ سَنةً وما في رَأسِه ولِحيَتِه شَعرةٌ بَيضاءُ.

وعنه أن رسول ﷺ مسح وجهه ودعا له بالجمال».

➢ تَـجَـمُّـــل الْـمَـرْأَة:

ولا فرق في الأمر بالتجمل والتزين بين الرجال والنساء، فالمرأة مأمورةٌ

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أبوداود وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني.

بالتجمل والتزين أيضًا، بل إن الله تعالى -مراعاةً لفطرتها، وإجابةً لأنوثتها- رخَّصَ لها في أنواع من الزينة حرَّمها على الرجال.

كما قال(ﷺ): «أُحِلَّ الذهبُ والحريرُ لإناثِ أمتي، وحرِّمَ على ذكورها»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أَهْدى النَّجاشيُّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ حَلقةً فيها خاتمُ ذَهَبٍ فيهِ فصٌّ حبشيٌّ، فأخذَهُ رسولُ اللهِ ﷺ بعودٍ، وإنَّهُ لَمُعرضٌ عنهُ، ثمَّ دعا بابنةِ ابنتِهِ أُمامةَ بنتِ أبي العاصِ، فقالَ: تحلِّي بِهَذا يا بُنَيَّةُ»(٢).

• فإذا تزينت المرأة بالمباح- أيًّا كانت صورته- وجب عليها ستر هذه الزينة عمّن لا يجوز أن يراها من غير الزوج والمحارم؛ لقوله تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾**﴾ [النور: ٣١].

فإذا تجمَّلت المرأة وازيَّنتْ وخرجت إلى الشارع، وجب أن تكون زينتها مستورة بجلبابها بحيث لا يراها أحد، فإلم تُدْنِ عليها من جلبابها وخرجت متزينةً متبرجةً، أبدت عورتها وأظهرت فتنتها؛ فقد عرَّضت نفسها للعنة الله والطرد من رحمته، كما قال ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُءُوسُهُنَّ**

(١) صحيح سنن النسائي.

(٢) رواه أبوداود وابن ماجه وصححه الألباني.

كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»(١).

○ **وقال ﷺ: «كلُّ عينٍ زانيةٌ، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس، فهي كذا وكذا يعني زانية»**(٢).

ولَقِيَ أَبُو هُرَيْرَةَ امْرَأَةً مُتَطَيِّبَةً، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا أَمَةَ الْجَبَّارِ؟ قَالَتْ: الْمَسْجِدَ، قَالَ: وَلَهُ تَطَيَّبْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: ارْجِعِي فَاغْتَسِلِي، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ، ثُمَّ خَرَجَتْ تُرِيدُ الْمَسْجِدَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهَا صَلاَةٌ، وَلاَ كَذَا وَلاَ كَذَا، حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ غُسْلَهَا مِنَ الْجَنَابَةِ**».(٣).

تَـجَـمُّـلٌ مُـحَـرَّمٌ:

ألا إن الرجال والنساء جميعًا مأمورون بالتجمل المباح وترك المحرم.

ومن المحرم من التجمّل والزينة مايلي:

١- تجمل الرجال بالحرير أو الذهب فعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهبٍ في يد رجلٍ، فنزعه فطرحه وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرةٍ من نار فيجعلها في يده؟**» فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، فقال: لا والله، لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ»(٤).

▫ وعن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رأى حلَّةً سيراء-أي من ذهبٍ -عند باب المسجد فقال: يارسول الله لو اشتريتَ هذه فلبسْتَها للناس يوم الجمعة وللوفد

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وأبوداود والنسائي وحسنه الألباني.

(٣) رواه أبوداود وابن ماجه وصححه الألباني.

(٤) رواه مسلم.

إذا قدموا عليك، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة**»(١).

٢- إسبال الرجال في أُزُرِهِم – جمع إزار–، وأرديتهم- جمع رداء- وقُمُصهم وعباءاتهم، ونحو ذلك.

ومعنى الإسبال: أن يَستر ثوبُ الرجل كعبيه.

فقد قال ﷺ: «**أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، لا جناح عليه ما بينه وبين الكعبين، وما أسفل من الكعبين ففي النار**»(٢).

● **وقال** ﷺ: «**من جرَّ ثوبه مخيلةً، لم ينظر الله له يوم القيامة**»(٣).

● **وعن أبي ذرٍّ عن النبي** ﷺ **قال**: «**ثلاثةٌ لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ**»، قالها ثلاثًا، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل إزاره، والمنان، والمُنَفِّقُ سلعته بالحلف الكاذب**»(٤).

٣- ثوب الشهرة للرجل كان أو للمرأة:

▪ **قال** ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة، ألبسه الله ثوب مَذَلَّةٍ يوم القيامة، ثم ألهب فيه نارًا**»(٥).

٤- التشبه بالكفار في ثيابهم:

▪ **قال رسول الله** ﷺ: «**من تشبَّه بقومٍ، فهو منهم**»(٦).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبوداود وابن ماجه وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم وغيره.

(٥) رواه أبوداود وابن ماجه وحسنه الألباني.

(٦) صحيح أبي داود.

٥- تشبه الرجال بالنساء في ثيابهن، أو تشبه النساء بالرجال في ثيابهم:

فقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»(١).

٦- حلق اللحية:

لأن إعفاءها واجب، وحلقها حرام وتغيير لخلق الله.

▪**فقد قال الله ﷺ: «أنهكوا الشوارب، وأعفوا اللحى»**(٢).

ففي اللحية جمالٌ للرجل وزينةٌ له، ومما رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول في حلفها: «والذي زَّين الرجال باللحى».

٧- الوشم والوصل والنمص وتفليج الأسنان:

وهذه الخصال التي توجب اللعنة وتُحِلُّ سخط الله، وكثيرًا ما يقع فيها النساء.

▪ **فقد رويَ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال:**

«لعن الله الواشمات، والمستوشمات، والنامصات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله» فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات، والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن -اللاتي يفرقن بين الأسنان- المغيرات خلق الله، فقال عبدالله: «ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ، وهو في كتاب الله» فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر:٧]، فقالت المرأة: فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتك، قال: «اذهبي فانظري» فدخلت على امرأة عبد الله فلم ترَ شيئًا، فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئًا، فقال: «أما لو كان ذلك لم نجامعها».

أي: لو كانت زوجتي تشم، أو تصل الشعر، أو تتفلج، أو تنمص، ما اجتمعت معها في بيت واحد(١).

وعن عائِشَة: أنَّ امْرَأةً من الأنْصارِ زَوَّجَتِ ابْنَتَها، فَتَمَعَّطَ شَعرُ رأسِهَا- أي أصابته آفة - فَجاءَتْ إِلَى النبيِّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذلِكَ لهُ، فقالتْ: إنَّ زَوْجَها أمَرَنِي أنْ أصِلَ فِي شَعَرِها، فَقَالَ: «لَا، إنَّهُ قَدْ لُعِنَ المُوصِلاَتُ»(٢).

٨- التزين بإطالة الأظفار:

فإن في ذلك مخالفةً لسنن الفطرة، كما سبق.

✵ ثانيًا: جمالُ الباطن:

إذا كان ديننا العظيم قد أمرنا بنظافة الظاهر وطهارته، والحرص على جماله وبهائه، فإن أمره بنظافة الباطن وطهارته والحرص على جماله، أعظم وأكبر.

كيف لا، والقلب محلُّ نظر الربِّ، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(٣).

فالمؤمن ينبغي أن يعتنيَ بجمال باطنه أكثر من اعتنائه بجمال ظاهره، فجمال ظاهره مطلوب، لكنه محل نظر المخلوق، إنما جمال باطنه محلّ نظر الخالق (جل جلاله).

❑ **قال الإمام النووي:** «معنى ذلك: أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

التقوى، وإنما تحصل مما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته......»[١].

وبعد أن قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف:٢٦] ؟

فقد خلق الله لعباده الجمالين:

- **اللباس والزينة:** تُجمِّل ظواهرهم.
- **والتقوى:** تُجمّل قلوبهم وبواطنهم.

فالقلب هو المخاطب، وهو المعاتب، وهو المطالب، وهو الذي يسعد بالقرب من الله إذا صاحبه زكّاه، وهو الذي يشقى بالبعد عن الله إذا صاحبه دنّسه ودسّاه، وهو المطيع في الحقيقة لله؛ فهو ملك الأعضاء، وهي جنوده ورعاياه، فإذا صلح الملك، صلحت الجنود والرعايا.

ولا يصلح الملك إلا إذا خلا من الأحقاد والأغلال والأحساد، والبغي والرياء والغرور وحب الظهور، وغير ذلك من الأمراض الفاتكة، والأخطار المهلكة.

❁ **ألا وإن مما يجمّل الباطن ويطهره وينقيه:** الحرص على الطاعات، وخصوصًا طاعات السر، واجتناب المعاصي، وخصوصًا معاصي الخلوات؛ فإنها هادمةٌ للثبات وقاطعةٌ للطاعات.

وقد قال ﷺ: «إن العبد إذا أخطأ خطيئةً نُكتت في قلبه نكتةً سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب، صُقِل قلبه، وإن عاد، زيدَ فيها حتى تعلوَ على قلبه، وهو الرّان الذي ذكر الله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ »[٢].

---

(١) شرح النووي على مسلم.

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وحسنه الألباني.

جَـمــالُ الْخُــلُـقِ:

وإذا كانت أخلاق الباطن جميلة، كانت أخلاق الظاهر كذلك.

قال يحيى بن معاذ: «القلوب كالقدور، تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها، فانظر إلى الرجل حين يتكلم، فإن لسانه يغترف ذلك بما في قلبه، حلو وحامض، وعذب وأجاج، وغير ذلك»(١).

ولهذا دعانا الله تعالى إلى كل خُلقٍ جميل؛ لأن ذلك-غالبًا- علامةٌعلى أن الباطن جميل، فدعانا الله إلى الصبر الجميل، ودعانا إلى الهجر الجميل، ودعانا إلى الصفح الجميل، حتى دعانا الله إلى الطلاق الجميل-إذا استدعى الأمر ذلك.

• تَــأَمَّـــلْ:

قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥﴾ [المعارج:٥].

أي صبرًا لا شكاية فيه لأحدٍ غير الله، وقد قال تعالى ذلك لنبيه في مقابل استهزاء الكفار به وإعراضهم عن دعوته.

وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾ [المزمل:١٠].

أي هجرًا لا أذى فيه، وقيل: هو الهجر في ذات الله، وفي سبيل رضاه.

وكما قال عزّ من قائل: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ﴾ [الأنعام:٦٨].

وقال تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر: ٨٥]، أي صفحًا وعفوًا لا عتاب فيه.

وقال الله لنبيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا

---

(١) الجواب الكافي ابن القيم.

فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الأحزاب:٢٨].

وفي السورة نفسها يخاطب الله المؤمنين بنحو هذا الخطاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [الأحزاب:٤٩].

أي طلاقًا خاليًا من الظلم ومنع الحقوق الواجبة.

▼**الصبر الجميل**: الذي لا شكاية فيه.

▼ **والهجر الجميل**: الذي لا أذى فيه.

▼ **والصفح الجميل**: الذي لا عتاب فيه.

▼ **والطلاق الجميل**: الذي لا ظلم فيه.

وهذه الأخلاق الجميلة ثمراتها جميلة.

فقد قال ﷺ: «**ما من شيءٍ يوضع في الميزان أثقلُ من حسن الخلق**»(١).

وقال ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(٢).

وقال ﷺ: «**إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقًا**»(٣).

وأخيرًا: أعمال تُكْسِبُ صاحبها الجمال:

١- الإيمان:

وما أدراك ما الإيمان؟!

---

(١) رواه أبوداود والترمذي وصححه الألباني.

(٢) صحيح سنن أبي داود.

(٣) صحيح سنن الترمذي.

إذا دخل الإيمان القلوب وأشرق فيها وأضاءها، انعكس هذا الضوء على وجه العبد، فكساه جمالًا ونضرةً وبهاءً، وانعكس ذلك على سائر أركانه، فكانت حياته نورًا وجمالًا، وخاتمته نورًا وجمالًا، وكان قبره نورًا وجمالًا، وكانت آخرته نورًا وجمالًا؛ ولهذا كان النبي ﷺ كثيرًا ما يدعو.

ويقول: «**اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، ومن فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، ومن أمامي نورًا، ومن خلفي نورً.....ا**»[١].

▫ **وكان ﷺ يقول**: «**اللهم اجعل لي في قبري نورًا**»[٢].

فالإيمان إذا غمرت بشاشته القلوب وارتكز في النفوس، كسا صاحبه نورًا وجمالًا.

ولــكـــن ما الإيمان؟

الإيمان المرادُ: هو تحقيق التوحيد، تحقيق ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

أن يُصَدِّق العبد تصديقًا جازمًا، ويقرُّ إقرارًا كاملًا، ويعترف اعترافًا تامًا بوجود الله سبحانه وبربوبيته، أي أنه خالقُ كلِّ شيء وربُّه ومليكُه ومدبِّرُه، وبألوهيته: أي استحقاقه وحده العبودية والطاعة، وباتصافه سبحانه بكل صفات الكمال ونعوت الجلال والأسماء الحسنى، لا شريك له في شيء من خصائصه، ويطمئن القلب بذلك اطمئنانًا تُرى آثاره في سلوك العبد.

وأن يقبل العبد جميع ما أخبر به النبي ﷺ عن ربه من أمور الغيب وأحكام الشرع ومفردات الدين، ويلتزم ذلك التزامًا ظاهرًا وباطنًا، كليًّا بلا منازعة ولا

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح سنن الترمذي.

مدافعة ولا ممانعة.

• الإيمان يُكسب صاحبه النور والجمال والاطمئنان، يظهر ذلك على وجهه، يعرفه كلُّ أحدٍ، ويحبه عليه كلُّ أحد.

• **ولهذا قال عبد الله بن سلام**: «لما قدِمَ رسول الله ﷺ المدينة، انجفل الناس إليه، قيل: قَدِم رسول الله، فجئت في الناس لأنظرَ إليه، فلما استبنتُ وجه رسول الله ﷺ، عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذّاب، فكان أوّلُ شيءٍ تكلم به أن قال: «**يأيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام**»[(١)].

• ومن ذلك أيضًا ما حدث لأسيد بن حضير حين أسلم، فدخل على قومه، قال مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما: والله، لقد عرفنا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم، في إشراقه وتسهُّله.....»[(٢)].

ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «اللهم زيِّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين»[(٣)].

٢- الـصـــــــلاة:

فالصلاة نور كما قال ﷺ: «الصلاة نورٌ»[(٤)].

«فالصلاة تنوِّر وجه صاحبها في الدنيا، وتكسوه جمالًا وبهاءً -كما هو مشاهدٌ ومحسوسٌ- وتنير قلبه؛ لأنها تشرق فيه أنوار المعارف»[(٥)].

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) انظر سيرة ابن هشام.

(٣) رواه النسائي وابن حبان وصححه الألباني.

(٤) رواه مسلم.

(٥) لماذل نصلي؟ محمد أحمد اسماعيل.

قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩].

▫ **هذه السِّيمَا هي:** الوضاءة والإشراق والصفاء، والشفافية والجمال.

«فيبدو المصلي نتيجة الخشوع والخوف والرجاء، والحمد والتسبيح، كأنه إنسانٌ جاء من الآخرة؛ ليحدَّث الناس بما شاهده هنالك، أو كإنسانٍ انفلت من جيل الأوائل، وقفز ليعيش بيننا في عصرنا»(١).

● **محمد بن نصر المروزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال محمد بن يعقوب بن الأخرم: «ما رأيت أحسن صلاة من محمد بن نصر، كان الذباب يقع على أذنه، فيسيل الدم، ولا يذبه عن نفسه، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته وخشوعه وهيئته للصلاة، كان يضع ذقنه على صدره، فينتصب كأنه خشبة منصوبة، وكان من أحسن الناس خلقًا، كأنما فُقِئَ في وجهه حب الرمان، وعلى خديه كالورد، ولحيته بيضاء»(٢).

➡ **وتأمل قول النبي ﷺ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ»**(٣).

● **فقوله:** «فأصبح نشيطًا طيب النفس» معناه: لسروره بما وفقه الكريم له من الطاعة، وما وعده به من ثوابه، مع ما يبارك له في نفسه وتصرُّفه في كل أموره، مع ما زال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه.

---

(١) لماذل نصلي؟ محمد أحمد اسماعيل.

(٢) سير أعلام النبلاء.

(٣) متفق عليه.

● **وكان جابرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول:** «من كثُرت صلاتُه بالليل، حسُن وجهُه بالنهار»(١).

● **و سُئِلَ الحسن البصري:**

ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهًا؟

قال: «لأنهم خَلَوْا بالرحمن فألبسهم من نوره»(٢).

ويتعدى هذا النور من نور الوجه والحياة والقلب إلى نور القبر.

○ **قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** «صلوا ركعتين في ظُلَمِ الليل لظلمة القبر».

بل يتعدى ذلك النور إلى يوم القيامة، كما قال رسول الله ﷺ: «**بشر المشائين في الظُلَمِ إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(٣).

● **وقال ﷺ:** «**مَا مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، قَالُوا: وَكَيْفَ تَعْرِفُهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ فِي كَثْرَةِ الْخَلَائِقِ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ دَخَلْتَ صَبْرَةً (حظيرة) فِيهَا خَيْلٌ دُهْمٌ (سود) بُهْمٌ (سوادهم خالص)، وَفِيهَا فَرَسٌ أَغَرُّ (في وجهه بياض) مُحَجَّلٌ (في قوائمه بياض)، أَمَا كُنْتَ تَعْرِفُهُ مِنْهَا؟» قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ أُمَّتِي يَوْمَئِذٍ غُرٌّ مِنَ السُّجُودِ، مُحَجَّلُونَ مِنَ الْوُضُوءِ»(٤).

٣- طلـبُ العِلْمِ الشَّـرْعِـيّ:

أفضل ما تُقضى فيه الأوقات، وتُنال به اللذات، أن يعرف العبد عن الله ورسوله؛ فالعلم بالله أفضل مُكتسَب، وأشرف مُنتسَب، فما اكتسب مكتسِبٌ مثل العلم، يهدي صاحبه إلى هدىً ويصُدُّه عن ردىً، فهو حياة القلوب من الجهل،

(١) صحيح سنن ابن ماجه.

(٢) إحياء علوم الدين الغزالي.

(٣) رواه أبوداود والترمذي وصححه الألباني.

(٤) رواه مسلم.

ومصابيح الأبصار من الظلم، وبه يبلغ العبد منازل الأخيار، والدرجات العُلا في الدنيا والآخرة.

كان مصعب بن الزبير يقول لولده: «يابني: تعلّم العلم، فإنه إن يكن لك مالٌ، يكن العلمُ لك جمالًا، وإن لم يكن لك مالٌ، كان العلم لك مالًا».

❑ **قال الحسن البصري:** «كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه ولسانه وبصره ويده»[(١)].

❑ **قال الميموني:** «ما أعلم أني رأيت أحدًا أنظف ثوبًا، ولا أشد تعاهدًا لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوبًا وأشد بياضًا من أحمد بن حنبل»[(٢)].

❑ **وقال ابن الجوزي:** «قد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه، هديه وسمته»[(٣)].

• «العلم حياة ونور، والجهل موت وظلمة، والشر كلّه سببه عدم الحياة والنور، والخير كلّه سببه النور والحياة، فإن النور يكشف عن حقائق الأشياء، ويبين مراتبها، والحياة هي المصححة لصفات الكمال، الموجبة لتسديد الأقوال والأعمال»[(٤)].

٤- الدعـــوة إلى الله:

كيف لا، وقد قال ﷺ: «**نضَّرَ الله امرأً سمع منا حديثًا، فحفِظه حتى يبلِّغه غيره، فرُبَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه، وربَّ حامل فقهٍ ليس بفقيه**»[(٥)].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح.

(٣) صيد الخاطر.

(٤) مفتاح دار السعادة ابن القيم.

(٥) رواه الترمذي وأبوداود وصححه الألباني.

أي ألبسه نضرةً وحسنًا وخلوصَ لونٍ، وزينةً وجمالًا، أو أوصله الله لنضرة الجنة نعيمًا ونضارة»[١].

○ **قال سفيان بن عيينه:** «ما من أحدٍ يطلب حديثًا، إلا كان في وجهه نضرة»[٢].

٥- العــمــلُ بالسُّـــنة:

العمل بالسنة يبيضُ الوجه ويكسوه عزةً وجمالًا، والعمل بالبدعة والهوى يسَوِّد الوجه ويكسوه ذلةً ومهانة.

❑ **قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى:** ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدع»[٣].

وعن سلَّام بن أبي مطيعٍ قال: «رأى أيوب رجلًا من أصحاب الأهواء فقال: إني لَأعرفُ الذِّلةَ في وجهه، ثم تلا: «﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾. [الأعراف: ١٥٢]، ثم قال: هذه لكل مُفْترٍ»[٤].

٦- صــدقُ الـحـديــث:

إن الصادق يظهر على وجهه من نور صدقه وبهجة وجهه سيما يُعرف بها، والكاذب على عكس ذلك.

○ **كما قال ﷺ: «الصدق طمأنينة، والكذب ريبة».** [٧٢].

فطمأنينة الصدق تظهر في الوجه جمالًا وبهاءً، وريبة الكذب تظهر في الوجه نفاقًا وذلة.

---

(١) عون المعبود العظيم آبادي.

(٢) عون المعبود.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم.

(٤) سير أعلام النبلاء.

٧- الـطّـاعــات عــمــومــًا:

كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن للحسنة نورًا في القلب، وضياءً في الوجه، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق. وإن للسيئة ظلمةً في القلب، وسوادًا في الوجه، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق»(١).

❁ خامسًا: أن ندعوا الله تعالى باسمه الجميل:

وقد جاء ذلك عن النبي ﷺ **معنىً حين قال:**

«وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَأَسْأَلكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةً، وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ. اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»(٢).

وكان يقول «**اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي**»(٣).

---

(١) الداء والدواء.

(٢) رواه النسائي وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٦٦) (٦٧) الغفور، الغفار جل جلاله

قال تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحِجر:٤٩] وقال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح:١٠] وقال تعالى: ﴿ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [الزُّمَر:٥] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٩٦] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر:٢٨] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر:٣٠] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج:١٤] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر:٤١].

معنى الاسم في حق الله:

(الغفور) و(الغفار) جل جلاله اسمان كريمان يدُلَّان على كثرة مغفرة الله تعالى، وكثْرة من يغفر لهم.

والفرق بينهما: أن (الغفور) هو الذي يغفر الذنوب مهما عظُمتْ وكبُرتْ، و(الغفار) هو الذي يغفر الذنوب مهما تعددت وكثُرتْ؛ فالغفور للذنوب الثقال العظام، والغفار للكمّ والكثرة من الذنوب والآثام(١).

فسبحان مَن إذا تكررتْ التوبة من الذنب تكررتِ المغفرة من الرّبّ!

ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنَّ عبدا أذنب ذنبا فقال: ربِّ، أذنبتُ ذنبا فاغفر لي؛ قال تعالى: عِلَم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب؛ غفرْتُ لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنبَ ذنبا آخَر؛ فذَكَر مثل الأول مرتين أُخْرَيَين».

وفي رواية لمسلم أنه قال في الثالثة: «قد غفرْتُ لعبدي؛ فليفعل ما شاء».

---

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للغزالي، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي.

والمعنى: ما دام على هذا الحال كلَّما أذنب استَغْفَر، والظاهر أن مراده الاستغفار المقرون بعدم الإصرار(١).

تنبيه:

وليس معنى أن الله تعالى غفار الذنوب غافر الخطايا والعيوب، أن يتجرَّأ العبدُ على معصية الله ويسرف في الخطايا؛ فقد قال تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠ ﴾ [الحجر:٤٩، ٥٠] وقال: ﴿ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء:٢٥] وقال: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النمل:١١].

إن ربك واسع المغفرة:

وكما قيل: «فلولا مغفرتُه لهلك البلاد والعباد»(٢).

فمن سعة مغفرته قوْلُه جل جلاله: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزُّمَر:٥٣] فيا لها من بشرى ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين الظنّ برب العالمين، الصادقين في رجائه، المتوجهين إليه في طلَب العفو والمغفرة.

ومن سعة مغفرته قوله جل جلاله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١١٠].

أي: مَن تجرَّأ على المعاصي، واقتحَم على الإثم، ثم استَغْفَر الله استغفارا تامًّا يستلزم الإقرار بالذنب والندمَ عليه، والإقلاعَ والعزم على ألا يعود؛ فهذا قد وعَدَه من لا يُخْلف الميعاد بالمغفرة والرحمة؛ فيغفر له ما صدَر من الذنب، ويزيل عنه ما ترتَّب عليه من

---

(١) أسباب المغفرة، لابن رجب الحنبلي.

(٢) تفسير السعدي.

النقص والعيب، ويعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة، ويوفقه فيما يستقبله من عمره، ولا يجعل ذنبه حائلا عن توفيقه؛ لأنه قد غفره، وإذا غفره غفر ما ترتَّب عليه[١].

ومن سعة مغفرته قوْلُه: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٧٤] هذا الاستعطاف والكلام الليّن العظيم والوعد بالمغفرة للذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة:٧٣].

يدل على عظمة رحمته الله وسعة مغفرته – جل وعلا –: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨] كائنا ما كان[٢].

يا مَن عَدَى ثم اعتَدَى ثم اقترفْ ثم ارعَوَى ثم انتَهَى ثم اعتَرَفْ

أبشِـرْ بقـول الله في تنزيلـه إن ينتهوا يُغفَر لهم ما قد سلَفْ.

ومن سعة مغفرته: أن ذنوب العباد وإن عظُمتْ؛ فإن عفْوَ الله ومغفرتَه أعظم منها؛ فهي صغيرة في جنب عفْو الله ومغفرته[٣].

فقد قال ﷺ: «إن الشيطان قال: وعِزَّتك يا ربّ لا أبرح أُغْوي عبادك ما دامتْ أرواحُهم في أجسادهم؛ فقال الربُّ: وعِزَّتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استَغْفَروني»[٤].

ومن سعة مغفرته: أن هيَّأ للعباد مواسم للخير، تُغفَر فيها ذنوبُهم، وتُكفَّر فيها سيئاتُهم، وتُرفَع فيها درجاتهم، من هذه المواسم ما هو يوْمِيٌّ، كالصلوات الخمس وغيرها، ومنها ما هو أسبوعيٌّ، كصيام الاثنين والخميس وغيرها، ومنها ما هو شهريٌّ كصيام الأيام القمرية وغيرها، ومنها ما هو سنويٌّ، كصيام يوم عرفة

---

(١) تفسير السعدي.

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير.

(٣) جامع العلوم والحِكَم لابن رجب الحنبلي.

(٤) رواه الحاكم، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع.

وعاشوراء ورمضان وغيرها.

وهكذا لا يزال المؤمن ينتقل من خير إلى خير، ومن موسم إلى موسم، ومن فضل إلى فضل، يتعرَّض لنفحات الله ويستنزل رحَمَاته.

سِمَةَ العبد الذنب، وسِمَةَ الرَّب المغفرة.

فسِمَةَ العبد الذنب، وسِمَةَ الرَّب المغفرة؛ فقد قال ﷺ:

إن تغْفِـــر اللهـــم تغفــرْ جمًّـــا وأيُّ عبـــد لـــك لا ألمَّـــا[١].

والجمُّ: الكثير العظيم، أي: من شأنك غفران الذنوب الكبيرة والكثيرة؛ فضلا عن الصغائر؛ لأنها لا يخلو عنها أحد، وأنها مكفَّرة بالحسَنَات[٢].

وقد بيَّن تعالى أن المتقين يقع منهم الذنبُ، ويحدُث منهم الزَّلل، ولكنهم لا يُصرُّون على ذنب، ولا يُقيمون على خَلل، وقد مَدَحَهم الله بذلك حين قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران:١٣٦،١١٣٣].

فضل المغفرة وعِظَمُها[٣]:

١-المغفرة صفة جليلة من صفات الرب ﷻ.

---

(١) صحيح الترمذي.

(٢) الأسماء الحسنى والصفات العلا.

(٣) اختُصر ذلك من: البحار الزاخرة في أسباب المغفرة، للدكتور/ سيد عفاني، وتُصُرف فيها، وزيد عليها.

قال – عز من قائل -: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ [الكهف:٥٨] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ ﴾ [النجم:٣٢].

٢-لِعِظَم المغفرة؛ كتَب الله كتاب الرحمة بيَده.

خلَق الله الكائنات بـ(كن فيكون) إلا أشياء لشَرَفها وكرامتِها على الله خَلَقَها بيَده؛ فَخَلَق آدم عليه السلام بِيَده، وخَلَق جنَّةَ عدْن بِيَده، وكتَب التوراة لموسى عليه السلام بِيَده، وكتَب كتاب الرحمة بِيَده.

كما قال ﷺ: «كتَب ربُّكم على نفسه بِيَده قبل أن يخلق الخلْق: رحْمَتي وسِعتْ غضبي»[1].

وقال ﷺ: «لمَّا قضَى الله الخلْق، كتَب في كتابه؛ فهو عنده فوق العرْش».

٣-لِعِظَم المغفرة؛ دعا الله إليها بنفْسه.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة:٢٢١].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ...﴾ [الحديد:٢١] وقال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾ [آل عمران:١٣٣].

تأمَّلْ: كيف سوَّى الله في الدعوة بين المغفرة والجنة، وقدَّم المغفرة على الجنة؛ لأنها سبب من أسبابها.

---

(١) صحيح ابن ماجه.

٤-لِعِظَم المغفرة، حمَلة عرْش رب العالمين يستغفرون للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر:٧].

٥-سؤال المغفرة هو الدعاء المأثور في أغلى ليالي العمر.

عن عائشة رضي الله عنها **قالت:** قُلْتُ: يا رسول الله، أرايتَ إن علمْتُ أيّ ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: قولي: «**اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو؛ فاعفُ عني**»(١).

٦-دعوة الأنبياء والمرسلين دعوة إلى المغفرة.

قال تعالى عن أحدِهم – نوح عليه السلام **-:** ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ [نوح:٧] وقال تعالى عن جميعهم: ﴿۞قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [إبراهيم:١٠].

٧-لِعِظم المغفرة؛ حَجَبها الله عن المنافقين والكافرين.

قال تعالى عن المنافقين: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة:٨٠] وقال تعالى عنهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المنافقون:٦].

كما حجَب الله التوبة عن كل صاحب بدْعة، كما قال ﷺ: «**إن الله حجَب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدَع بدْعته**»(٢).

(١) رواه أحمد وابن ماجه والترمذي، وحسَّنه الألباني.

(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

٨- لِعِظَم المغفرة؛ أكْثَر الأنبياءُ سؤالَ ربهم المغفرة.

قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح:٢٨] وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢] وقال تعالى عن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥١] وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص:٣٥] وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد:١٩].

٩- المغفرة أمنية الصالحين.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «اجتمع في الحجر مصعب بن الزبير، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر؛ فقالوا: تمنَّوا؛ فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة، وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلْم، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إِمْرَة العراق، والجمْع بين عائشة بنت طلحة، وسكينة بنت الحسين، وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة، قال: فنالوا كلُّهم ما تمنَّوا، ولعل ابن عمر قد غُفر له»(١).

ولله درُّ ابن مسعود رضي الله عنه الذي قال له النبي ﷺ: «يرحمك الله! إنك غُلَيِّم مُعَلَّم»(٢).

عبد الله بن مسعود الذي قال فيه حذيفةُ رضي الله عنهما: «لقد عَلِم المجتهدون من أصحاب محمد ﷺ أن عبد الله من أقْربهم عند الله وسيلةً إلى الله يوم القيامة»(٣).

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم.

(٢) رواه الذهبي في السِّيَر وصحَّحه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند بسند صحيح.

كان يقول: «لو تعلمون ذنوبي؛ ما وَطِئَ عقبي اثنان، ولَحَثَيْتُم التراب على رأسي، ولوددتُ أن الله غَفَر لي ذنبا من ذنوبي، وأني دُعيت عبد الله بن روْثة»(١).

وعنه أيضا: «وددتُ أن الله غفَر لي ذنبًا واحدًا ولا يُعرف لي نسبٌ».

كل هذا لماذا؟ لأن الله تعالى قال: ﴿لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [آل عمران:١٥٧].

➢ **كيف نعبد الله باسميه «الغفور»، و«الغفار»؟**

الجواب: أن نتعرَّض لمغفرة الله، (أن نأخذ بأسباب المغفرة):

أسباب المغفرة:

١- الاستغفار.

قال - عز من قائل -: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١١٠] وقال الله تعالى لرسوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١٠٦].

وفي هذا تهييج للأمة على طلب المغفرة، وحَثٌّ لها على استدامة ذلك؛ لأن الله يأمر نبيه الذي هو خير الأمة بل سيّد ولد آدم على الإطلاق، يأمره بالاستغفار؛ فكيف بأمته؟ بل كيف بمَنْ أكْثَر الذنب وتمادى في الجُرْم؟

وقال ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخر، يقول: من يدعوني فأستجيبَ له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»(٢).

---

(١) أخرجه الحاكم والفسوي في المعرفة والتاريخ.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «يقول الله تعالى: يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا؛ فاستغْفِروني أغفرْ لكم»(١).

ويقول ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو لم تُذنبوا لذَهب الله بكم، ولجاء بقوم غيركم يُذنبون ويستغفرون فيُغفر لهم»(٢).

وقال ﷺ: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثًا؛ غُفِر له، وإن كان فرَّ من الزحْف»(٣).

وقال ﷺ: «من جلس في مجلسٍ فكثُر فيه لغَطُه؛ فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك؛ أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك؛ إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك»(٤).

الاستغفار المطلوب.

يقول الإمام القرطبي: «الاستغفار المطلوب هو الذي يحُلُّ عُقْدة الإصرار، ويثبت معناه في الجنان، لا التلفُّظ باللسان؛ فأما من قال بلسانه: أستغفر الله وقلْبُه مُصِرٌّ على معصيته؛ فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، وصغيرتُه لاحقة بالكبائر، ورُوي عن الحسن البصريّ: استغفارنا يحتاج على استغفار، قلت(٥): هذا في زمانه؛ فكيف في زماننا هذا الذي يُرى فيه الإنسان مكبًا على الظلم حريصًا عليه لا يُقلع! والسُّبحة في يده! زاعما أنه يستغفر الله من ذنبه، وذلك استهزاءٌ منه واستخفاف! وفي

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.
(٣) رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني.
(٤) رواه الترمذي وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع.
(٥) القائل هو الإمام القرطبي.

التنزيل: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ [البقرة:٢٣١]»[١].

فالاستغفار ليس كلمات تُقال، ولا عبارات تُطلَق دون أن يكون لها شاهدٌ من الواقع، أو دليلٌ من العمل، أو تغيير في الحال.

وفي الأثر: «المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه».

ولكي يؤتي الاستغفار أثَرَه المرْجُوَّ؛ فلْيُكن كثيرًا ودائمًا؛ ولهذا جاء في الحديث: «**من استغفر الله؛ جَعَل الله له من كل هم فرَجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورَزَقَه من حيث لا يحتسب**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «سمعْتُ النبي ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما **قال: «إن كنا لنعُدُّ لرسول الله** ﷺ **في المجلس الواحد مائة مرة: ربِّ اغفر لي وتب عليّ؛ إنك أنت التواب الرحيم**»[٤].

٢- التوحيد.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال**: «سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: يابن آدم، إنك ما دعوْتَني ورَجَوْتَني غفرْتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يابن آدم، لو بلغَتْ ذنوبُك عنان السماء ثم استغفرتني؛ غفرْتُ لك ولا أبالي، يابن آدم، لو لقِيتَني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتَني لا تشرك بي شيئا؛ لأتيْتُك بقرابها مغفرة**»[٥].

---

(١) تفسير القرطبي.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد، وصححه الشيخ/ أحمد شاكر.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أبو داود، وصححه الألباني.

(٥) رواه الترمذي، وصحّحه الألباني.

وعن عتْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «فإن الله قد حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بها وجْه الله»[١].

٣- اتباع الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١] وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦].

٤- التوبة النصوح.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التحريم:٨].

وعن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد يُذنب ذنبا فيُحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله؛ إلا غفر الله له، ثم قرأ هذه الآية:** ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥]»[٢].

٥- إسباغ الوضوء.

عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسَن الوضوء؛ خَرَجَتْ خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره»[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغَسَل وجهه؛ خرَج من وجهه كلُّ خطيئة نظَر إليها بعيْنه مع الماء أو مع آخِر

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم.

قطْر الماء؛ فإذا غسَل يديه؛ خرَج من يديه كلُّ خطيئة كان بطَشَتْها يداه مع الماء أو مع آخر قطْر الماء؛ فإذا غسَل رجليه خرجت كلُّ خطيئة مشتْها رجلاه مع الماء أو مع آخِر قطر الماء حتى يخرج نقيًّا من الذنوب»(١).

٦- الصلاة الخاشعة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من دَرَنِه شيء؟ قالوا: لا؛ قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا»(٢).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تُغش الكبائر»(٣).

وفي حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من توضأ مثل وضوئي هذا ثم قام فصلَّى ركعتين لا يُحدِّث فيهما نفسه؛ غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»(٤).

٧- المشْيُ إلى المساجد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخاري ومسلم.

صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ»(١).

٨- إدراك الصف الأول والصفوف المقدمة، ووصْل الصفوف.

قال ﷺ: «إن الله وملائكته يُصلُّون على الصف الأوَّل»(٢).

وفي رواية عند هؤلاء: «إن الله وملائكته يُصلون على الصفوف المقدَّمة».

وقال ﷺ: «إن الله وملائكته يُصلُّون على الذين يَصِلُون الصفوف، ومن سَدَّ فُرجةً؛ رَفَعَه الله بها درجة»(٣).

وصلاة الله تعالى: ثناءٌ على عبده، وصلاة الملائكة: استغفار للعبد.

٩- صلاة التطوع.

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لله سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً»(٤).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً؛ إِلَّا كَتَبَ الله لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وحطَّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً؛ فَاسْتَكْثِرُوا مِنْ السُّجُودِ»(٥).

١٠- صوم رمضان وعرفة وعاشوراء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا؛

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهم، وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم، وحسَّنه الألباني.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه ابن ماجه، والطبراني في الكبير، وصححه الألباني.

غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»[١].

وعن أبي قتادة رَضِوَاللَّهُعَنهُ أن رسول الله ﷺ قال: «صِيَامُ يَوْم عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَه»[٢].

١١ - اغتنام رمضان.

عن جابر بن عبد الله رَضِوَاللَّهُعَنهُمَا أن النبي ﷺ رَقَى المِنبر فَلما رَقَى الدَّرجة الأُولى قَالَ: آمين، ثُم رَقى الثَانية فَقال: آمين، ثُم رَقى الثَالثة فَقال: آمين؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ سَمعنَاك تَقولُ: (آمينَ) ثَلاث مَرات؟ قَالَ: **«لَما رَقيتُ الدَّرجةَ الأُولى جَاءِنِي جِبريلُ ﷺ فَقال: شَقِيَ عَبدٌ أَدركَ رمضانَ فانسَلخَ مِنهُ ولَم يُغفر لَه؛ فَقلتُ: آمِينَ، ثُم قَال شَقي عَبدٌ أَدرك والدَيهِ أَو أَحدَهُما فَلم يُدخِلاهُ الجنَّةَ؛ فَقلتُ: آمينَ. ثُم قَال شَقي عَبدٌ ذُكرتَ عِندهُ ولَم يُصلِ عَليك؛ فَقلتُ: آمين»[٣].**

وقال ﷺ: «من صامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تَقدَّم من ذنبه»[٤].

وقال ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٥].

وقال ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِه»[٦].

١٢ - الصَّدَقة.

قال تعالى: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، وقال الألباني: صحيح لغيره.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه البخاري.

خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [البقرة:٢٧١].

وعن معاذ أن النبي ﷺ قال: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ»(١).

وعن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقَةُ السر تُطفئ غَضَب الربّ، وصلَةُ الرحم تزيد في العمر»(٢).

١٣- اجتناب الكبائر.

قال تعالى: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾ [النساء:٣١] وقال تعالى: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾ [النساء:٣١] ولهذا قال ﷺ: **«رمضان إلى رمضان، والجمعة إلى الجمعة، والصلوات الخمس مكفرات لما بينهن إذا اجتُنبت الكبائر»**(٣).

١٤- المتابعة بين الحج والعمرة.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خَبَث الحديد»(٤).

وجاء هذا الفضْلُ العظيم مُفَصَّلا على لسان الرسول الكريم ﷺ.

«أمَّا خروجُك من بيتك تؤُمُّ البيت الحرام؛ فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتُك حسنةً يكتبها الله لك، ويمحو عنك بها سيئة، وأما وقوفك بعرفة؛ فإن الله ﷻ ينزل إلى سماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: «عبادي جاءوني شُعْثا غُبْرا من كل فجٍّ

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب..

(٣) رواه مسلم وغيره.

(٤) رواه النسائي والطبراني في الكبير، وصحَّحه الألباني.

عميق يرجون رحمتي، ويخافون عذابي، ولم يروْني؛ كيف لو رأوْني؟ فلو كان عليك مثلُ رمل عالج، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوبا؛ غَسَلها الله عنك، وأما رمْيُك الجمار فإنه مذخور لك، وأما حلْقُك فإن لك بكل شعرة تسقُط حسنةً؛ فإذا طُفْتَ بالبيت خرجْتَ من ذنوبك كيوم ولدتْك أمُّك[(١)].

١٥- مجالس العلم.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجْهَه؛ إلا ناداهم مناد من السماء: أنْ قوموا مغفور لكم، قد بُدِّلتْ سيئاتُكم حسنات»[(٢)].

١٦- تغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه.

عن أبي رافع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من غسَّل مسلماً فكتَم عليه؛ غفَر الله له أربعين مرة، ومن حفَر له فأجنَّه أُجْرِي عليه كأجر مسكنٍ أسكنه إياه إلى يوم القيامة، ومن كفّنه كساه الله يوم القيامة من سندس وإستبرق الجنة»[(٣)].

١٧- الأذان ابتغاء وجه الله.

قال ﷺ: «إن المؤذن يُغفر له مدى صوْته، ويُصدّقه كلُّ رطب ويابس سمِع صوْتَه، والشاهد عليه له خمس وعشرون درجةً»[(٤)].

وقال ﷺ: «يعجب ربكم من راعي غنَم في رأس شظية بجَبَل يؤذن للصلاة

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، والبزار في كشف الأستار، وعبد الرزاق في المصنف، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه أحمد، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(٣) رواه البيهقي في الكبرى وسنده صحيح.

(٤) رواه أحمد، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع.

ويصلّي؛ فيقول الله: «انظروا إلى عبدي هذا يؤذّن ويقيم الصلاة، يخاف منّي، قد غفرْتُ لعبدي وأدخلْتُه الجنة»(١).

١٨-التأدب بآداب الجمعة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة، ثم أتى الجمعة فصلى ما قُدّر له، ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يصلي معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام»(٢).

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة فأحسن الغسل، وتطهر فأحسن الطهور، ولبس من أحسن ثيابه، ومس ما كتب الله له من طيب أو دهن أهله، ثم أتى المسجد فلم يلغ ولم يُفرِّق بين اثنين، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»(٣).

١٩- قيام الليل:

يقول ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقُربةٌ إلى ربكم، ومنهاة عن الإثم، وتكفيرٌ للسيئات، ومطردةٌ للداء من الجسد»(٤).

وخص الله تعالى قيام رمضان، وقيام ليلة القدر.

فقال ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»(٥).

وقال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»(٦).

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائيُّ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد وابن ماجة وصححه الألباني.

(٤) رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه الألباني.

(٥) متفق عليه.

(٦) متفق عليه.

٢٠- صلاة التسابيح:

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب: «يا عباس! يا عماه! ألا أعطيك؟ ألا أمنحك ألا أحبوك؟ ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله ذنبك أوله و آخره قديمه و حديثه خطأه و عمده صغيره و كبيره سره و علانيته؟ عشر خصال: أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و سورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة و أنت قائم قلت: سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها و أنت راكع عشرا ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوي ساجدا فتقولها و أنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا فذلك خمس و سبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات فلو كانت ذنوبك مثل زبد البحر أو رمل عالج غفرها الله لك إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة فإن لم تفعل ففي عمرك مرة»(١).

٢١-الجهاد:

قال ﷺ: «القتل في سبيل الله يُكفّر كل شيء إلا الدَّين»(٢).

وعن أبي قتادة: أن رجلًا قام فقال: يا رسول الله إن قُتلت في سبيل الله تُكفّر عني خطاياي؟ فقال رسول الله: «**نعم إن قُتلتَ في سبيل الله وأنت صابر محتسب مُقبل غير مُدْبر**».

---

(١) رواه أبو داوود وابن ماجة وابن خزيمة والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي وغيرهم،وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه مسلم.

ثم قال رسول الله ﷺ: «إلا الدَّين فإن جبريل قال لي ذلك»(١).

٢٢-تعليم الناس الخير:

يقول ﷺ: «إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير»(٢).

وصلاة الله: ثناء، وصلاة الملائكة: استغفار.

٢٣- الإحسان بعد الإساءة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:١١٤].

وقال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»(٣).

٢٤-السماحة:

قال ﷺ: «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من خير شيئًا؟ قال: كنت آمر فتياني أن ينظروا المعسر، ويتجاوزوا عن الموسر، قال الله سبحانه: تجاوزوا عنه»(٤).

٢٥- بذل السلام وحسن الكلام:

قال ﷺ: «إن من موجبات المغفرة: بذل السلام وحسن الكلام»(٥).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه الترمذي وأحمد والحاكم وغيرهم وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه الطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وقال ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا»[١].

٢٦- البلاء والمصائب:

وقال ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى المرء على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتُلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»[٢].

وقال ﷺ: «إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده، قال الله: اكتب له صالح عمله الذي يعمله، فإن شفاه غسله وطهره وإن قبضه غفر له ورحمه»[٣].

وعن أبي الشعثاء الصنعاني أنه راح إلى مسجد دمشق وهجّر بالرواح، فلقي شداد بن أوس والصنابحي معه، فقلت: أين تريدان يرحمكما الله؟ قالا: نريد ها هنا إلى أخ لنا مريض نعوده، فانطلقت معهما حتى دخلا على ذلك الرجل، قال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بنعمة.

فقال له شداد: أبشر بكفارات السيئات وحط الخطايا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله ﷻ يقول: إني إذا ابتليت عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني على ما ابتليته، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمُّه من الخطايا، ويقول الرب ﷻ: أنا قيدتُ عبدي وابتليته، واجروا له ما كنتم تجرون له وهو صحيح**»[٤].

٢٧- الإحسان إلى الحيوان:

قال ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق إذا اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل

---

(١) رواه أبو داوود والترمذي وابن ماجة وأحمد وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان والدارمي والحاكم وأحمد وصححه الألباني.

(٣) (رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

فشرب وخرج، فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له» فقالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر»[(١)].

٢٨- القرض الحسن.

قال الله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧].

٢٩- إقامة الحدود:

قال ﷺ: «أيما عبد أصاب شيئًا مما نهى الله عنه ثم أُقيم عليه حدُّه كُفِّر عنه الذنب»[(٢)].

٣٠-العفو والصفح والمغفرة:

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤].

وقال ﷺ: «لا يحل لمسلم يصارم مسلمًا فوق ثلاث ليالٍ، فإنهما ما صارما فوق ثلاث ليالٍ فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما، وإن أولهما فَيئًا يكون كفارةً له سبقُه بالفيء وإن هما ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعًا»[(٣)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الحاكم والدارمي وأحمد وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني.

٣١- خشية الله والخوف منه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [المُلك:١٢].

وقال ﷺ: «أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه، فقال: إذا أنا متُّ فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في البحر فوالله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، ففعلوا ذلك به، فقال الله للأرض: أدّي ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب، فغفر له بذلك»(١).

٣٢- المكث في المسجد ما أمكن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كفارات الخطايا: إسباغ الوضوء على المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا، فوضع يده بين كتفيّ، حتى وجدت بردهما بين ثدييَّ، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض، فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، في الكفارات والدرجات، والكفارات: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، قال: صدقت يا محمد، ومن فعل ذلك عاش بخير، ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، ثم قال: والدرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام»(٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

(٣) (رواه أحمد والترمذي وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع.

٣٣- الصلاة ببيت المقدس:

عن ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سليمان بن داوود لما بنى بيت المقدس، سأل الله عز وجل خلالًا ثلاثة،: سأل الله حكمًا يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله -حين فرغ من بناء المسجد- ألا يأتيه أحدٌ لا ينهزه (يُخرجه) إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه، أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجوا أن يكون قد أعطي الثالثة»(١).

٣٤- الحمد عقب الأكل واللبس:

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل طعامًا ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن لبس ثوبًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»(٢).

٣٥- مسح الحجر الأسود والركن اليماني:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطًا»(٣).

٣٦- الصلاة على النبي ﷺ:

عن أبي طلحة الأنصاري قال: أصبح رسول الله ﷺ يومًا طيّب النفس يُرى في وجهه البشر، قالوا: يا رسول الله أصبحت اليوم طيّب النفس يُرى في وجهك البشر، قال: أجل أتاني آت من ربي عز وجل، فقال: **من صلى عليك من أمتك صلاةً كتب الله له بها**

(١) رواه أحمد وابن ماجه والنسائي وصححه الألباني.
(٢) رواه ابن ماجه وأبو داوود والترمذي والنسائي وصححه الألباني.
(٣) رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح الجامع.

عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها»[١].

٣٧- الذكر عند سماع المؤذن:

عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله رضيت بالله ربًا وبمحمدٍ رسولًا وبالإسلام دينًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].

٣٨- «سبحان الله وبحمد» مائة مرة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة، حُطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[٣].

٣٩- «لا إله إلا الله، وحْده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» مائة مرة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله، وحْده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة؛ كانت له عِدْلَ عشر رقاب، وكُتِبتْ له مائة حسنة، ومُحِيَتْ عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجلٌ عمل أكثر منه»[٤].

٤٠- الباقيات الصالحات.

قال ﷺ: «إن سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تنفض الخطايا

(١) رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

كما تنفض الشجرةُ ورقَها»(١).

٤١- كفارة المجلس.

قال ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده، أشهد ان لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك؛ فقالها في مجلس ذِكْر؛ كانت كالطابع يُطبع عليه، ومن قالها في مجْلِسِ لغوٍ كانت كفارة له»(٢).

(١) رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد، وصحَّحه الألباني.

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة، والحاكم والطبراني في الكبير، وصحَّحه الألباني في الصحيحة.

(٦٨) الودود جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾ [البروج: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [هود: ٩٠].

➢ **معنى الاسم في حق الله:**

(الودود) جل جلاله: «هو الذي يحب أنبياءه وأولياء ورسله وعباده المؤمنين،

وهو الذي يستحق أن يُحَبَّ الحب كلَّه، وأن يكون أحب إلى العبد من سمعه وبصره وجميع محبوباته»(١).

قال السعدي رحمه الله: الودود: هو الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويحبونه، فهو أحبُّ إليهم من كل شيءٍ، قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه وُدًّا وإخلاصًا وإنابةً من جميع الوجوه»(٢).

(الودود) جل جلاله: هو الذي يتودد إلى العصاة من خلقه، فيسترهم،

مرارًا وتكرارًا، ويحلم معهم، ثم يهيئ لهم من الأسباب والتذكيرات والمواعظ والإرشادات التي يهتدون بها إلى التوبة وينالون بها مغفرته، وهذا سِرٌّ من أسرار اقتران اسم الله (الغفور) باسم الله (الودود)، في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾ [البروج: ١٤].

قال عز من قائل: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) جلاء الأفهام لابن القيم.

(٢) تفسير السعدي.

(الودود) جل جلاله: هو الذي يتودد إلى عباده بآلائه ونعمه الظاهرة والباطنة، ليعرفوه بها ويشكروه عليه، فيزيدهم نعمًا على نعم، ويمدهم بالثواب، ويرفع عنهم العذاب ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧].

(الودود) جل جلاله: هو الذي لا يُقدِّر على عباده المؤمنين إلا كل خير، لا يعطيهم إلا ما ينفعهم، ولا يحرمهم إلا مما يضرهم.

(الودود) جل جلاله: هو الذي يجعل لعباده الصالحين في قلوب الناس وُدًّا، أي محبةً وارتياحًا وطمأنينة وانشراحًا، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦].

قال الإمام السعدي – مُلَخِصًا –: «الودود هو المحب المحبوب بمعنى واد ومودود»(١).

فَهل اللّهُ يُحبُّك؟

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: احتُبِس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غَدَاةٍ عن صلاة الصبح، حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعًا، فثُوِّب بالصلاة، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجوّزَ في صلاته فلما سلّم، دعا بصوته، فقال: على مصافكم، كما أنتم، ثم انفتل إلينا ثم قال: أما إني سأحدثكم عما حبسني عنكم الغداة، قمت من الليل، فتوضأت وصليت ما قُدِّر لي، فنعست في صلاتي، فاستثقلتُ فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربِّ، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ [أي فيم يتحاورون] قلت: لا أدري رب، قالها ثلاثًا، قال: فرأيته وضع كفّه بين كتفيّ حتى وجدت بَرْد أنامله بين ثدييَّ، فتجلى لي كلُّ شيء

(١) الحق الواضح المبين.

وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات، قال: وما هن؟ قلت مشي الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء في المكروهات [أي في شدة البرد] قال: ثم فيم؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام، قال: سل قل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون، أسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يُقربني إلى حبك، قال ﷺ: «إنها حق فادرسوها ثم تعلّموها»[1].

لأن القضية ليست أن تظل الليل والنهار قائلًا زاعمًا: أنك تحبه، وإنما الشأن أن يحبك هو؛ ولهذا اختار الله تعالى قومًا قَدّم حبَّه لهم على حبهم له.

قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

فقدم سبحانه حبَّه لهم على حبهم له، فبحبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم أحبوه.

فهل الله يحبـــك؟

سؤالٌ ضروري، يحتاج منا إلى تأمل، وتأمل، وإجابة، هل نَصْلُح؟

هل نستحق؟ هل نحن أهلٌ لمحبته سبحانه؟

لو قام آحاد الناس، وقال: فلان - **ممن لهم منصب وجاه ومكانة عظيمة عند الناس** - يحبني! لقيل له: يحبك أنت؟ ومن أنت؟ وعلى أي شيء يحبك؟

ولله المثل الأعلى، لو قال آحاد الناس اليوم: الله يحبني! لقيل له: يحبك أنت؟ وعلى أي شيء يحبك؟ ومن أنت حتى يحبك؟

---

(١) صحيح الترمذي.

وما المؤهلات التي أهلتك لأن يحبك؟

قاضي من قضاة البصرة اشترى جارية، وهي في أول ليلة في بيته، قام في آخر الليل يتفقدها، دخل غرفتها، فلم يجدها، بحث عنها فوجدها في زواية تناجي ربها ﷻ، وتقول:

«اللهم إني أسألك بحبك لي أن تغفر لي» تسأل ربها بحبه لها أن يغفر لها!!

لم يستوعب سيُدها هذا الكلام، فانتظرها حتى سلّمت، وقال لها: لا تقولي ذلك!!

ولكن قولي «اللهم إني أسألك بحبي لك أن تغفر لي».

فقالت: «ليس المهم أن تحِب؛ ولكن المهم أن تُحَبّ، ولولا حبُّه لي ما أيقظني وأغفلك.

إشكال مردود:

يقول بعضهم: نعم يحبني، فما طلبت شيئًا منه إلا وأعطانيه!!

الجواب: ليس شرطًا، فقد أعطى الكفار ما يريدون، فهل معنى ذلك أنه يحبهم؟!!

كيف، وقد أعطى أبغض خلقه إليه؟ إبليس، لما سأل ربه الإنظار، أعطاه إياه ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحجر: ٣٦، ٣٧].

فهل يحبه؟

قد يعطيك؛ لأنه لا يريدك!! لا يريد سماع صوتك!!

كما قال ﷺ: «إذا رأيت الله يُعطي العبدَ من الدنيا على معاصيه ما يُحب، فإنما هو استدراج» ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ

إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤][١].

ماذا لو أحبك الودود جل جلاله؟

١- حماك من الدنيا:

حفظك من شهواتها، وفتنتها، ووقاك من أن تتلوث بزهرتها.

كما قال ﷺ: «إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه»[٢].

٢- رزقك الرفق:

أي أعطاك الرحمة واللطف ولين الجانب والإحسان، مع سائر الناس ابتداءً من آبائك ثم أولادك وزوجتك وإخوانك وعموم الخلق.

فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن الله إذا أحب أهل بيتٍ أدخل عليهم الرفق»[٣].

٣- وضع لك القبول في الأرض:

قال ﷺ: «إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبّه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبدًا دعا جبريل...»[٤].

وقال ﷺ: «ما من عبدٍ إلا وله صِيت في السماء، فإن كان صيته في السماء حسنًا

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه الحاكم وابن حبان وصححه الألباني.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) متفق عليه.

وُضع في الأرض، وإن كان صيته في السماء سيئًا وُضع في الأرض»[١].

وقيل للنبي ﷺ: «أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: تلك عاجل بشرى المؤمن»[٢].

٤- ابتلاك:

كما قال ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السَّخطُ»[٣].

وعن سعد رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»[٤].

٥- ملأ قلبك بحبه:

فلن تتعلق بغيره، بل ستجد نفسك مدفوعًا مشغولًا بخدمته.

بكى أحد السلف عند موته فقالوا: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأنني أموت ولم أشتفِ من قيام الليل[٥].

وكان بعضهم يدعو ويقول: «اللهم إن كنت قد كتبت لأحد أن يصلي في قبره، فاجعلني ممن يصلي في قبره»[٦].

---

(١) رواه البزار وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٤) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٥) التبصرة لابن الجوزي.

(٦) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور السيوطي.

٦-لم يُعذِّبْك:

كما قال ﷺ: «والله لا يُلقي الله حبيبه في النار»(١).

وردّ الله على اليهود والنصارى ادِّعاءهم أنهم أحبابه، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾ [المائدة: ١٨].

٧-أحسن الله خاتمتك:

يقول ﷺ: «إذا أحبّ الله عبدًا عسَّله، فقيل: وما عسله؟ قال: يُوفق له عملًا صالحًا بين يدي أجله حتى يرضي عنه جيرانه، أو قال: من حوله»(٢).

وفي رواية: «إذا أراد الله بعبده خيرًا استعمله، قيل: ما يستعمله؟ قال: يفتح له عملًا صالحًا بين يدي موته حتى يرضى عليه من حوله»(٣).

إن الحب يجعل المرّ حلوًا، والتراب تبرًا، والكدر صفاءً، والألم شفاءً، والسجن روضة، والسقم نعمة، والقهر رحمة، وهو الذي يليِّن الحديد، ويُذيب الحجر، ويبعث الميت، وينضح فيه الحياة.

فليتك تحلو والحياة مريرةٌ — وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ — وبيني وبين العالمين خراب
إذا صحّ منك الوُدُّ فالكل هيِّن — وكلُّ الذي فوق التراب تُراب

➢ **كيف نعبد الله باسمه الودود؟**

❋ **أولًا: أن يعتقد العبد أن الرَّب جل جلاله هو وحده المستحق أن يُحَبَّ لذاته:**

كيف لا؟

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.
(٢) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي في الزهد وصححه الألباني في الصحيحة.
(٣) رواه أحمد والحاكم وابن حبان وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

● **وقد توالت علينا نعمه، مع توالي إساءتنا إليه:**

فإن القلوب جُبلت على حُبِّ من أحسن إليها، ولا أحد أعظم إحسانًا إليك من الله، فإن إحسانه إليك في كل نَفَس ولحظة، بل أنت تتقلب في إحسانه في جميع أحوالك ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

وقد جاء في الأثر، يقول الله تعالى: «**أنا الجواد، ومن أعظم مني جودًا وفضلًا؟ أبيت أكلأ عبادي في مضاجعهم، وهم يبارزونني بالعظائم**»(١).

كيف لا يُحبّ لذاته؟!

● **وهو في المقابل يعطينا بلا مقابل:**

انظر حولك ستجد أن كل من تحبه من الخلق أو يحبك، إنما يحصل ذلك لغرض – ولو كان شريفًا – إلا الله جَلَّ جَلَالُهُ، إذا أحبَّك، أحبك لنفسك، ليكرمك!!

إذا أعطاك، أعطاك بلا مقابل، لم يستفدْ منك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شيئًا ولم ينتفع منك بشيء، ولم يحتج منك إلى شيء جَلَّ جَلَالُهُ.

قال جَلَّ جَلَالُهُ – ومن أصدق منه قيلًا –«... **يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحدٍ ما نقص ذلك من ملكي شيئًا..**»(٢).

كيف لا نحب من يجيب الدعوات، ويقيل العثرات، ويستر العورات، ويكشف الكربات ويغيث اللهفات، فهو سبحانه أحق من ذكر، وأحق من شُكر،

(١) المدارج لابن القيم.

(٢) رواه مسلم.

وأحق من حُمد، وأحق من عُبد.

كيف لا يُحِبُّ لذاته؟!

وهو سبحانه يعاملنا بفضله لا بعدله:

فميزان العدل أن يعطي الرب على الحسنة مثلها، وعلى السيئة كذلك؛ لكن ميزان الفضل، فضل الله الذي يعاملك به، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة والسيئة عليك بواحدة، وهي أسرع شيء محوًا، فبدمعات قلائل تُمحى آلاف الخطايا، وبطاعات يسيرة تُنسف ذنوبٌ كثيرة.

خطوة واحدة تقترب بها من الله، يعطيك في مقابلها خطوات.

«**إذا تقرب العبد إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإذا تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة**»(١).

كيف لا يُحب لذاته؟!

- **وهو سبحانه يَعْرِض علينا فضله:**

ينزل كلّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا ينادي عليك، ليتوب عليك، ليغفر لك، ليعطيك يقول ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا، حتى يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»(٢).

كلُّ ركعة ركعتها، وكل تسبيحة قلتها، وإنما هي بتوفيقة، ولولا فضله ما تحركت منك شعرةٌ لطاعته» ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [النور: ١٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

فالله ﷻ «الودود» الذي يستحق وحده أن يُحَبَّ لذاته.

❃ ثانيًا: أن نأخذ بالأسباب الجالبة لمحبة الله، وأن نتصف بالصفات التي يحبها الله:

المحبة، وما أدراك ما المحبة!!

هي الحياة التي من حُرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدِمه حلّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كلُّه هموم وآلام، وهي روح الأعمال والمقامات والأحوال، التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدًا واصليها، وتُبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لولاها لم يكونوا داخليها....تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله – يوم قدّر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة – أن المرء مع من أحبّ، فيالها من نعمة على المحبين سابعة، تالله لقد سبق القوم السعاة، وهم على ظهور الفُرش نائمون، وقد تقدَّموا الركب بمراحل، وهم في سيرهم واقفون.

مــن لــي بمثــل ســيرك المــدلَّل تمشي رويدًا وتجي في الأول»[١].

«تلك والله المكارم والغنائم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وعليه يَحسد الحاسدون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وحقيق بمرتبةٍ هذا شأنها، أن تُنفَق نفائس الأنفاس عليها، ويَسبق السابقون إليها، وتوفر عليها الأوقات وتتوجه نحوها الطلبات، فنسأل الله الذي بيده مفاتيح كل خير أن يفتح علينا خزائن رحمته، ويجعلنا من أهل هذه الصفة بمنه وكرمه»[٢].

---

(١) مدارج السالكين / ابن القيم.

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم.

الأسباب الفعلية الجالبة لمحبة رب البرية:

١-التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض:

فمؤدي الفرائض كاملة محبٌ لله، ومؤديها بعد النوافل محبوبٌ من الله.

ففي الحديث القدسي: يقول الله تعالى: «**وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبَّه، فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه**»(١).

والمقصود بالنوافل: نوافل الصلاة والصيام والصدقة وسائر المستحبات، فإنها موصِّلة إلى المحبوبية بعد المحبة.

٢-تدبر القرآن ومحاولة تَفَهُّمِه:

فإذا كان من أحب أحدًا أحب خطابه وسؤاله وجوابه، فإن من أحب الملك سبحانه، أحب خطابه وسؤاله، أكثر من محبته لأي خطاب أو سؤال أو جواب، فيحبك الله؛ لأنك أحببت كلامه، فتحبه؛ لأنه أحبك.

رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ استجلب محبة الله، بتلاوة سورة واحدة من كتاب الله –وهي سورة الإخلاص– التي فيها صفة الرحمن ﷻ، تدبرها وظل يرددها في صلاته، فلما سئل في ذلك، قال: لأني أحبها، فقال ﷺ: «**أخبروه أن الله أحبه كما أحبها**»(٢).

قال عبد الله بن مسعود: «**من أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله**»(٣).

ذلك لأن الله تعالى أحبه.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الحديث في الصحيحين.

(٣) رواه الطبراني في الكبير، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات.

قال عز من قائل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص:٢٩].

فبركة هذا القرآن مُودَعةٌ فيه كالكنوز، لا يستخرجها إلا المتدبرون.

قال الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن من كان قبلكم رأو القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها بالنهار»(١).

إنه لشيء عظيم باهر – لو تأملنا – أن يخص الإله الكبير المتعالي مالك الملك سبحانه، هذا الإنسان الضعيف الصغير القليل، بخطابه وكلامه، وأن يَحْبوه ويمنحه شرف التحدث إليه ومناجاته(٢).

٣-إيثار ما يحبه الله على ما يحبه العبد:

أحيانًا، قد تتعارض مَحابُّ الله مع محاب النفس!!

فماذا يفعل العبد ساعتئذ؟!

فمثلًا:

-الله جَلَّ جَلَالُهُ يحب أن تنفق في سبيله، والعبد يحب أن يكتنز ويَدّخر.

-الله يحب أن تصل أرحامك إذا قطعوك، والعبد يقول: كرامتي!! كيف أصل من قطعني؟

-الله يحب أن تعفو وتصفح وتدفع السيئة بالحسنة، والعبد يحب أن ينتقم ويأخذ بالثأر.

-الله يحب أن تقوم في ثلث الليل الآخر هاجرًا فراشك تدعوه وتناجيه، والعبد

(١) التبيان في آداب جملة القرآن: النووي.

(٢) شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله: عبد العزيز كامل.

يحب أن يتلذذ بالنوم.

-الله يحب أن تعلق قلبك به وحده، والعبد متعلق بأشياء لا نهاية لها، كالمال والشهرة والدينار والشهوة.

-الله يحب ألا يكون في قلبك غيره، وأنت في قلبك الكرة، عليها تقيم المعارك وتُحبّ وتُبغض، وتسب وتلعن، وتخاصم، وتُطَلِّق!!

إذا بدأ وقت المباراة، فقيل لك: فلانٌ مريض، تعال نزوره، أو هذه جنازة تعال نتبعها، أو هذا مجلس علم تعال اعرف دينك، أو هذا نداء الفلاح يقول: حي على الصلاة، هل ستأتي؟!

إننا بحاجة إلى مراجعة وحساب، هل الله يحبنا أم لا؟ هل نحب الله أم لا؟ واعلم أنه: لا سبيل إلى إيثار ما يحبه الله على ما تحبه إلا إذا:

-خالفت هوى نفسك.

-خالفت هوى الناس.

-جاهدت الدنيا والشيطان.

قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد: أي الجهاد أفضل؟ قال: «جهادك هواك»[(١)].

٤-دوام ذكر الله على كل حال، باللسان والقلب والحال:

فنصيب العبد من المحبة على قدر نصيبه من الذكر، فليقلل العبد أو ليكثر.

فالذاكر الله على الحقيقة مذكورٌ عند ربه سبحانه، بالثناء والمحمدة، والمحبة، موعودٌ بالمغفرة والأجور العظيمة.

فذكر الله هو شعار المحبين من الله، فقد قال الله: «**أنا مع عبدي ما ذكرني،**

---

(١) شرح منظومة الآداب للسفاريني.

وتحركت بي شفتاه»(١).

قال عز من قائل: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أكبر من كل شيء، وأعظم عند الله من كل شيء، فينبغي أن يكون عند العبد كذلك.

ولهذا أمر الله بالإكثار منه، ورتب على ذلك الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال – وهو أصدق القائلين –: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال رجل للنبي ﷺ: «إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فبابٌ نتمسك به جامعٌ، فقال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»(٢).

٥ – مطالعة القلب لأسماء الله تعالى الحسنى ولصفاته العُلى وتدبُّرها، والتعبد لله بها(٣).

من فعل ذلك، فقد عَرف الله حقيقة، ولا يُعرف الله إلا بذلك.

قال الحسن البصري: «من عَرف ربه أحبه»(٤).

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٣) وهذا هو غاية الكتاب الذي بين يديك.

(٤) مختصر منهاج القاصدين.

وما أحبَّ عبدٌ ربه، إلا لأن الله أحبّه أولًا فألقى محبته في قلبه، وهو قول الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

ومن أعظم ثمرات هذه المحبة الجنة، سلعة الله الغالية.

فقد جاء في الحديث، أن النبي ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة**»[1].

وليس معنى إحصائها عدَّها فقط فلقد قَدَرَ على ذلك الذين جاهروا بالمعاصي، وإنما إحصاؤها: عدُّها وفهمها ومعرفة أسرارها، والتعبد لله بها.

٦-الحب في الله:

قال الله: «حُقت محبتي للمتحابين فيّ، حُقَّت محبتي للمتواصلين فيّ، حُقَّت محبتي للمتناصحين فيّ، حقت محبتي للمتزاورين فيّ، حُقت محبتي للمتباذلين فيّ، المتحابون فيّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكًا فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك، أن الله أحبك كما أحببته»[3].

٧-الزهد في الدنيا:

إذا لم يشغلك شيءٌ من دنياك عن طاعة مولاك، فاعلم أن الله قد أحبك.

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد والحاكم والطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه مسلم.

وأحبني الناس، فقال: «**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»(١).

والزهد في الدنيا إنما يكون باستصغار قدرها وعدم الانشغال بها أو الإعراض بالقلب عنها، وهذا أمر لا يقدر عليه إلا أصحاب الهمم وعُشاق السباق، والجائزة مُعَدَّة «يحبك الله».

٨- حسن الخُلق:

توضأ النبي ﷺ يومًا فجعل أصحابه يتمسحون بوَضوئه، فقال لهم: ما يحملكم على هذا؟ قالوا: حب الله ورسوله، فقال ﷺ: «من سرّه أن يُحبّ الله ورسوله أو يحبُّه اللهُ ورسوله، فليصدقْ حديثه إذا حدَّث، وليؤد أمانته إذا اؤتمن، وليحسِن جوار من جاوره»(٢).

٩- إخلاص العمل لله:

فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب العبد التقيّ الغنيّ الخفي»(٣).

والخفي: هو الذي لا يهتم بظهوره، ولا بذيوع خبره عند الناس، ولم ينشغل بذلك،؛ لأن قلبه ملتفتٌ إلى الله، وعمله أُريد به وجه الله، فكان محبوبًا من الله.

١٠- الخلوة بالله وقت التنزل الإلهي:

وكيف لا، وقد قال ﷺ: «**أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاةُ الليل**»(٤).

وقال ﷺ: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصلّيا ركعتين جميعًا، كُتبا في الذاكرين

---

(١) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني.

(٢) رواه الطبراني في معجميه، وحسنه الألباني في الصحيحة ومشكاة المصابيح.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

الله كثيرًا والذاكرات»[١].

ولا عجب أن يتنزل أمين السماء جبريل على أمين الأرض محمد ﷺ ليقول له: «**واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزُّه استغناؤه عن الناس**»[٢].

وإنما كان قيام الليل شرفًا لأصحابه؛ لأنهم يستشرفون به رضا الله في أشد الساعات وأحبَّها لمنامهم.

قيل للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: لأنهم خلو بالرحمن فألبسهم من نوره»[٣].

وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا»[٤].

هؤلاء قومٌ يحبهم اللّهُ:

١- التوابون والمتطهرون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والتواب: هو كثير الرجوع إلى الله، أو هو الذي يرجع إلى طاعة بعد معصية، وإلى موافقة بعد مخالفة، مهما تكررت المعاصي والمخالفات، طالما أنه كلما يعود يكون عازمًا على عدم العودة.

٢- المحسنون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة.

(٣) مختصر منهاج القاصدين.

(٤) المصدر السابق.

والمحسنون: هم من أحسنوا فيما بينهم وبين الله، وأحسنوا فيما بينهم وبين الناس.

٣-الصابرون:

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران: ١٤٦].

أي على طاعة الله، وعن معاصيه، وعلى أقداره المؤلمة.

٤-المتقون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ٤﴾ [التوبة: ٧].

والمتقون: هم أصحاب العقيدة الصحيحة والعمل الصالح، هم الذين جعلوا بينهم وبين الله وقاية، تقيهم عذابه وسخطه، وهذه الوقاية هي امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، وفعل المندوبات، والابتعاد عن المكروهات.

٥-المتوكلون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والمتوكلون: هم الذين صدقوا في اعتماد قلوبهم على ربهم، في جلب المنافع ودفع المضار، مع الأخذ بالأسباب الشرعية التي أمر الله بها.

٦-المقسطون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٤٢﴾ [المائدة: ٤٢].

والمقسطون: هم العادلون في أقوالهم، وأفعالهم وأحكامهم، وبين أزواجهم وأولادهم، وفي سائر معاملاتهم.

٧-المجاهدون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ

مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ [الصف: ٤].

٨-المؤمن القوي:

قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»(١).

المؤمن القوي: أي القوي الإيمان، والإيمان إنما يقوى بالحرص على الطاعات وخصوصًا طاعات السر، واجتناب المعاصي، وخصوصًا معاصي السر.

٩-أنفع الناس للناس:

سئل النبي ﷺ يومًا: أيُّ الناس أحب إلى الله؟ فقال: أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس..»(٢).

١٠- من يحبون الصحابة:

عن البراء رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول في الأنصار: **لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبّهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله»**(٣).

١١- أهل الجود والكرم:

كما قال ﷺ: «إن الله كريم يحب الكرماء، وجواد يحب الجَوَدة..»(٤).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني في الصحيحة.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

١٢- العفيف المتعفف:

يقول ﷺ: «إن الله تعالى يحب...الحييّ العفيف المتعفف»(١).

والعفيف المتعفف: الفقير المنكف عن الحرام ومع ذلك يتعفف، ولا يُظهر الشكوى والفقر، ويستحي أن يسأل الناس حتى أنهم قد يجهلون حقيقته من تعففه: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

١٣- أصحاب الأخلاق الحسنة:

عن أسامة بن شريك قال: كنا عند النبي ﷺ كأن على رءوسنا الطير، ما يتكلم منّا أحدٌ، إذ جاءه ناس من الأعراب، فقالوا: يا رسول الله، أي الناس أحبُّ إلى الله؟ قال: **«أحسنهم خلقًا»**(٢).

١٤- أهل السماحة:

يقول ﷺ: «إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء»(٣).

والمراد بالقضاء: قضاء الديون ونحوها.

١٥- المتبعون رسول الله ﷺ:

في أقواله وأفعاله وعباداته وأخلاقه، واعتقاداته، وتروكه.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) رواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه ابن حبان وصححه الألباني.

(٣) صحيح الترمذي.

خصال يُحبها الله:

١-الحلف بالله:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**احلفوا بالله، وبرُّوا واصدقوا، فإن الله يحب أن يُحلَفَ به**»(١).

٢-نفع الناس وإدخال السرور عليهم وقضاء حوائجهم:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أن رجلًا جاء إلى النبي** ﷺ **فقال:** يا رسول الله، **أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟** فقال: **أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله، سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا؛ ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحبُّ إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد (مسجد المدينة) شهرًا، ومن كفّ غضبه ستر عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يُمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام، وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسل**»(٢).

٣-بر الوالدين:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** سألت النبي ﷺ: **أي العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: بر الوالدين**»(٣).

٤-الحلم والأناة:

عن أم أَبان بنت الوازع عن جدها زارع، وكان في وفد عبد القيس قال: لما

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني في الصحيحة.

(٣) متفق عليه.

قدِمنا المدينة، جعلنا نتبادر من رواحلنا، فنقبِّل يد النبي ﷺ، ورجله، وانتظر المنذرُ الأشج أتى عَيْبَتَه [مكان نزوله] فلبس ثوبيه، ثم أتى النبي ﷺ فقال له:

إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة، قال: يا رسول الله، أنا أتخلّق بهما، أم جبلني الله عليهما؟ قال: بل اللهُ جبلك عليهما، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله»(١).

٥-صدق الحديث:

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ قال: «أحب الحديث إلى الله أصدقه»(٢).

٦-الجمال والزينة:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر، قال رجلٌ: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال، والكبر: بطر الحق وغمط الناس»(٣).

وعن أبي الأحوص أن أباه أتى النبي ﷺ وهو أشعث سيءَ الهيئة، فقال له رسول الله ﷺ: **أما لك مال؟**

قال: من كل المال قد أتاني الله عَزَّ وَجَلَّ، قال: فإن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا أنعم على عبدٍ نعمة أحب أن تُرى عليه»(٤).

---

(١) صحيح أبي داود.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد وله شاهد عند الترمذي وصححه الألباني.

٧-البكاء من خشية الله:

عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: ليس شيءٌ أحبَّ إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة من دموعٍ في خشية الله، وقطرةُ دم تُهراق في سبيل الله، وأما الأثران: فأثرٌ في سبيل، وأثر في فريضة من فرائض الله»(١).

٨-الإيمان بالله، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عن رجل من خثعم، قال: أتيت النبي ﷺ وهو في نفرٍ من أصحابه فقلت: **أنت الذي تزعم أنك رسولُ الله؟ قال: نعم، قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: إيمان بالله، قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: صلة الرحم، قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»**(٢).

٩-قبول رخصِ الله:

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يحب أن تؤتى رُخصه كما يحب أن تؤتى عزائمهُ»(٣).

والعزائم: الفرائض.

١٠- العفو:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله**!** أرأيت إن وافقْت ليلة القدر ما أدعو؟ قال: تقولين: «**اللهم إنك عفوٌ تحب العفو، فاعف عني**»(٤).

---

(١) صحيح الترمذي.

(٢) رواه الهيثمي في المجمع، وأبو يعلى وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه ابن حبان وصححه الألباني.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

١١- الصلح بين الناس:

عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ أن تصلح بين الناس إذا تباغضوا أو تفاسدوا**»(١).

١٢- الزيادة من العمل الصالح والتعبد في العشر من ذي الحجة:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: ما من ايام العمل الصالح فيهن أحبُّ إلى الله من هذه الأيام العشر، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله، قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء»(٢).

١٣- إتقان العمل:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه»(٣).

١٤- الهمة العالية ومعالي الأمور:

يقول ﷺ: «إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها»(٤).

ومعالي الأمور: هي الأخلاق الشرعية، والخصال الدينية، لا الأمور الدنيوية فإن العلوّ فيها نزول»(٥).

ولا يصل العبد إلى معالي الأمور إلا بهمة عالية، ومعناها: «خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل»(٦).

---

(١) أخرجه الطبراني وحسنه الألباني في الصحيحة.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البيهقي في الشعب وانظر الصحيحة.

(٤) رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) فيض القدير / المناوي.

(٦) صيد الخاطر: ابن الجوزي.

١٥- العلم الشرعي:

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: فضل العلم أحبُّ إليّ من فضل العبادة»[١].

١٦- ذكر الله تعالى:

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: أن تموت ولسانك رطْبًا من ذكر الله»[٢].

وقال ﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا يضرُّك بأيهن بدأت»[٣].

١٧- الرفق:

عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك [الموت عليك]، فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال: يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، قلت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: قلت: «**وعليكم**»[٤].

وقال ﷺ لها: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»[٥].

١٨- الحياء والستر:

عن يعلى بن أمية قال: رأى رسول الله ﷺ رجلًا يغتسل بالبَرَاز [الفضاء]،

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط والبزار والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه ابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال «إن الله حييٌ ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»(١).

١٩- الوتر:

عن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** الوتر ليس بحتم كصلاة المكتوبة؛ ولكن سَنّ رسول الله ﷺ، قال: «**إن الله وِتر يحبُ الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن**»(٢).

٢٠- العُطَاس:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: «إن الله يحب العُطَاس ويكره التثاؤب»**(٣).

وإنما أحب الله العطاس؛ لأنه يستجلب الحمد من العبد، والتشميت من الآخر والدعاء من العاطس.

وقد جاء في الحديث: «وما من شيء أحب إلى الله من الحمد»(٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما كان العاطس قد حصلت له بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المحتقنة في دماغه التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواء عسرة شرع له من الحمد على هذه النعمة مع بقاء أعضائه على التئامها وهيئتها بعد هذه الزلزلة التي هي للبدن كزلزلة الأرض لها..»(٥).

٢١- صيام داود وصلاة داود:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال لي رسول الله ﷺ: «**أحب الصيام إلى**

---

(١) رواه أحمد والنسائي وأبو داود وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أبو يعلى والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) زاد المعاد.

الله صيام داود كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه»[١].

٢٢- صلاة الجماعة:

عن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يومًا الصبح فقال:: **«أشاهدٌ فلان»؟ قالوا: لا، قال: أشاهد فلان؟ قالوا: لا. قال: إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما، لأتيتموهما ولو حبوًا على الركب، وإن الصف الأول على مثل صف الملائكة ولو علمتم ما في فضيلته لا بتدرتموه، وإن صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وكلما كثُر فهو أحبُّ إلى الله عز وجل»[٢].**

٢٣- مدح الله والثناء عليه:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس أحدٌ أحبَّ إليه المدح من الله عز وجل، من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحدٌ أغير من الله من ذلك حَرّم الفواحش، وليس أحدٌ أحبَّ إليه العُذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل»[٣].

قال النووي: «حقيقة هذا مصلحة للعباد؛ لأنهم يُثنون عليه سبحانه فيثيبهم فينتفعون، وهو سبحانه غنيٌ عن العالمين لا ينفعه مدحهم ولا يضره ترك ذلك، وفيه تنبيهٌ على فضل الثناء عليه سبحانه وتعالى وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيره وسائر الأذكار»[٤].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه.

(٤) شرح النووي على مسلم.

٢٤- الصلاة على أول وقتها:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»(١).

وقال ﷺ: «أفضل الأعمال الصلاة في أول وقتها»(٢).

٢٥- قراءة سورة الفلق:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: تعلقتُ بقدم رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أقرئني سورة هود وسورة يوسف، فقال لي رسول الله ﷺ: **يا عقبة إنك لم تقرأ سورة أحبّ إلى الله عز وجل ولا أبلغ عنده من ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾**(٣).

ولعل سبب ذلك: أنها – سورة الفلق – وسورة الناس أفضل ما يُتَعوّذ بهما من الحسد والسحر، ومن شر شياطين الإنس والجن.

فقد قال ﷺ لعقبة بن عامر: «تعوّذ بهما فما تعوّذ متعوّذٌ بمثلهما»(٤).

٢٦- المداومة على العمل الصالح:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»(٥).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أحمد، وقال محقق المسند: إسناده صحيح.

(٤) صحيح أبي داود.

(٥) متفق عليه.

وإليك علامات محبة الله(١):

١-أذلة على المؤمنين.

٢-أعزة على الكافرين.

٣-يجاهدون في سبيل الله.

٤-لا يخافون لومة لائم.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة:٥٤].

● **أذلة على المؤمنين:** رحماء بهم مشفقون عليهم، لينون الجانب معهم.

● **أعزة على الكافرين:** غلاظ عليهم، أشداء معهم، لا يلينون لهم؛ لأنهم عادوا الله ورسوله.

قال عطاء: للمؤمنين كالوالد على ولده، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته.
يجاهدون في سبيل الله: بالنفس واليد واللسان والمال.

● **ولا يخافون لومة لائم:** أي يقولون الحق، ويعملون به مبتغين بذلك رضا ربهم ولا يبالون بعد ذلك بلوم من لامهم.

٥-الطاعة والاتباع:

قال الحسن: كان الناس على عهد النبي ﷺ يقولون: يا رسول الله إنا نحب ربنا حبًا شديدًا، فأحبّ الله أن يجعل لحبه علامة، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ

(١) هذه العلامات هي في الوقت ذاته أسباب، كما أن ما سبق من أسباب وخصال، هي كذلك تصلح أن تكون أسبابًا.

تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١][١].

قال الجنيد وغيره: الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ[٢].

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس شنيع.

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع.

فهل أنت متبعٌ للنبي ﷺ في عبادتك، ومعاملاتك، وأخلاقك؟

هل أنت متبعٌ للنبي ﷺ في ذكرك ودعائك، وبِّرك، وصلتك، ومصاحبتك، ولينك، ورفقك، وأدبك؟

٦- أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما:

آية التوبة، نصَبها الله تعالى كامتحان على طريق محبته.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤].

تأمل هذه الأشياء الثمانية: الآباء، والأبناء، والإخوان، والأزواج، والأسرة والأموال، والتجارة أو العمل، والمساكن، والبيوت، هذه المحبوبات الثمانية، الأصل أنها مباحة، فالإنسان مجبول على حبها، بل حبَّها ضروري لتسير الحياةُ سيرًا طبيعيًا؛ لكن السؤال:

من هو المحبوب الأول في قائمة أولوياتك؟ هل هو الله؟ فتصح بذلك محبتك

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي، وتفسير ابن رجب.

(٢) تفسير القاسمي.

لله؟ أم هو أحد هذه الثمانية فتصير من الذين اتخذوا من دون الله أندادًا، وأنت لا تشعر، وتصبح كاذبًا في دعوى المحبة.

والمقصود أنَّ من كان مُقدمًا عندك، كانت طاعته مُقدَّمة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فكل من قدّم طاعة أحدٍ من هؤلاء على طاعة الله ورسوله، أو قول أحدٍ منهم على قول الله ورسوله، أو مرضاة أحدٍ منهم على مرضاة الله ورسوله أو خوف أحد منهم ورجائه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه، أو معاملة أحدهم على معاملة الله، فهو ممن ليس الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وإن قاله بلسانه فهو كذبٌ منه، وإخبارٌ بخلاف ما هو عليه»(١).

ومعنى ذلك:

- إذا دعاك صديقك إلى معصية الله فأجبته فأنت كاذب في دعوى المحبة.
- وإذا تعارض عملك مع طاعة الله، فقدمت عملك وعصيت ربك، فأنت كاذب في دعوى المحبة.
- إذا قصّرت في طاعة الله أو خدمة دينه أو نصرته خوفًا من الناس، فأنت كاذبٌ في دعوى المحبة.
- إذا أمرك أحد الوالدين أو كلاهما بمعصية الله، وأطعته، فأنت كاذبٌ في دعوى المحبة.

ومعنى ذلك أيضًا:

- إذا طردت صديق السوء من حياتك؛ لأنه يعيقك عن ربك، فأنت صادق في محبة الله.

---

(١) مدارج السالكين.

• إذا رهّبك الناس من طريق الطاعة والالتحاق بركب الصالحين، فضربت بكلامهم عرض الحائط، وعجلتّ إلى ربك ليرضى عنك، فأنت صادقٌ محب لله.

• إذا تركت عملًا محرمًا أو فيه شبهة يُدِرُّ عليك الألوف أو الملايين ابتغاء ما عند الله فأنت صادق محبٌ لله، وعلى ذلك فقِسْ.

٧- كثرة ذكر الله تعالى:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ومنها - أي من علامات المحبة -:** كثرة ذكر المحبوب، واللهج بذكره وحديثه فمن أحب شيئًا أكثر من ذكره بقلبه ولسانه، ولهذا أمر الله سبحانه، عباده بذكره على جميع الأحوال، وأمرهم بذكره أخوف ما يكونون، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقال: «فعلامة المحبة الصادقة ذكر المحبوب عند الرغب والرهب».

وقال: «ومن الذكر الدال على صدق المحبة، سبق ذكر المحبوب إلي قلب المحب ولسانه عند أول يقظة من منامه، وأن يكون ذكره آخر ما ينام عليه، كما قال قائلهم:

وآخر شيء أنت في هجعةٍ ... وأول شيءٍ أنت وقت هبوبي

وقال: «وكما أن الذكر نتاج الحب، فالحب أيضًا نتاج الذكر، فكلٌ منهما يُثمر الآخر، وزرع المحبة إنما يُسقى بماء الذكر، وأفضل الذكر ما صدر عن المحبة»(١).

وكيف لا تكون كثرة الذكر علامة على صدق المحبة؟!

والعبادات كلها إنما شرعت لإقامة ذكر الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين. ابن القيم

﴿وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وهكذا سائر العبادات.

وشُرع الذكر كذلك عند الانتهاء من العبادات، كما شُرع التسبيح والتحميد، والتكبير أدبار الصلوات، وكما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وإذا كشف الستار عن ثواب الأعمال يوم القيامة، لا يجد الناس عملًا أكثر ثوابًا من الذكر، عند ذلك يتحسر الغافلون وهم كثير، قائلين: وما كان شيءٌ أيسر علينا من الذكر.

قال بعضهم: إذا سأم البطّالون من بطالتهم، فلن يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك(١).

وقيل: «والمحب لله لا يخلو قلبه من ذكر ربه ولا يسأم من خدمته»(٢).

٨- أن يكون أُنسُ العبد في الخلوة بالله ومناجاته:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومنها – أي من علامات المحبة – حب الوحدة، والأنس بالخلوة، والتفرد عن الناس، فلا شيءَ أحلى للمحب الصادق من خلوته وتَفَرُّده، فإنه إن ظفر بمحبوبه أَحبَّ خلوته به، وكره من يدخل بينهما غاية الكراهة، ولهذا السر – والله أعلم – أمر النبيُّ ﷺ برد المارّ بين يدي المصلي، حتى أمر بقتاله، وأخبر أنه لو يدري ما عليه من الإثم لكان وقوفه أربعين خيرًا له من مروره بين يديه، ولا يجد ألم المرور وشدته إلا قلبٌ حاضر بين يدي محبوبه، مقبلٌ، فمرور المار بينه وبين ربه بمنزلة دخول البغيض بين المحب ومحبوبه، وهذا أمرٌ، والحاكم فيه الذوق، فلا يُنكره إلا من لم يذُق.

---

(١) جامع العلوم والحكم / ابن رجب الحنبلي.

(٢) المصدر السابق.

وأيضًا فإن المحب يستأنس بذكر محبوبه، وكونه في قلبه لا يفارقه، فهو أنيسه وجليسه، لا يستأنس بسواه، فهو مستوحش ممن يشغله عنه، وحدثني تقي الله ابن شُقير قال: خرج شيخ الإسلام ابن تيمية يومًا، فخرجت خلفه فلما انتهى إلى الصحراء، وانفرد عن الناس بحيث لا يراه أحد، سمعته يقول:

وأخرجُ من بين البيوت لعلني أحدِّث عنك القلب بالسر خاليًا(١)

٩- الغضب والغيرة إذا انتهكت حُرمات الله، أو ضُيِّعت حقوقه:

فهذه غيرة المحب حقًا، فأقوى الناس دينًا أعظمهم غيرةً، وقد قال ﷺ: «**أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه والله أغيرُ مني**»(٢).

وإذا خلا القلب من الغيرة على حرمات الله، فهو من المحبة أخلى، وعلى قدر الحب تكون الغيرة، فالمحب يرضى أن يُسفك دمه وتُنتزع روحه، لكن لا يسمع كلمةُ سب لربه ودينه ونبيه، هذه هي حرارة الإيمان ومعيار الصدق.

وهذه الغيرة هي أصل الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الحاملة على ذلك، فإن خلت من القلب، لم يجاهد، ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فإنه إنما يأتي بذلك غيرة منه لربه، ولذلك جعل علامة محبته الجهاد في سبيله، في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة: ٥٤].

١٠- أن يحب ما يحب ويبغض ما يبغض:

قال يوسف الصديق عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [يوسف: ٣٣].

ذلك لأن السجن – سجن يوسف – كان أحب إلى الله من أن يقع يوسف فيما

(١) باختصار من / روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

(٢) متفق عليه.

دعونه إليه، فأحب يوسف ما أحبّ الله، وكره ما يكره.

سئل ذو النون المصري: متى أحبُّ ربي؟ قال: إذا كان ما يبغضه عندك أمَرّ من الصبر(١).

وقال الحسن: اعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته(٢).

وقال أبو يعقوب النّهر جوري: كل من ادّعى محبة الله ﷻ، ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة(٣).

وقال رُويم: المحبة، الموافَقة في جميع الأحوال، وأنشد:

ولو قال لي: متْ مُتُّ سمعًا وطاعةً وقلت لداعي الحق أهلًا

١١- أن تكون الصلاة قرة عينه ومنتهى راحته:

فلا شيء أَقرّ لعين المحب ولا أَلَذَّ لقلبه، ولا أنعم لعيشه منها، ففيها لذة القلب، وبهجة النفس، وحياة الروح.

كيف لا؟ والصلاة قرة عين رسولنا ﷺ، وراحة باله.

كان ﷺ يقول: «يا بلال أرحنا بها»(٥).

وقال ﷺ: «حُبِّب إلي من دنياكم النساء، والطيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة»(٦).

---

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها: ابن رجب الحنبلي.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) صحيح أبي داود.

(٦) صحيح سنن النسائي.

ولا عجب، فقد كان ﷺ يصلي حتى تتورم قدماه، ويقول «أفلا أكون عبدًا شكورًا»(١).

❊ ثالثًا: أن يكون العبد ودودًا يُحبُّ ويُحَبُّ ويألف ويُؤلف:

المؤمن يحب الخير للغير، ويأخذ بالأسباب الشرعية لجلب مودتهم كقضاء حوائجهم، وصلتهم وزيارتهم، وحسن معاملتهم والإغضاء عن هفواتهم ونحو ذلك.

فقد قال ﷺ: «المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس»(٢).

❊ رابعًا: أن ندعوا الله باسمه «الودود»:

كما دعا به النبي ﷺ كما مَرّ معنا -: «اللهم إني أسألك حبك وحبَّ من يُحبك وحب عمل صالح يقربني إلى حبك»، ثم قال: «إنها حق فادرسوها ثم تعلموها»(٣).

وكما دعا بذلك أبو مُعلّق الأنصاري – وكان قد تعرّض للهلاك على يد السارق فنجاه الله ببركة دعائه وطاعته – قال: **«يا ودود يا ذا العرش المجيد، يا فعالًا لما تريد، أسألك بعزتك التي لا تُرام، ومُلكك الذي لا يُضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شرَّ هذا اللص»**(٤).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

(٣) صحيح الترمذي.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر.

(٦٩) الحميد جل جلاله

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨] وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلَت:٤٢].

معنى الاسم في حق الله:

الحميد جل جلاله هو المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرْعه وقدَره، لا إله إلا هو، ولا ربَّ سواه(١).

(الحميد) جل جلاله: هو الذي يُحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلَطُ، ولا يعترضُه الخطأُ؛ فهو محمود على كل حال(٢).

فهو سبحانه وتعالى المحمود على ما خلق وشرع ووهب ونزع، وضرَّ ونفع، وأعطى ومنَع، حمِد نفسه فحمِده الموَحِّدون؛ لِعِلْمهم أن الدنيا إنما خُلقَتْ للابتلاء، والآخرة إنما خُلقَتْ للجزاء؛ فحمدوه على السراء والضراء، حتى يُكرمهم بجنته عند اللقاء، قائلين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٤].

حمْدُ الله نفسَه قبل أن يحمده عباده:

حمِد الله نفسه قبل أن يحمده عباده؛ ليعرفَه عبادُه، وليعرفوا كيف يحمدونه، وكيف يتقربون إليه بذلك.

وقال عز من قائل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢].

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) شأن الدعاء للخطابي.

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف:١] وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص:٧٠].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر:٦٥] وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم:١٨] وأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن حمْد خلْقه له بعد قضائه بينهم، قال تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزُّمَر:٧٥] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأعراف:٤٣]وقال تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠].

معنى الحمد، والفرق بينه وبين الشكر:

الحمد هو مدْحُ المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله، مع محبَّته والرِّضى عنه والخضوع له[1].

وهو الإخبار عن محاسن المحمود مع حبّه وإجلاله وتعظيمه[2].

والفرق بين الحمد والشكر:

١- الشكر أعمُّ من جهة أنواعه، أو من جهة الآلة الفاعلة؛ فالشكر يكون باللسان والقلب والجوارح، أما الحمد فيكون بالقلب واللسان فقط.

(١) مدارج السالكين.

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم.

٢- الشكر أخصُّ من جهة متعلقاته؛ فهو إنما يكون على نعمة قريبة وُجِدَتْ، أو نقْمة دُفِعَتْ، أما الحمد فيكون على كل حال في السراء والضراء والحاضر والماضي.

➢ كيف نعبد اللّهَ باسْمه الحميد؟

✵ أولًا: أن يعتقد العبد أن الله تعالى هو المستحق للحمد كله على الإطلاق:

ولهذا افتتح الله تعالى كتابه بذلك قائلا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] فاللام في (الحمد) تفيد الاستغراق، أي: له ﷻ الحمد كله، وله الشكر كله، وإليه يُرجع الأمر كله، له الحمد على كل حال في الشدة والرخاء، والعسر واليسر، وفيما نحب ونكره، كيف لا، وهو العليم الحكيم؛ فمهما قضى وقدّر سبحانه؛ فقضاؤه وقدَره موافق لحكمته البالغة وعِلْمه التامِّ.

وهذا الاعتقاد يُثمر في قلب المسلم القبولَ التامَّ والاستسلام المطلق لأحكام الله الشرعية، واليقين بأنها خير كلها، ومصلحة كلها، وحكمة كلها، ولو لم ندرك حكمة بعضها.

وكذلك أحكامه القدرية؛ فما كنا فيها مأمورين بمدافعتها بالأسباب الشرعية دافعْنا، وما كان منها أمرا مقضيًا فإن الواجب حينها الاستسلام والرضا واليقين بأن له سبحانه الحكمةَ البالغةَ التي يُحمد عليها، ولو غابت عن عقولنا.

وكذلك له الحمد على كل ما خلَقه في هذا الكون ناطقِه وجامِدِه، ولو لم ندرك الحكمة في شيء منه.

وكذلك له الحمد في أحكامه الجزائية في الدنيا ويوم القيامة؛ لأنها كلها فضل ورحمة، أو عدْلٌ وحِكْمةٌ.

✵ ثانيًا: أن يحمد العبدُ ربه بلسانه وقلبه (فالحمد بوابة السعادة):

هل اللهُ تعالى أمَرَنا بالحمد؟

الجواب: نعم، كثيرًا ما حثنا الله تعالى على اللهج بهذا الذكر الكريم، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء:١١١].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون:٢٨]وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل:٥٩] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل:٩٣]وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣] وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [لقمان:٢٥] وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه:١٣٠] وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر:٥٥].

وكذلك أمر به النبي ﷺ فحينما قال أعرابيٌّ للنبي ﷺ: علِّمْنِي دعاءً لعلَّ الله أن ينفعني به؛ قال: **قل اللهم لك الحمد كله، وإليك يُرجَع الأمرُ كله»**(١).

فضائل الحمد وأسراره:

١- أحبّ كلمة إلى الله: الحمد لله.

عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ قلت: يا رسو الله أخبِرْني بأحب الكلام إلى الله؛ فقال: إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»(٢).

---

(١) رواه البيهقي، وحسّنه الألباني.

(٢) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده! سبحان الله العظيم!»[١].

وقال ﷺ: «وما من شيء أحب إلى الله من الحمد»[٢].

ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «لأن أقول: سبحان الله! والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ أحبُّ إليَّ مما طلَعَتْ عليه الشمسُ»[٣].

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابُه عنده-: لا إله إلا الله والله أكبر قد عرفناها؛ فما الحمد لله؟ قال عَلِيٌّ: «كلمة رَضِيَها الله لنفسه، وأَحَبَّ أن تقال»[٤].

ولهذا ورد عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «إن أفضل عباد الله يوم القيامة الحمَّادون»[٥].

فسبحانه وتعالى! حميد يحبّ الحمد، ويحبّ مَن يحمدُه.

٢- الحمد من أعظم أسباب رضا الله عن العبد.

قال ﷺ: «إن الله لَيَرْضَى عن العبد أن يأكل الأكْلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[٦].

٣- الحمد أفضل من كل النعم.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ:

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أبو يعلى، وحسّنه الألباني في الصحيحة.
(٣) رواه مسلم.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم.
(٥) رواه الطبراني، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع.
(٦) رواه مسلم.

الْحَمْدُ لله؛ إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَى أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ»(١).

والمعنى: أن إلهام الله تعالى عبدَه كلمة (الحمد لله) أكبر من أي نعمة من نِعَم الدنيا؛ ذلك لأن ثواب الحمد لا يفْنَى، ونعيم الدنيا لا يبقى، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:٤٦] ولهذا جاء في الأثر: «لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمتي ثم قال: الحمد لله؛ لكان الحمدُ أفضلَ من ذلك»(٢).

٤-الحمد يحوّل البلية إلى قوة وعافية.

فانظر مثلا إلى حمْد الله على المرض والبلاء، عن عطاء بن يسار أن النبي ﷺ **قال: «إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملَكَين فقال: انظروا ماذا يقول لِعُوَّاده؟ فإن هو إذا دخَلوا عليه حمِد الله تعالى؛ رفعوا ذلك إلى الله، وهو أعلم؛ فيقول: لِعَبدي إن أنا توَفَّيْته أن أُدخِله الجنة، وإن أنا شفَيْتُه أن أُبدله لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، وأن أكفّر عنه سيئاته»**(٣).

٥-الحمد لله أفضل الدعاء.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «أفضل الذِّكْر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»(٤).

وقد يعترض البعض قائلا: أين الدعاء في الحمْد؟

➡ **والجواب**: أ- أن الحمد يتضمن الشكر، والشكر مفتاح المزيد، ألم يقل

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) وقد نُسب إلى النبي ﷺ لكنه لا يصحّ. انظر: الضعيفة.

(٣) رواه مالك مرسلا، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب.

(٤) رواه الترمذي، وحسّنه الألباني.

الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

ب- أن الحمد يتضمن الحب والثناء، وذلك أعلى أنواع الطلب؛ ولهذا قال تعالى حاكيا دعاء أهل الجنة: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس:١٠].

ج- ثم إن التعريض عند الكريم كاف في العطاء الجزيل، والله أكرم معطٍ، ألم تر ماذا قال أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان يطلب نائلة:

أأذْكرُ حاجَتي أمْ قدْ كَفاني حَياؤُكَ إنّ شِيمَتَك الحَياءُ

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرّضه الثناء

كريم لا يغيّره صباح عن الخلق الكريم ولا مساء

٦-الحمد من أعظم أسباب الرزق.

قال ﷺ: «إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ لابْنِهِ: قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ لو وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ ووُضِعَتْ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ؛ رَجَحَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شيءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ قِيل: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ؟ قَالَ: «لَا» قيل: أَنْ يَكُونَ لَهُ حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قالَ: «لَا» قيل: أَنْ يَكُونَ لأَحَدِنا دابَّةٌ يَرْكَبُها؟ قَالَ: «لَا» قيل: أَنْ يَكُونَ لَهُ أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «لَا» فقيل: يا رَسُول الله، فَمَا الْكِبْرُ؟ قال: سَفَهُ الحقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»(١).

---

(١) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبزار، وصحَّحه الألباني.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بَدَوِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي خَيْرًا؛ فقَالَ: «قُلْ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: وعَقَدَ بِيَدِهِ أَرْبَعًا، ثُمَّ ذَهَبَ فقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَمَّا رآهُ رسُولُ اللهِ ﷺ تَبَسَّمَ وَقَالَ: تَفَكَّرَ الْبَائِسُ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، هذا كلُّه للهِ؛ فَمَا لِي؟ فَقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قُلْتَ: سُبْحَانَ اللهِ؛ قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: الْحَمْدُ لله؛ قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ؛ وَإِذَا قُلْتَ: اللهُ أَكْبَرُ؛ قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، فتَقُول: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي؛ فَيَقُولُ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ؛ فتَقُول: اللهُمَّ ارْحَمْنِي؛ فَيَقُولُ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ، وَتَقُولُ: اللهُمَّ ارْزُقْنِي؛ فَيَقُولُ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ؛ فَعَقَدَ الْأَعْرَابِيُّ عَلَى سَبْعٍ فِي يَدِهِ[(١)]».

٧-الحمد من أعظم أسباب مغفرة الذنوب، وتكفير الخطايا.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده! في يوم مائة مرة؛ حُطَّتْ خطاياه، وإن كانت مثلَ زَبَد البحر»[(٢)].

٨-جميع أذكار الصلاة مشتملة على الحمد.

دعاء الاستفتاح: كان النبي ﷺ يستفتح بأدعية كثيرة، أشهرها: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك**»[(٣)].

الفاتحة: هي سورة الحمد.

دعاء الركوع: عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول في

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه، وصحَّحه الألباني.

ركوعه وسجوه: **سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن»**[(١)].

دعاء الرفع من الركوع: عن رفاعة بن رافع قال: كنا يومًا نصلي وراء رسول الله ﷺ فلما رفَع رسول الله ﷺ رأسه من الركعة؛ قال: سَمِع الله لمن حمِده؛ قال رجل وراءه: ربَّنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا؛ فلما انصرف رسول الله ﷺ قال: مَن المتكلم؟ قال الرجل: أنا يا رسول الله؛ قال: **لقد رأيتُ بضعاً وثلاثين ملَكًا يبتدرونها أيُّهم يكتبها أوّل»**[(٢)].

دعاء السجود: كان ﷺ يقول في سجوده: **«سبحان ربي الأعلى وبِحَمْده»**[(٣)].

٩- الحمد أحقُّ ما قال العبد.

كان النبي ﷺ يقول بعد أن يرفع رأسه من الركوع: «ربنا لك الحمد، ملءَ السماوات وملء الأرض، وملء ما شئتَ من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبدٌ، لا مانع لما أعطيتَ، ولا معطي لما منعتَ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[(٤)].

١٠- الحمد لله غراسُ الجنة.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي؛ فقال: يا محمد، أقرئْ أمتك مني السلام، وأخبِرْهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، أنهارها قيعان – جمع قاع، وهي الأرض المستوية الخالية من الشجر – وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[(٥)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الدار قطني، وصحّحه الألباني في صفة الصلاة.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه الترمذي وغيره، وصحَّحه الألباني.

فما أفطن عبدٍ يغرس لنفسه في جنان الخلد أشجارًا، بتطويع لسانه وتوجيهه إلى الإكثار مما فيه سعادته وفلاحه.

١١- الحمد أول كلمة يقولها أهل الجنة وآخر دعواهم.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠].

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض»(١).

والمعنى: أن ثواب الكلمة عند الله يملأ ميزان العبد يوم القيامة.

مواطن يتأكَّد فيها الحمد:

١- عند الاستيقاظ من النوم.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه فال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم فليقل: الحمد لله الذي ردَّ عليَّ روحي، وعافاني في جسدي، وأَذِن لي بِذِكْره»(٣).

٢- عند اللباس.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجدّ ثوبا سمّاه

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع.

باسمه: إما قميصًا، أو عمامة، ثم يقول: «**اللهم لك الحمد أنت كسوْتنيه، أسألك من خيره وخير ما صُنع له، وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما صُنع له**»[١].

وعن معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «... **ومن لبس ثوبا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا الثوبَ ورزقنيه من غير حوْل مني ولا قوة؛ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**»[٢].

٣-بعد الطعام والشراب.

عن أبي أيوب الانصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شَرِبَ قال: **الحمد لله الذي أطعم وسَقى، وسوَّغه، وجعَل له مخرجًا**»[٣].

وعن معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**من أكل طعاما ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حوْلٍ مني ولا قوَّةٍ؛ غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»[٤].

٤-عند رؤية ما يسرّه وما يكرهه.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى ما يحب قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**» **وإذا رأى ما يكره قال:** «**الحمد لله على كل حال**»[٥].

وهذا يدل على أن العبد ينبغي أن يحمد الله تعالى في جميع الأحوال، في حالة السراء وحالة الضراء، في الفرَح والتَّرح، والفقر والغِنى، والصحة والمرض، وجميع الأحوال والأوقات والأفعال.

---

(١) رواه أبو داود، وصحَّحه الألباني.
(٢) رواه أبو داود، وحسّنه الألباني.
(٣) رواه أبو داود، وصحَّحه الألباني.
(٤) رواه أبو داود، وحسّنه الألباني.
(٥) رواه ابن ماجه، وحسّنه الألباني.

٥- عند ركوب الدابَّة.

عن علي بن ربيعة قال: «شَهِدْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: «بِسْمِ الله»، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: «الْحَمْدُ لله»، ثُمَّ قَالَ: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزُّخرُف:١٣، ١٤] ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لله» - ثَلاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ قَالَ: «الله أَكْبَرُ» - ثَلاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». ثُمَّ ضَحِكَ فَقِيلَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ». ثُمَّ ضَحِكَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي»(١).

٦- دبر الصلوات المكتوبة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَال: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ؛ فَتْلِكَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ، ثم قَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(٢).

٧- عند رؤية المبتَلى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَال: «من رأى مبتلًى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضَّلني على كثير ممن خلَق تفضيلًا؛ لم يُصبْه ذلك البلاء»(٣).

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي، وصحّحه الألباني.

٨- عند العطاس.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَمَّا نَفَخَ اللهُ فِي آدَمَ الرُّوحَ، فَبَلَغَ الرُّوحُ رَأْسَهُ عَطَسَ؛ فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَقَالَ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَرْحَمُكَ الله»(١).

وفي الحديث: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل أخوه أو صاحبُه: يرحمك الله؛ فإذا قال له: يرحمك الله فليقل: يهديك الله ويصلح بالك»(٢).

٩- عندما تُسأل عن حالك.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ لرجُلٍ: «كيف أصبحتَ يا فلان؟ قال: أحمد الله إليك يا رسول الله؛ فقال رسول الله ﷺ هذا الذي أردتُ منك»(٣).

١٠- عند فقْد الولد.

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ الله لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ الله: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ»(٤).

١١- عند المصيبة عمومًا.

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا للمؤمن! إن أصابه خير حمِد الله وشَكَر، وإن أصابتْه مصيبةٌ حمِد الله وصَبَر؛ فالمؤمن يُؤجَر في

(١) رواه ابن حبان، وحسّنه الألباني.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد، وصحَّحه الألباني.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، وحسّنه الألباني في الصحيحة.

(٤) رواه الترمذي، وحسّنه الألباني.

كل أمره»[١].

فائدة:

كيف يحمد العبدُ ربه عند المصيبة، أو إذا نزل به البأس الشديد؟

الجواب: قال شيخ الإسلام – ابن تيمية – رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالْحَمْدُ عَلَى الضَّرَّاءِ يُوجِبُهُ مَشْهَدَانِ:

أَحَدُهُمَا: عِلْمُ الْعَبْدِ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مُسْتَوْجِبٌ لِذَلِكَ مُسْتَحِقٌّ لَهُ بِنَفْسِهِ؛ فَإِنَّهُ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَأَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ الرَّحِيمُ.

وَالثَّانِي: عِلْمُهُ بِأَنَّ اخْتِيَارَ اللهِ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ اخْتِيَارِهِ لِنَفْسِهِ»[٢].

هل كل ناطق بالحمد يَنال ثوابه ويَحظى فضله؟

الجواب: أن ثواب الحمد يُنال، وفضله يُحظَى لا بمجرّد التلفظ به، ولكن لا بد من فهْم معناه، وتحقيق مقتضاه، وإحضار القلب عند قوله؛ فالتعبّد بهذه اللفظة بالقلب واللسان هو الذي يمتلئ به الميزان؛ فالناس يتفاضلون في ذلك تفاضلًا عظيمًا.

فعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله –صلي الله عليه وسلم – قال: «إن الله اصطفى من الكلام أربعًا: «سبحان الله» و «الحمد لله» و«لا إله إلا الله» و«الله أكبر»، فمن قال: «سبحان الله» كُتبت له عشرون حسنة، وحُطَّتْ عنه عشرون سيئة، ومن قال: «الله أكبر» مثل ذلك، ومن قال: «لا إله إلا الله» مثل ذلك، ومن قال: «الحمد لله رب العالمين» من قِبَل نفسه؛ كُتبت له ثلاثون حسنة؛

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح.

(٢) مجموع الفتاوى.



وحُط عنه ثلاثون خطيئة»[١].

فالحمد – على الحقيقة – بوابة السعادة.

إن افتتاح القرآن الكريم – الذي هو حياة القلوب – بالحمد، وافتتاح الصلاة – التي هي عمود الدين – بالحمد وافتتاح أعظم سورة في القرآن – والتي هي سورة الفاتحة، وركنية قراءتها في جميع الصلوات فرضًا ونفلًا – بالحمد؛ لأن ذلك – أي: تكرار الحمد على الأقل سبع عشرة مرة يوميًا في الفرائض، وأضعاف ذلك في النوافل – لهو أمر يحتاج إلى تأمّل، ألا يدل ذلك على أن الحمد منهج حياة ارتضاه لنا رب العالمين، ألا يدل ذلك على أن سعادتنا، في التعبد بالمعنى الصحيح للحمد.

ولكن لننظر في أحوالنا، هل الحمد الآن منهج حياتنا؟ هل نحن شاكرون راضون عن ربنا، هل نحن مشاهدون لنعم الله وآلائه؟

لأن كثيرا من أسباب الشقاء والتعاسة التي نراها ونسمع عنها هي أسباب وهميَّة، سببها أن أصحابها لا يرون ما هم فيه من النعم، ويظنون أنهم أصحاب مصائب!

فكم ممن يشعر بحرمان من نعمة معينة – كعافية في عضو – وهو في نفس الوقت لا يشاهد كم من عضو في جسده في أتم عافية! وكم من مريض يتمنى نصف ما هو به من العافية! وكم من مريض هو أشد منه مرضًا، وأكثر منه ألما! ولكن لسانه بالحمد رطب، وقلبه بالرضا ممتلئ.

وكم ممن يشعر بضيق في الرزق، وهو في نفس الوقت لا يشاهد كم من فقيرٍ يتمنى نصف ما هو فيه من الخير! وكم من غنيٍ محرومٍ من التمتع بماله، بسبب مرض أو غربة أو غيرها.

---

(١) رواه أحمد والحاكم وغيرهما، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع.

ولا أقول كما يقول علماء الغرب النفسيون: السعيد هو الذي ينظر لما حصَّله، وليس لما فقدَه، وقوْلهم: السعيد هو الذي ينظر إلى نصف الكوب الممتلئ، وليس الفارغ، بل أقول كما قال أسعدُ الخلق ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العرَض، ولكن الغني غنى النفس**»(١).

فالسعادة ليست ناشئةً من سعة الرزق؛ فكم من غنيٍ تعيس؟ وكم من فقيرٍ سعيد؟ فالسعادة إنما تنشأ من داخل العبد، تنشأ من رؤية النعم التي وهبنا الله إياها، والرضا بها؛ فإذا أردت السعادة فلا تنظر لما لم يقدره الله لك، ولا تعترض على ربوبيته، واحمد الله.

دع المقادير تجري في أعنّتها ... ولا تنامن إلا خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها ... يغيّر الله من حال على حال

وكم ممن يشعر بالحرمان من نعمة السعادة الزوجية!

أيها الزوج، كم من رجل يتمنى زوجة مثل زوجتك! أيتها الزوجة، كم من امرأة تتمنى زوجًا مثل زوجك! أيها المعذِّبون أنفسكم بداء السخط والشعور الكاذب بالابتلاء، أنتم من أهل العافية؛ فاحمدوا الله على العافية، وانظروا إلى أهل البلاء الحقيقي ممن فقدوا أزواجهم، أو ابتُلوا بأزواج يأتين الفواحش، ويُفسدْن البيوت؛ فلْيُفتّش كلٌّ منا عن محاسن صاحبه، ويحمد الله عليها، كما قال ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة؛ إن كرِه منها خلُقا؛ رضيَ منها آخَر**»(٢).

فيا مَن يعاني القلق، ويشكو الألم والأرق، أكثِرْ من الحمد، وتعرَّضْ للكريم ﷻ وتخلَّق بالرضا، والزم الصبر والشكر.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

ثالثًا: أن ندعو الله باسمه الحميد:

كما كان النبي ﷺ يدعو ربه كثيرا بهذا الاسم.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجود: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، الله اغفر لي**»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أن رسول اللهِ ﷺ: كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ(٢).

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- « مَنْ جَلَسَ فِى مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِى مَجْلِسِهِ ذَلِكَ »(٣).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح الترمذي.

(٧٠) الحفيظ جَلَّ جَلَالُهُ

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ: ٢١].

وقال تعالى عن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود: ٥٧].

والاسم هنا، وإن كان مقترنًا بالعلوّ والفوقية إلا أن ذلك يزيد إطلاقه كمالًا على كمال.

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

(الحفيظ) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي يحفظ من يشاء من البلاء والشر والأذى.

(الحفيظ) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي يحفظ أهل التوحيد والإيمان فيعصمهم من الهوى والشهوات والشبهات، ويوفقهم إلى أسباب طاعته.

(الحفيظ) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي حفظ على العباد جميع ما عملوه بعلمه وكتابته، وأمُره الكرام الكاتبين بحفظه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ – ١٢].

(الحفيظ) جَلَّ جَلَالُهُ: هو المتكفل بحفظ كتابه من التحريف والتغيير والتبديل على مرّ العصور والدهور، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

«أي في حال إنزاله، وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانية من التبديل، فلا يُحرِّف

محرِّف معنىً من المعاني إلا وقيَّض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آياته ونعمه على عباده المؤمنين»[1].

(الحفيظ) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي حفظ السماوات والأرض بقدرته وأبقاها على هيئتها، كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء: ٣٢].

هذه خمسة معان لهذا الاسم العظيم.

قال الخطابي: «الحفيظ هو الحافظ، فعيل بمعنى فاعل، كالقدير والعليم، يحفظ السماوات والأرض وما فيهما لتبقى مدة بقائها، فلا تزول ولا تندثر، كقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٧].

وهو الذي يحفظ عبده من المهالك والمعاطب، وبقية مصارع السوء كقوله سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

أي: بأمره.

ويحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، ويعلم نياتهم وما تُكنُّ صدورهم، ولا تغيب عنه غائبة، ولا تخفى عليه خافية.

ويحفظ أولياءه فيعصمهم عن مواقعة الذنوب ويحرسهم من مكايدة الشيطان ليسلموا من شره وفتنته»[2].

---

(١) تفسير السعدي.

(٢) شأن الدعاء.

➢ **كيف نعبد الله باسمه «الحفيظ»؟**

❁ **أولًا: أن يوقن المؤمن بأن الله وحده هو الذي يحفظ عبده من الشر والضُرّ، ويحفظ عليه دينه من الشهوات والهوى:**

فالمحفوظ من حفظه الله، وأراد له الظهور والبقاء، أما من شاء الله له أن يضيع أو يضمحل أو يهلك، فهو ضائع لا محالة.

وهذا مما يدعو العبد إلى اللجوء إلى الله والركون إليه في الشدة والرخاء، والسراء والضراء.

• تأمل:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ قط إلا ثلاث كذبات[1] ثنتين في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ٨٩﴾[2]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾[3]، وواحدة في شأن سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امراتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلمًا غيري وغيرك، فلما دخل أرضه، رآها بعض أهل الجبار، أتاه، فقال له: لقد قدِم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها، فأتي بها فقام ابراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقُبضت يدُه قبضة شديدةً، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرُّك، ففعلت، فعاد، فقُبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، فعاد، فقُبضت أشد من القبضتين الأوليين، فقال: ادعي الله أن يُطلق

---

(١) أي فيما يبدو للناس وهي التورية.

(٢) أي لما دعاه قومه إلى شهود أعياد أصنامهم، فقال ذلك باعتبار ما سيكون،

(٣) يريد إبهامه، وفهموا أنه كبير أصنامهم.

يدي، فلك الله أن لا أضرُّك، ففعلت، وأُطلقت يده، ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان، ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي وأُعطِها هاجر، فأقبلت تمشي، فلما رآها ابراهيم عليه السلام انصرف، فقال لها: مهيم؟ قالت: خيرًا، كف الله يَد الفاجر، وأخدم خادمًا[١].

قال أحد علماء المسلمين: لما أطعنا الله سخر لنا الوحوش، ولما عصينا الله سلّط علينا الفئران.

✵ ثانيًا: أن نراقب الله في السر والعلن والقول والعمل:

لأن العبد إذا علم أن الرب قد حفظ عليه قوله وعمله وسره وعلنه وكتَب ذلك في كتاب عنده، فكيف لا يخشاه ويراقبه؟

قال ابن القيم رحمه الله «**المراقبة:** هي التعبد باسمه الرقيب، الحفيظ العليم، السميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة، والله أعلم»[٢].

✵ ثالثا: أن نستودع عنده الودائع ليحفظها:

فالله جل جلاله إذا استودع شيئًا حفظه.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما **أن النبي** صلى الله عليه وسلم: «**إذا استُودع الله شيئًا حفظه**»[٣].

وعن قَزَعَةَ قال: قال لي ابن عمر: هَلُمّ أُوَدِّعُك، كما ودّعني رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أستودعُ الله دينَكَ، وأمانتك، وخواتيم عملك**»[٤].

---

(١) أي وهبني خادمًا وهي هاجر، والخادم يُطلق على الذكر والأنثى.

(٢) مدارج السالكين.

(٣) صحيح ابن حبان.

(٤) صحيح أبي داود.

وعن الحسن بن ثوبان، أنه سمع موسى بن وردان يقول: أتيتُ أبا هريرة أودِّعه لسفر أردتُّه، فقال أبو هريرة: ألا أعلمك يا ابن أخي شيئًا علمنيه رسول الله ﷺ أقوله عند الوداع؟ قلت: بلى، قال: **قل أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه**»(١).

❁ رابعًا: أن يعلم العبد أنه إذا حفظ الله حفظه الله:

كما جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: «**يا غلام إني أُعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك...**»(٢).

لكن: كيف يحفظ العبد ربه؟ وكيف يحفظ الرب عبده؟

١- حفظ العبد لربه (السبب):

أن يحفظ العبد حقوق الله وحدوده وأوامره ونواهيه، وذلك بالوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا نتجاوزها، ولا نتعداها، فدخل في ذلك فعل الواجبات كلها وترك المحرمات كلها.

قال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق:٣١،٣٢].

- **ومن أعظم ما أمرنا الله بحفظه: الصلاة.**

كما قال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٤-٣٥].

وقال ﷺ: «**من حافظ عليها كان له عهد عند الله أن يُدخله الجنة**»(٣).

---

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة.

(٢) صحيح الترمذي.

(٣) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما وصححه الألباني.

ولما طُعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعانى سكرات الموت، كان يقول: اللهَ اللهَ في الصلاة، لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، من حفظ الصلاة حفظه الله، ومن ضيع الصلاة ضيعه الله.

- **ومن أعظم ما أمرنا الله بحفظه: القلب.**

القلب إذا أصلحه العبد بالطاعة والذكر وتوحيد الله، فقد صلحت اليدُ والعين والسمع وسائر الجوارح.

كما جاء في الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»(١).

إن كلّ الناس خاسرٌ يوم القيامة إلا من حفظ قلبه من الشهوات والشبهات والأمراض المهلكة كالكبر والحسد والعجب والغرور وحب الصدارة والظهور، عياذًا بالله.

قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

- **ومما أمرنا الله بحفظه: الوضوء.**

لأنه مفتاح الصلاة وعنوان الاستعداد لها.

وقد قال ﷺ: «واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»(٢).

- **ومما أمرنا الله بحفظه: الأيمان.**

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح ابن ماجه.

فلا نحلف إلا بالله، ولا نحلف إلا ونحن صادقون، ولا نكثر الحلف، ولا نجعل اللهَ عرضةً لأيماننا، بل نفعل الخير والتقوى والبر، ونكفِّر عن أيماننا، كما قال الله: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة:٨٩].

- **ومما أمرنا الله بحفظه: الرأس وما وعى من السمع والبصر واللسان، والبطن وما حوى**، فلا ندخل البطن حرامًا أو شبهة، ولا نجعل القلب مصرًا على محرم، كما قال ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء**» **قالوا**: إنا نستحيي والحمد لله، **قال**: «**ليس ذلك؛ ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»[(١)].

- **ومما أمرنا الله بحفظه: العورات.**

وذلك بسترها عن ما لا يجوز له النظر إليها، كما قال ﷺ: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك وما ملكت يمينك**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة**»[(٣)].

- **ومما أمرنا الله بحفظه: الفروج.**

قال سبحانه في صفات عباده المؤمنين – في سورة المؤمنون -: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧﴾ [المؤمنون:٥ – ٧].

وقال سبحانه – في سورة الستر والعفاف، سورة النور -: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ

(١) صحيح الترمذي.

(٢) صحيح أبي داود.

(٣) رواه مسلم.

يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾.

وفي الحديث، قال ﷺ: «**من حفظ ما بين ركبتيه، وما بين رجليه دخل الجنة**»(١).

٢ـ حفظ الرب لعبده (النتيجة):

وحفظ الله لعبده نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه.

- كأن يحفظه من مكر أعدائه، ويُظهره عليهم.
- **ويحفظه من كيد الظلمة والطغاة:**

كما حفظ الله إبراهيم من النار، وقد أججوها وأشعلوها، وألقَوه فيها، وكما حفظ الله نبيه محمدًا ﷺ، وصاحبه في الغار.

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نَمْ فالمخاوف كلهن أمان

- **ويحفظ أولاده وذريته:**

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤]، قالها يعقوب لما ضاع منه يوسف، فردّه الله إليه ملكًا عظيمًا.

قال الحسن البصري: «كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون سنة، ولم يفارق الحزن قلبه، ودموعه تجري على خديه، وما على وجه الأرض عبدٌ أحبَّ إلى الله من يعقوب»(٢).

قال محمد بن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده،

---

(١) رواه الترمذي والحاكم وابن حبان وصححه الألباني.

(٢) تفسير الطبري.

وقريته التي هو فيها، والدويرات التي حولها فما يزالون في حفظ من الله وستر»[١].

وقال ابن المسيب لولده: يا بني لأزيدن في صلاتي من أجلك رجاء أن أُحفظ فيك، وتلا: «وكان أبوهما صالحًا»[٢].

- **ويحفظ له بدنه وجوارحه:**

قال عروة بن الزبير: بلغت أسماءُ بنت أبي بكر، مائة سنة لم يَسقُط لها سن، ولم يُنكر لها عقل[٣].

وكان المحب الطبري – أحد علماء الإسلام – قد جاوز المائة سنة، وهو مُمَتَّع بعقله وقوته، فوثب يومًا من سفينة كان فيها إلى الأرض وثبة شديدة فعوتب على ذلك فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر[٤].

وفي المقابل:

رأى الجنيد شيخًا يسأل الناس فقال: إن هذا ضيّع الله في صغره، فضيعه الله في كبره[٥].

- ويحفظه من شرِّ كلِّ ذي شر من جن أو إنس أو حتى من حيوان مُفترس.

- **كتبت عائشة إلى معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يُغنوا عنك شيئًا»[٦].

---

(١) جامع العلوم والحكم.
(٢) جامع العلوم والحكم.
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة.
(٤) جامع العلوم والحكم.
(٥) جامع العلوم والحكم.
(٦) رواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف بسند صحيح.

• **وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال:** ركبتُ البحر، فانكسرت سفينتي التي كنت فيها، فركبت لوحًا من ألواحها، فطرحني اللوح في أَجَمَة فيها أسد، فأقبل إليّ يريدني، فقلت: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ، فطأطأ برأسه وأقبل إليّ، فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة، ووضعني على الطريق وهمهم، فظننت أنه يودعني، فكان ذلك آخر عهدي به(١).

• والنوع الثاني من حفظ الله، وهو أشرفهما وأفضلهما: حفظ الله عبده في دينه وإيمانه في حياته من الشبهات المضلة والشهوات المحرمة وعند مماته، فيتوفاه على الإسلام.

وحفظ الله العبد في دينه كثيرًا ما يغيب عن الأذهان، فقليلًا ما يُشكر رغمَ أهميته وحاجة العبد الملحة إليه.

فقد يكون الناس من حولك صرعى، لا هدف لهم ولا وجهة، وقد حفظك الله فعرفت درب الخير والفلاح.

ويحفظك عند ساعة الاحتضار في تلك اللحظة الحرجة التي يحرص الشيطان على اصطياد المرء فيها؛ ولكن المؤمن الصادق الحافظ لحدود لله، يحفظه الله ويوفقه للنطق بكلمة التوحيد.

فكم من شخص ضيع حدود الله فعند الموت خانه لسانُه فعجز عن التلفظ بالشهادة، بل تلفظ بما يناقضها، فخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ عند منامه: «اللهم إن قبضت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»(٢).

---

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني في التعليق هداية الرواة.

(٢) متفق عليه.

قال صالح بن عبد الكريم: يقول الله ﷻ: «وعزتي وجلالي لا أطلع على قلب عبدٍ أعلم أن الغالب عليه حبُّ التمسك بطاعتي إلا توليت سياسته وتقويمه»[١].

الحاصل:

أن العبد إذا قام بما عليه من حقوق الله فلا يهتم بعد ذلك بمصالحه، دينية أو دنيوية، فإن الله هو أعلم بها منه، وهو يوصلها إليه على أتم الوجوه.

وهذا معنى قوله ﷺ: «من سَرَّه أن يَعلم ماله عند الله فليعلم ما لله عنده»[٢].

فعلى قدر اهتمام العبد بحقوق الله ومراعاة حدوده واعتنائه بذلك، يكون اعتناء الله به وحفظه له.

❋ خامسًا: أن ندعو الله تعالى باسمه «الحفيظ»:

كما كان النبي ﷺ يدعو به قائلًا:

«اللهم احفَظني بالإسلام قائمًا، واحفظني بالإسلام قاعدًا، واحفظني بالإسلام راقدًا، ولا تشمت بي عدوًا حاسدًا، اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شرٍّ خزائنه بيدك»[٣].

وقال ﷺ إذا أوى أحدكم **إلى فراشه فلينفض فراشه بداخِلَة إزاره، فإنه لا يدري ما خَلَفَه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين»[٤].**

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان، السلمان.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه الحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها.

وعن ابن عمر قال: «لم يكن رسول الله ﷺ يَدَع هؤلاء الكلمات حين يُمسي وحين يُصبح: اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك من تحتي»(١).

(١) صحيح أبي داود.

(٧١) الْـمَـجِـيـــــدُ جَلَّ جَلَالُهُ

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧١،٧٢].

وامرأته: أي امرأة إبراهيم (سارة).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج:١٥/ ١٤].

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(الْـمَـجِـيـــــدُ) جَلَّ جَلَالُهُ: هوالموصوف بصفات المجد والكبرياء والجلال والعظمة، فهو سبحانه أكبر وأعظم وأجلُّ وأعلى من كل شيء.

(الْـمَـجِـيـــــدُ) جَلَّ جَلَالُهُ: هو عظيم الصفات وواسعها، «فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه، فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته»[١].

○ **وذكر ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: أن اسم الله المجيد» يدل على جملة من أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة، بل هو دالٌ على معانٍ، لا معنىً مفرد، ومثله العظيم، والصمد...»[٢].

وقال: «والمجد في لغة العرب: كثرة أوصاف الكمال وكثرة أفعال الخير»[٣].

---

(١) الحق الواضح المبين للسعدي.

(٢) بدائع الفوائد.

(٣) التبيان في أقسام القرآن.

○ **عن عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية وهو على المنبر ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧﴾، ثم قال: يقول الله تعالى: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا المتعالي، يمجد نفسه، فجعل يرددها حتى رجف به المنبر، حتى ظننا أنه سيخرُّ به»(١).

(الْـمَـجِـيــــدُ) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي له التمجيد والتعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وعباده الصالحين، قد مُلئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له.

➢ كيف نعبد الله باسمه (الْـمَـجِـيـد)؟

❃ أولًا: أن نحبه الحب كله - الحب الأكبر الخالص-:

لأن من كان له من الصفات أكملها، وأوسعها، ومن الأسماء أحسنها وأجملها، ومن الأفعال أتمها وأجلها وأحكمها، كيف لا يُحبُّ الحبَّ كله؟!!

ويلزم من هذا الحب: عبادته وحده لا شريك له، والتعلق به وحده، وسؤاله تفريج الكربات وقضاء الحاجات وحده، وإيثار محابِّه على محابِّ النفس والهوى.

❃ ثانيًا: تمجيده (جَلَّ جَلَالُهُ) بما يليق بكماله وجلاله:

بأن يلهج العبد بذكره وشكره، والثناء عليه تهليلًا، وتحميدًا، وتسبيحًا، وتكبيرًا.

فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله»(٢).

- وإنما كان (لا إله إلا الله) أفضل الذكر؛ لما فيها من التمجيد لله.
- وكان (الحمد لله) أفضل الدعاء؛ لما فيها من الثناء على الله.

---

(١) رواه أحمد وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه والنسائي في عمل اليوم والليلة،وصححه الألباني.

وكان ﷺ يقول: «ولا أحد أحبُّ إليه المِدْحة من الله؛ فلذلك مدح نفسه»(١).

○ **وعن الأسود بن سريع قال:** كنتُ شاعرًا، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألا أنشدك محامد حمدتُ ربي بها؟، فقال: «**إن ربك يحب المحامد**»(٢).

● **وكان ﷺ يقول: «أَلِظُّوا بـ يا ذا الجلال والإكرام»**(٣).

يعني: وأنتم تدعون ربكم استفتحوا بها، ففيها من المحامد والتمجيد ما الله به عليم.

■ **قال ابن القيم:** «يعني الزموها وتعلقوا بها؛ فالجلال والإكرام: هو الحمد والمجد»(٤).

○ **ولهذا جاء في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:** قال ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ:**

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد ورجع الألباني إلى تصحيحه،انظر: تراجعات الألباني.

(٣) صحيح الترمذي.

(٤) جلاء الأفهام.

فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ: مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[1].

والصلاة، وما أدراك ما الصلاة!!

الصلاة، وهي أفضل موضوع، تأمل ماذا شرع الله فيها من المحامد والتمجيد والإجلال له سبحانه.

❋ تبدأ الصلاة بالتكبير لله، وهو تمجيدٌ وأي تمجيد!!

❋ وأدعية الاستفتاح مليئةٌ بالمحامد والثناء على الله (ﷻ).

❋ والفاتحة وما أدراك ما الفاتحة، هي التي قال الله تعالى في شأنها:

«**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي وَإِذَا.

قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[2].

فتمجيد الله تعالى هنا: «وصْفُه والاعتراف له بالملك والقهر والحكم يوم الدين والحساب.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

❁ **وكان الرسول ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «ربَّنا لك الحمدُ، مِلْءَ السَّمواتِ والأرضِ، ومِلْءَ ما شِئتَ مِن شيءٍ بعدُ، أهلَ الثَّناءِ والمجدِ، أحقُّ ما قال العبدُ، وكلُّنا لك عبدٌ، اللهمَّ لا مانعَ لِما أعطَيتَ، ولا مُعطيَ لِما منَعتَ، ولا ينفَعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»**(١).

❁ وفي الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين من التسبيح والتحميد والثناء ما يحصل به شيءٌ من تمجيده (ﷻ).

❁ **والتشهد مختومٌ بقولنا:** «(إنك حميدٌ مجيدٌ).

❁ **وكان ﷺ إذا سلمَّ قال:** «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم يسبح ويحمد ويكبر ويهلل ويدعو.

وكل ذلك يتجرعه العبد، وينعش قلبه كل يومٍ خمس مراتٍ [راجع في ذلك إن شئتَ: أسرار الصلاة لابن القيم].

❁ **قال ﷺ لعمرو بن عبسة: «...فإن هُوَ قامَ فصلَّى، فحَمِد الله تَعَالَى، وأَثْنَى عليهِ وَمَجَّدَهُ بالَّذي هُوَ لَهُ أَهلٌ، وَفَرَّغَ قلبَه لله تَعَالَى؛ إلا انصَرَفَ مِنْ خطيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يومَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**(٢).

وتمجيدنا لربنا (ﷻ) لا ينفعه شيئًا، كما أن تقصيرنا وغفلتنا لا تضر الله شيئًا، فسبحانه غنيٌّ بذاته، محمودٌ بصفاته، حمدَ نفسه قبل أن يحمده الناس، مجَّدَ نفسه قبل أن يمجده الناس، ولكن من كرم الله علينا أن جعل حياتنا طيبة بحمده وشكره والثناء عليه.

ومـا بلـغ المُهْـدون نحـوَك مِدْحـةً وإن أطنبـوا إن الـذي فيـك أعظـمُ

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

❁ ثالثًا: تمجيد ما مجَّده الله تعالى وتعظيم ما عظَّمه:

ومن ذلك:

◄ كتابه (ﷻ)، فقد وصفه الله بأنه كتابٌ مجيد، كما في قوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [سورة ق: ١]، وقوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢١،٢٢].

◄ فالقرآن كتابٌ عليٌّ القدر، رفيع الشأن، عظيم المكانة، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيمٍ حميد.

كيف لا، وفيه سورة الإخلاص، ليس فيها إلا تمجيد للرب سبحانه؛ ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن.

وفيه آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله؛ لأنه ليس فيها إلا تمجيد الرب سبحانه وذكر صفاته الجليلة وأسمائه الجميلة.

وتمجيد هذا الكتاب إنما يكون بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، والاستمساك به وتدبره، والعمل به والتحاكم إليه.

ومن ذلك:

◄ **ما جاء في قوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللهِ تَعَالَى: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرآنِ غَيْرِ الْغَالي فِيهِ والجَافي عَنْهُ، وإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ»**[(١)].

ومن ذلك:

◄ تعظيم شعائره وإجلال أوامره، والوقوف عند حدوده.

---

(١) صحيح أبي داود.

❋ **رابعًا: التماس المجد والرفعة منه وحده سبحانه:**

وذلك بتقواه وطاعته والتماس مرضاته، والبعد عن معاصيه ومساخطه.

وفي ذلك يقول ﷺ: «ومن بطّأ به عمله لم يُسرع به نسبه»[(١)].

فالعمل الصالح هو الذي يُسرع بالعبد ويعلي شأنه ويزيده رفعةً ومجدًا.

○ **وقد جاء في الحديث أنَ رَسُولَ اللهِ ﷺَ قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُم»**[(٢)].

○ **وفي الحديث أيضًا قال ﷺ: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»**[(٣)].

يرفع الله من استمسك به، ويضع من نبذه وراء ظهره.

❋ **خامسًا: أن ندعوَ الله باسمه «الْــمَـجِـيـــد»:**

كأن يقول العبد:

أسألك اللهم باسمك المجيد أن ترزقني حبَّك، وذكرك، وشكرك، وتمجيدك والثناء عليك.

أسألك اللهم المجيد أن تعطيَنا ولا تحرمنا وتزيدنا ولا تنقصنا، وتعزّنا ولا تذّلنا.

ونحو ذلك مما يناسب مجده وعظمته سبحانه..

---

(١) رواه مسلم.
(٢) صحيح سنن أبي داود.
(٣) رواه مسلم.



(٧٢) الفتاح جل جلاله

قال الله تعلى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٦].

➤ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(الفتاح) جل جلاله: هو الحاكم بين عباده، وقد يكون معنى «الفتاح» أيضًا، الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، ويفتح المنغلق من أمورهم وأسبابهم ويفتح قلوبهم وعيون بصائرهم، ويكون الفاتح أيضًا بمعنى الناصر»[1].

تحصل من هذا التعريف أن «الفتاح» جل جلاله، له ثلاثة معان:

الأول: الحاكم بين عباده، ومنه قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [سبأ: ٢٦]، وقوله تعالى مخبرًا عن شعيب ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩].

الثاني: الذي يفتح لعباده أبواب الرزق والرحمة والخير، كما قال سبحانه ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ﴾ [فاطر: ٢].

فسبحان من يفتح لعباده المنغلق عليهم مهما كثر أو صعب، وقد يكون الإغلاق اقتصاديًا، وقد يكون اجتماعيًا، وقد يكون نفسيًا، وقد يكون إيمانيًا، فسبحانه، يغني الفقير، ويُفرِّج المكروب، ويُسَهِّل العسير، ويقضي المطلوب، ويفتح لأوليائه أبواب المنافع الدينية والدنيوية ويوفقهم إلى الطريق المستقيم.

الثالث: الناصر، كما قال سبحانه: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ [المائدة: ٥٢].

---

(١) شأن الدعاء: الخطابي.

وقوله ﷺ يوم خيبر -: «لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه»(١).

وقال الغزالي: «هو الذي يفتح بعنايته كل منغلق، وبهدايته ينكشف كلُّ مشكَل، فتارة يفتح الممالك لأنبيائه ويخرجها من أيدي أعدائه، ويقول: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا﴾ [الفتح: ١]، وتارة يرفع الحجاب عن قلوب أوليائه، ويفتح لهم الأبواب إلى ملكوت سمائه وجمال كبريائه، ويقول: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢]، ومن بيده مفاتيح الرزق فبالحَرِيّ أن يكون فتاحًا»(٢).

وقال السعدي: «وفتحه تعالى قسمان: أحدهما، فتحه بحكمه الديني وحكمه الجزائي، والثاني، الفتاح بحكمه القدري، ففتحه بحكمه الديني هو شرعه على ألسنة رسله، جميع ما يحتاجه المكلفون، ويستقيمون به على الصراط المستقيم.

وأما فتحه بجزائه، فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفيهم، وبين أوليائه وأعدائه بإكرام الأنبياء وأتباعهم ونجاتهم، وبإهانة أعدائهم وعقوباتهم، وكذلك فتحه يوم القيامة، وحكمه بين الخلائق، حين يُوفّى كلُّ عاملٍ ما عمله، أما فتحه القدري فهو ما يُقدِّره على عباده من خير وشر ونفع وضر وعطاء ومنع، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢].

فالرب تعالى هو الفتاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه ويفتح على أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضله وعدله»(٣)..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) المقصد الأسنى.

(٣) الحق الواضح المبين.

➢ **كيف نعبد الله باسمه «الفتاح»؟**

❋أولًا: أن نحبه ﷻ، الحب الأكبر الخالص، ونقدره حق قدره ونعظمه حق تعظيمه:

من عرف أن الفتاح ﷻ، خزائن كل شيءٍ عنده.

من عرف أن الفتاح ﷻ، بيده الخير كله.

من عرف أن الفتاح ﷻ، عنده مفاتح الغيب.

من عرف أن الفتاح ﷻ، له مقاليد السماوات والأرض أحبّه وعظمه وقدّره حق قدره لا محالة.

قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران:].

وقال سبحانه: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:].

وقال سبحانه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشورى:].

من تأمل ذلك أحب الله وحده، ومن ثَم تعلق به وحده، وتضرع له وحده، وسأله وحده أن يفتح قلبه لهدايته ومعرفته والانقياد له وأن يفتح له أبواب رحمته وواسع فضله.

وكلما كان الإنسان مخلصًا تقيًا كانت الفتوحات الربانية المتنوعة، نازلة عليه تترا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:].

وقال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

❊ ثانيًا: أن يعتقد العبد أن (الفتاح) إذا فتح تيسر كل أمر، وانفرج كل كرب، وقضيت كل حاجة، وأصيب بالخزي كلُّ ضال:

قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: ٢].

قوى الأرض إذا اجتمعت ليس في إمكانها أن تغلق ما فتحه الله، ولا أن تفتح ما أغلقه الله، فالأمر كله بيد الله وحده، وإن جرى على أيدي عباده.

«وما من نعمة يمسك بها الله معها رحمته، حتى تنقلب هي بذاتها نقمة، وما من محنة تحفها رحمة الله حتى تكون هي بذاتها نعمة، ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله فإذا هو مهاد، وينام على حرير، وقد أُمسكت عنه، فإذا هو شوك القتاد، ويعالج أعسر الأمور، برحمة الله، فإذا هي هوادة ويسر، ويعالج أيسر الأمور، وقد تخلت رحمة الله، فإذا هي مشقة وعسر....»(١).

لن تحصل على رغبة، إلا عن طريق الله، ولن تجد حاجتك إلا في ساحة الله، ولن تصل إلى شيء إلا بالله.

فإذا كان الله معك فمن تخاف؟ وإن كان عليك فمن ترجو؟

كل المصاعب تسهل إذا فتح الله، وكل الطرق تُسد إذا أغلقها الله.

روى الحافظ الحميدي، أن الوزير أبا عمر أحمد بن سعيد بن حزم، كان بين يدي المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر في بعض مجالسه للعامة، فرفعت إليه رقعة استعطاف لأم رجلٍ مسجون، كان ابن أبي عامر حنق عليه – أي سجنه غيظًا

---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب.

–لجرمٍ استعظمه منه، فلما قرأها اشتد غضبه، وقال: ذكرتيني والله به.

وأخذ القلم يوقع، وأراد أن يكتب يُصلب، فكتب: يطلق!!

ورمى الكتاب إلى الوزير، فأخذ الوزير القلم، وتناول رقعة، وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى صاحب الشُرَط، فقال له ابن أبي عامر: ما هذا الذي تكتب؟ قال: بإطلاق فلان، فحردَ – غضب – وقال: من أمر بهذا؟ فناوله التوقيع، فلما رآه، قال: وهِمْت، والله ليُصلبن، ثم خط على ما كتب، وأراد أن يكتب: يصلب، فكتب: يطلق!!

فأخذ الوزير الرقعة، فلما رأى التوقيع، تمادى على ما بدأ به من الأمر بإطلاقه، فنظر إليه المنصور متماديًا على الكتاب، فقال: ما تكتب؟

قال: بإطلاق الرجل، فغضب غضبًا أشد من الأول، وقال: من أمر بهذا؟ فناوله الرقعة فرأى خطه، فخط على ما كتب، وأراد أن يكتب يصلب، فكتب: يطلق!!

فأخذ الوزير الكتاب، فنظر ما وقَّع به، ثم تمادى فيما كان بدأ به، فقال له: ماذا تكتب؟ قال: بإطلاق الرجل، وهذا الخط ثالثًا بذلك، فلما رآه المنصور، عجِب، وقال: نعم يُطلق على رغمي، فمن أراد الله إطلاقه، لا أقدر أنا على منعه(١).

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾:

قال السعدي: «فيفتح لمن اختصهم بلطفه وعنايته أقفال القلوب، ويُدر عليها من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية ما يُصلح أحوالها وتستقيم به على الصراط المستقيم، وأخص من ذلك أن فتح لأرباب محبته والإقبال عليها علومًا ربانية وأحوالًا روحانية، وأنوارًا ساطعة وفهومًا وأذواقًا صادقة، ويفتح أيضًا لعباده أبواب الأرزاق وطرق الأسباب»(٢).

---

(١) جذوره المقتبس في ذكره ولاة الأندلس.

(٢) فتح الرحيم الملك العلام.

❋ ثالثا: أن يُعود الإنسان نفسه الاستفتاح:

فمن أدام طرق الباب يوشك أن يُفتح له.

فالفتح لا يكون إلا من الله، وقد قال الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [الأنفال: ١٩].

كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة، أخذوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين، وأفضل الدينين، فنزلت: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾»[1].

فالفتوحات كلها نسبها الله تعالى إلى نفسه لينبه عباده على أنها لا تُطلب إلا منه، وهو يحب لِأَن تُطلب منه.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ [الفتح: ١].

﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ ﴾ [المائدة: ٥٢].

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصف: ١٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وشهدت شيخ الإسلام – قدس الله روحه – إذا أعيته المسائل، واستصعب عليه، فَرّ منها إلى التوبة والاستغفار والاستغاثة بالله واللجأ إليه، واستنزال الصواب من عنده والاستفتاح من خزائن رحمته، فقلما يلبث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مدًّا وتزدلف الفتوحات الإلهية وصار قلبه في ميادينه بحقيقةٍ وقصد، فقد أُعطي حظه من التوفيق ومن حُرمه فقد مُنع الطريق والرفيق..»[2].

---

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: التعلبي.

(٢) إعلام الموقعين.

فالفتاح ﷻ بيده مفاتيح كلِّ شيءٍ وخزائن كلِّ خير.

لا يفتح باب الشفاء إلا هو، لا يفتح باب الزواج إلا هو، لا يفتح باب الإنجاب إلا هو، لا يفتح باب الكسب إلا هو، لا يفتح باب البر والعمل الصالح إلا هو، فهو الذي يفتح لهذا في القرآن وحفظه وتعلمه وتعليمه، ويفتح لهذا في الصلاة والقيام، ويفتح لهذا في القيام، ويفتح لهذا في صلة الأرحام، ويفتح لهذا في الإصلاح بين الناس وقضاء حوائجهم ويفتح لهذا في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويفتح لهذا في العلم وتعليمه، وهكذا فتوحات الله تعالى كثيرة ومتنوعة؛ لكن أعظم الفتوح على الإطلاق: أن يفتح الله لعبده العمل الصالح، كما قال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا عسّله، قيل: وما عسله؟ قال: يفتح الله له عملًا صالحًا قبل موته، ثم يقبضه عليه**»[١].

- **لكن انتبه:**

قد يفتح الله تعالى أنواع النعم والخيرات على الناس استدراجًا لهم، إذا تركوا ما أُمروا به ووقعوا فيما نُهوا عنه.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يُعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤]»[٢].

وهذا معنى قول النبي ﷺ حينما صعد المنبر يومًا، فقال: «**إنما أخشى عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من بركات الأرض**»[٣].

---

(١) رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه البخاري.

❁ رابعًا: أن يُعوِّد الإنسان نفسه على أن يكون مفتاحًا للخير:

فإن فعل العبد ذلك فتح الفتاح عليه بأكثر مما يفتح به على الغير.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إن من الناس ناسًا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس ناسًا مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»(١).

وعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «عند الله خزائن الخير والشر، مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، وويل لمن جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير»(٢).

❁ خامسًا: أن يستعد العبد للوقوف بين الفتاح يوم القيامة للفتح بين العباد:

حينها يُوفَّى كلُّ عامل ما عمله، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٦].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [السجدة: ٢٩].

والاستعداد إنما يكون بالحذر من الظلم بأنواعه، وخاصة ظلم العباد، والتعدي على حقوقهم، فيوم الفتح، يقتص بعضهم من بعض حين يفصل الله بينهم.

❁ سادسًا: أن ندعوا الله تعالى باسمه «الفتاح»:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إنا ليلة الجمعة في المسجد، إذ جاء رجلٌ من الأنصار، فقال: لو أن رجلًا وجد مع امرأته رجلًا فتكلم، جلدتموه، وإن سكت

(١) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني.

(٢) رواه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

سكت على غيظ، والله لأسألن عنه رسول الله ﷺ فسأله، فقال: لو أن رجلًا وجد مع امراته رجلًا فتكلم جلدتموه وإن سكت سكت على غيظ، فقال ﷺ: «**اللهم افتح، وجعل يدعوا فنزلت آية اللعان**: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾﴾» [النور: ٦ - ٩](١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلِّم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم: اعصمني من الشيطان الرجيم»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح ابن ماجه.

(٧٣) الـشَّــــهِــيــدُ جل جلاله

○ قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصّلت:٥٣].

○ وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ [سبأ:٤٧].

○ وقال عزّ من قائل: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء:١٦٦].

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

(الـشَّــــهِــيــدُ) جل جلاله: الشاهد على كل شيء؛ إذ لا يخفى عليه شيء ولا يغيب عنه شيء.

(الـشَّــــهِــيــدُ) جل جلاله: الشاهد على عباده، ولهم، فقد اطلع على ضمائرهم وخباياهم وسرائرهم، فكيف بأقوالهم وأفعالهم وظواهرهم؟!

(الـشَّــــهِــيــدُ) جل جلاله: «الشاهد للمظلوم الذي لا شاهد له ولا ناصر، على الظالم المتعدي الذي لا مانع له في الدنيا؛ لينتصف له منه»[١].

(الـشَّــــهِــيــدُ) جل جلاله: «المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات خفيّها وجليّها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء الذي شهد لعباده ولعباده بما عملوا»[٢].

---

(١) شأن الدعاء للخطابي.

(٢) تفسير السعدي.

➢ **كيف نعبد الله باسمه (الـشَّـهِـيـد)؟**

❈ أولًا: أن نخاف الله تعالى ونستعد للقائه:

إذا استشعر العبد أن الله تعالى شهيدٌ على أقواله وأعماله وأحواله، أثمر ذلك عنده الحذر والخوف والاستعداد، فلا يصدر منه إلا ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال؛ لأنه سبحانه لا تخفى عليه خافيه في ليلٍ أو نهارٍ في سرٍّ أو جهار.

○ **قال سبحانه:** ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس:٦١].

○ **وقال عزّ من قائل:** ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة:٦].

☜ **قال الأصفهاني:** «فينبغي لكل عاملٍ أراد عملًا صَغُرَ العمل أو كَبُرَ أن يقف وقفةً عند دخوله فيه، فيعلم أن الله شهيدٌ عليه؛ فيحاسب نفسه، فإن كان دخوله فيه لله، مضى، وإلا ردّ نفسه عن الدخول فيه»(١).

إذا ما خلوْتَ الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم ترَ أن الدهر أسرع ذاهب ... وأن غدًا للناظرين قريب

❈ ثانيًا: أن نجتنب ظلم العباد والتعدي على حقوقهم:

إن المؤمن حين يقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج:١٧]، ترتعد فرائصه، ويهاب قلبه، ويتحلل من ظلم

(١) الحجة في بيان المحجة.

الناس قبل أن يفصل الله بينه وبينهم يوم القيامة، يوم أن لا يكون دينارٌ ولا درهم.

O **فقد قال** ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات، أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه**»(١).

فاتقِ يومًا الشاهد فيه هو الله، فشهادته سبحانه أصل الشهادات وأعظم الشهادات وأكبر الشهادات.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الأنعام:١٩].

فالله تعالى حين يقضي بين عباده، يقضي بينهم بعلمه وسمعه وبصره الذي لم يفارقهم في الدنيا طرفة عين، فلا يحتاج سبحانه إلى شهيدٍ؛ لأنه كان على كل شيءٍ شهيدًا.

O **عن ابنِ عباسٍ** رضي الله عنهما **قَالَ**: قَامَ فينَا رسولُ الله ﷺ بمَوْعِظَةٍ، فقال: يا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ محشورونَ إِلَى الله تَعَالَى حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ثم قال: «أَلا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلائِقِ يُكْسى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبراهيم عليه السلام، أَلا وإِنَّهُ سَيُجَاء بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمال، فَأَقُولُ: يا رَبِّ أَصْحَابِي! فيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُول كَما قَالَ الْعَبْدُ الصَّالح.

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة١١٨](٢).

ومع أنه تعالى لا يحتاج إلى شهيدٍ؛ إذ كان على كل شيءٍ شهيدًا، إلا أنه عز وجل،

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

من تمام حكمته سبحانه أن جعل علينا شهودًا آخرين؛ لتَعْظُم إقامة الحجة، ولا يكون لأحدٍ يوم القيامة حجة.

☜ **فالملائكة يشهدون:**

كما قال تعالى:: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء:١٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الإنفطار:١٠،١١،١٢].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق:١٧،١٨].

☜ **والكتاب سيشهد:**

كما قال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩].

☜ **والأرض ستشهد:**

كما قال سبحانه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة: ١:٤].

○ سئل النبي ﷺ عن أخبارها؟ فقال: «**أن تشهد على كل عبدٍ وأَمَةٍ بما عمل عليها من خيرٍ أو شر**»(١).

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

☜ **وسيشهد ما هو أكبر من هذا كله:**

كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس:٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصّلت:٢٢].

فمن علم بكل هؤلاء الشهود كيف يكون خوفه من المعبود؟!

فيا خيبة من يراقب الناس ولا يراقب الله!!

ويا حسرة من يستحي من الناس ولا يستحي من الله!!

❋ ثالثا: أن يتخلق العبد بهذا الاسم، فيكون أمينًا في شهادته قائمًا بها ابتغاء مرضاة الله:

▼ **قال الله تعالى:** ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾ [الطلاق:٢].

لله وحده، لا لقريب من أجل قرابته، ولا لصديق من أجل صداقته، ولا لغني من أجل غناه، ولا لفقير من أجل فقره، ولا على عدوٍّ من أجل عداوته، ولكن أقيموا الشهادة لله، كما أمركم الله.

❍ **وقال تعالى:** ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ﴾ [النساء: ١٣٥].

❍ **وقال تعالى:** ﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف:١٩].

❍ **وقال تعالى:** ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ﴾ [٢٨٣].

❍ **وقال تعالى:** ﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ﴾ [البقرة:٢٨٢].

○ **وقال ﷺ: «ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها»**(١).

☜ **وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس، فقال: ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»**(٢).

≈ **ذلك لِمَا يترتب علي شهادة الزور من:**

الكذب والفجور، والظلم، وهدر الحقوق، ونشر البغضاء والأحقاد بين الناس، فبشهادة الزور أُكلت أموالٌ ظلمًا، وانتُزعت أملاكٌ بغير حقٍّ، وبُرِّئَ متهمون، واتُّهِمَ برآء، وأودع أقوام في السجون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❋ رابعًا: أن ندعو الله تعالى باسمه (الشَّهِيد):

كما قال ﷺ: من قال: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ مَلَائِكَتَكَ وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَأُشْهِدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، مَنْ قَالَهَا مَرَّةً أَعْتَقَ اللهُ ثُلُثَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللهُ ثُلُثَيْهِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللهُ كُلَّهُ مِنَ النَّارِ»**(٣).

فاللهم إنا نشهدك أنك أنت الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فاشرح اللهم صدورنا ونقِّ قلوبنا واجبر كسرنا وهيئ لنا من أمرنا رشدًا

❊ ❊

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك وصححه الألباني في الصحيحة.

(٧٤)،(٧٥) المقدم المؤخر

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **قال:** كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللهم لك الحمد أنت قيِّم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت مَلك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق وقولك حقٌ والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمدٌ حق والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمتُ فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا إله غيرك**»[١].

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ **أنه كان يدعو بهذا الدعاء:** «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جَدِّي وهزلي وخطئي وعمدي، وكلُّ ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير**»[٢].

معنى الاسم في حق الله:

(المقدم) (المؤخر) جَلَّجَلَالُهُ: هو المنزِّل الأشياء منازلها، يُقدِّم ما شاء منها ويؤخر ما شاء، قدَّم المقادير قبل أن يخلق الخلق، وقدم من أحب من أوليائه على غيرهم من عبيده، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض درجات، وقدّم من شاء بالتوفيق إلى مقامات

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

السابقين، وأخر من شاء عن مراتبهم وثبطهم عنها، وأخر الشيء عن حين توقعه، لعلمه بما في عواقبه من الحكمة، لا مُقدم لما أخّر، ولا مؤخر لما قدّم...»[(١)].

(المقدم) (المؤخر) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي يُقدم ما يشاء، ومن يشاء، متى شاء، وفق حكمته ومشيئته وإرادته.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المقدم والمؤخر من أسمائه الحسنى المزدوجة المتقابلة التي لا يُطلق واحدٌ بمفرده على الله إلا مقرونًا بالآخر، فإن الكمال من اجتماعهما، فهو تعالى المقدم لمن شاء، والمؤخر لمن شاء بحكمته، وهذا التقديم يكون كونيًا كتقديم بعض المخلوقات على بعض، وتأخير بعضها عن بعض، وكتقديم الأسباب على مسبباتها، والشروط على مشروطاتها، وأنواع التقديم والتأخير في الخلق، والتقديم بحر لا ساحل له، ويكون شرعيًا كما فضل الأنبياء على الخلق، وفضل بعضهم على بعض وقدمهم في العلم والإيمان والعمل والأخلاق وسائر الأوصاف، وأخر من أخّر منهم بشيء من ذلك، وكل هذا تبع لحكمته»[(٢)].

➢ كيف نعبد الله باسميه «المقدم»، «المؤخر»؟

✵ أولًا: أن نرجوه وحده ونتعلق به وحده، ونعلق آمالنا عليه وحده:

من عرف أن الله تعالى هو الذي يُقدم من شاء بفضله، ويؤخر من شاء بعدله، تعلق به وحده وسأله وحده، ورجاه وحده، وخافه وحده، وعمل له وحده.

فمهما حاول البشر تقديم شيء لم يرد الله تعالى تقديمه، أو تأخير شيء لم يُرد الله تأخيره، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، وهذا يُخَلِّص القلب من الخوف من المخلوق أو رجائه؛ لأنه لا يملك تقديم شيء أو تأخيره إلا بإذن الله وحده.

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي.

(٢) الحق الواضح المبين.

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢].

❁ ثانيًا: أن يفهم العبد حقيقة التقدم وحقيقة التأخر:

إن التقدم الحقيقي النافع المحمود هو التقدم نحو طاعة الله، نحو رضوانه وجنته والتأخر الحقيقي الضار المذموم، هو التأخر عن طاعة الله ورضوانه وجنته.

أما التقدم دنيويًا أو التأخر دنيويًا، فليس مقياسًا على شيء.

ولذلك قال الله: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال سبحانه: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١].

ورأى النبي ﷺ في أصحابه تأخرًا فقال لهم: «تقدموا فائتموا بي، وليأتم بكم من بعدكم، ولا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله»(١).

وقال ﷺ: «احضروا الجمعة وادنوا من الإمام، فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يؤخر في الجنة وإن دخلها»(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فالعبد سائرٌ لا واقفٌ، فإما إلى فوق وإما إلى أسفل، وإما إلى أمام، وإما إلى وراء، وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوفٌ البتة، ما هي إلا مراحل تُطوى أسرع

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح أبي داود.

طي إلى الجنة أو إلى النار، فمسرعٌ ومُبطئ، ومتقدم ومتأخرٌ، وليس في الطريق واقف البتة، وإنما يتخالفون في جهة المسير وفي السرعة والبطء: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر: ٣٥، ٣٧] ولم يذكر واقفًا، إذ لا منزل بين الجنة والنار، ولا طريق لسالك إلى غير الدارين البتة، فمن لم يتقدم إلى هذه الأعمال الصالحة، فهو متأخر إلى تلك بالأعمال السيئة...»[(١)].

❋ ثالثا: أن يحرص العبد على كل ما يقدمه إلى الله ويقربه من الله من قول وعمل، وأن يبتعد عن كل ما يؤخره ويحرمه فضل الله من قول أو عمل:

قال سبحانه: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [البقرة:].

وفي الحديث «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله**»[(٢)].

وفي المقابل: قال الله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ إِنَّهُۥ.**﴾ [الأعراف: ٣٣].

وفي الحديث: «**اجتنبوا السبع الموبقات:.....**»[(٣)].

فها هو ديننا يأمرنا بما يُقدمنا، ويحذرنا عما يؤخرنا.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر: ٣٧].

لمن شاء منكم أن يتقدم بفعل ما يقربه من ربه ويدنيه من دار كرامته، أو يتأخر بفعل المعاصي واقتراف الآثام التي تبعده عن ربه وتدنيه من سخطه ودار عذابه.

ولو تأملت الأحاديث التي ذكر فيها اسما الله «المقدم» و «المؤخر»«لوجدتها

---

(١) مدارج السالكين.

(٢) رواه مسلم مرفوعًا.

(٣) متفق عليه.

جاءت في سياق طلب الغفران للذنوب جميعها المتقدم منها والمتأخر، الخطأ والعمد، السر والجهر، وفي هذا إشارة صريحة إلى أن الذنوب تؤخر العبد وتهلكه، ومغفرة الله للعبد تقدمه وترفعه، فليحرص العبد على ما يقدمه ويرفعه، ويحذر مما يؤخره ويهلكه.

❁ رابعًا: أن نُقدم ما قدمه الله، ونؤخر ما أخره الله:

ذلك؛ لأن ميزان التقديم والتأخير هو ميزان الله، لا ميزان الناس، فالناس موازينهم مقلوبة ومختلفة، يقدمون أهل الجاه والمنصب والمال وغيرها، والله تعالى يُقدِّم أهل الصلاح والتقوى ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

فقد مَرّ رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» **فقال:** رجل من أشراف الناس هذا والله حريٌ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يُشفَّع، فسكت رسول الله ﷺ، ثم مَرّ على رجل فقال له رسول الله ﷺ: **ما رأيك في هذا؟ فقال:** يا رسول الله هذا رجلٌ من فقراء المسلمين، هذا حريٌ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال أن لا يُسمع لقوله، فقال ﷺ: «**هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا**»(١).

فالميزان الحقيقي للتقديم والتأخير هو ميزان الصلاح والتقوى، وهو الذي يجب أن نزن به، ونجعله معيارًا للتفاضل.

وتأمل:

يقول ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواءً فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواءً فأقدمهم

---

(١) متفق عليه.

سنًا ولا يؤمّنّ الرجل الرجلَ في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه»(١).

وكان النبي ﷺ يقول يوم أحد: «احفروا وأوسعوا وأعمقوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد وقدموا أكثرهم قرآنا»(٢).

ومن قبل، قال الله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧].

فأمر الله تعالى بتقديم كل صاحب تخصص في تخصصه، ويتأخر غيره.

و«جاء في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن سهيل بن عمر بن الخطاب و الحارث بن هشام،وأبا سفيان بن حرب رضي الله عنهما وجماعة من كبراء قريش من الطلقاء استأذنوا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأذن قبلهم لصهيب وبلال لأنهما كانا من السابقين إلى الإسلام ومن أهل بدر، فوجد أبو سفيان في نفسه، وقال بانفعال: لم أر كاليوم قط، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه؟ فيقول له صاحبه وقد استقرت في حسِّه حقيقة الإسلام: أيها القوم إني والله أرى في وجوهكم، إن كنتم غضابًا، فاغضبوا على أنفسكم، دعي قوم إلى الإسلام ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف إذا دُعوا يوم القيامة وتُركتم؟»(٣).

❁ خامسًا: أن ندعوا الله بهذين الاسمين «المقدم»، «المؤخر»:

كما كان النبي ﷺ يدعو الله بهما.

فعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله إذا سَلّم من الصلاة قال: **«اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم والمؤخر لا إله إلا أنت»(٤).**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وصححه الألباني.

(٣) في ظلال القرآن.

(٤) رواه مسلم.

وكما في حديث أبي موسى – المتقدم – أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري... اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير**».

وكما في حديث ابن عباس – الذي صُدِّر به هذان الاسمان.

(٧٦) المسَعِّر جَلَّ جَلَالُهُ(١)

-عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال الناس: يا رسول الله غلا السِّعر فسعِّر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله هو المسَعِّر القابض الباسط الرازق وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمةٍ في دم ولا مال**»(٢).

-وفي رواية أحمد: «غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله لو سعَّرت...».

-وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن رجلًا جاء فقال:** يا رسول الله سعِّر، فقال: «**بل أدعو** «ثم جاءه رجل فقال: يا رسول الله سعِّر، فقال: «**بل الله يخفضُ ويرفع وإني لأرجو ان ألقي الله وليس لأحد عندي مظلمة**»(٣).

معنى الاسم في حق الله:

«**المسعر**» جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي يضع الأسعار للناس في تجاراتهم(٤).

---

(١) الذين ألحقوا « المسعر » بأسماء الله الحسنى:
١- الإمام القرطبي في كتابه » الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ».
٢- الإمام ابن حزم في » المحلي ».
٣- الإمام عبد الحق الإشبيلي في كتاب » الأحكام الشرعية الكبرى ».
٤- الإمام الشوكاني في » نيل الوطار »
٥- الشيخ عبد العزيز بن باز – ذكر ذلك سعيد بن وهف القحطاني في كتابه.» شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة.
٦- د/ محمود الرضواني في كتابه أسماءالله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة.
٧- الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك في فتاوى واستشارات الإسلام اليوم.
(٢) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد وصححه الألباني.
(٣) أخرجه أحمد في المسند والطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح أبي داود.
(٤) أسماء الله الحسنى عند أهل السنة: محمد أشرف حجازي.

«**المسعر**» ﷻ: هو الذي يُرخص الأشياء ويُغلِّيها وفق تدبيره الكوني أو ما أمر به العباد في تدبيره الشرعي(١).

«**المسعر**» ﷻ: هو الذي يرفع سعر الأقوات ويضعها، فليس ذلك إلا إليه وما تولاه الله بنفسه ولم يكله إلى عباده لا دخل لهم فيه(٢).

حكم التسعير في الإسلام:

التسعير: جَعْلُ سِعرٍ للسلع يُمنع الباعةُ من البيع بأعلى منه.

جمهور أهل العلم على أن التسعير لا يجوز بل يُترك الناس يُرزق بعضهم من بعض لأن النبي ﷺ لم يجبهم إلى التسعير، بل قال: «**إن الله هو المسعر**».

وقال: «**بل أدعو**»، ولأنه ﷺ سماه ظلمًا حين قال: «**إني لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد عندي مظلمة**».

فإذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعتاد المعقول من غير ظلم للناس، فغلا السعر لقلة السلعة في السوق أو لكثرة المشتري فلا يحل التسعير، لأن هذا غلاء من الله.

أما التسعير المتعلق بالتدبير الشرعي فهو منع الظلم وكفُّه عن الناس وذلك بمنع استغلال حاجاتهم أو احتكار التجار لسلعتهم التي يحتاجونها، فالتسعير هنا أمر شرعي وإلزامٌ بالعدل الذي ألزمهم الله به(٣).

---

(١) أسماء الله الحسنى: ماهر مقدم.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي.

(٣) وهو مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وانظر مجموع الفتاوى ج ٢٨، وللتوسع في هذا المسألة: راجع » التسعير ومكانته في السياسة الشرعية » د/ عبد الرحمن بن عبد الله آل حسين.

مشكلة الغلاء:

إن مشكلة غلاء الأسعار مما عمّ به البلوى وكثرت منه الشكوى، وطار خبره وانتشر، وصار حديث الناس في مجالسهم ومنتدياتهم.

وهذه المشكلة لابد من النظر إليها بمنظار الشريعة، لأنها إذا لم تعالج معالجة صحيحة أدت إلى كوارث ونتائج سيئة، كانتشار الفقر والبطالة واليأس والسرقة والإجرام، وإلحاق كثير من الطبقة المتوسطة بالفقراء، وشيوع الربا والزنا وقلة الزواج والعفاف وكثرة الأيامى، وحصول الهم والغم والحزن وغيرها فكان لابد من الوقوف على أسباب هذه الأزمة لنقدر على علاجها.

أسباب الغلاء:

١-التمادي في الذنوب والمعاصي:

إن المؤمن ليعلم علم اليقين أن ما يقع في الناس من مصائب وكوارث ووباء وبلاء وغلاء إنما يكون ابتداءً بسبب ذنوبهم وإعراضهم عن ربهم.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠]

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾ [السجدة: ٢١].

أي لنذيقن هؤلاء الذين خرجوا عن الطاعة من المحن والبلاء والغلاء في الدنيا قبل العذاب المُعدّ لهم في الآخرة، لعلهم بذلك يرجعون إلى رشدهم وينيبون إلى ربهم.

فكيف يُستغرب الغلاء وقد كثر الربا وشاع الزنا؟

كيف يُستغرب الغلاء، والغش والرشوة صارا هما الأصل في المعاملات؟

كيف يُستغرب الغلاء وقد ضُيعت الصلوات واتُبعت الشهوات؟

كيف يُستغرب الغلاء وقد شاع الظلم والتبرج والسفور والخمور والقطيعة والعقوق؟

كيف يُستغرب الغلاء وقد تُرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستمرأ الناس الفساد؟

يقول النبي ﷺ: «ما ظهر الربا والزنا في قوم إلا أحلُّوا بأنفسهم عقاب الله عز وجل»(١).

ويعم العقاب إذا لم يُنكر المُنكر.

كما قال النبي ﷺ: «إن الناس إذا رأو المنكر فلم يُغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقابه»(٢).

ويقول ﷺ: «يا معشر المهاجرين خمسُ خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصواالمكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»(٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه احمد وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع وصحيح الترغيب والترهيب.

العلاج:

وعلاج ذلك بالعودة الصادقة إلى الله:

العودة الصادقة إلى القرآن، إلى السنة، إلى دين الله.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣،٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣].

ورسم القرآن طريق الحياة الطيبة، حياة النعيم والرغد والغِنى الحقيقي والسعادة الفعلية، فيقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

فالغلاء والوباء وسائر البلاء يعالج بالتفرغ للعبادة.

والتفرغ للعبادة ليس معناه الانقطاع عن الكسب وإنما معناه: أن يكون العبد حاضر القلب والجسد أثناء العبادة، ألا ينشغل بالعمل عن العبادة، ألا يترك الصلاة من أجل العمل، ألا يؤخر الصلاة من أجل العمل، ألا يقف في الصلاة شارد الذهن مشغولًا بالدنيا.

قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة: ١١].

قال ذلك بعد أن قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة: ٩].

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت يديك شغلًا ولم أسد فقرك»(١).

وقال ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»(٢).

علاج الغلاء والوباء وسائر البلاء بالتوبة إلى الله والاستغفار.

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١].

فالبلاء لا ينزل إلا بذنب ولا يُرفع إلا بتوبة.

والاستغفار من أعظم مفاتيح الرزق لمن يداوم عليه ويجعله من أوراده.

قال تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ [نوح: ١٠-١٢].

قال القرطبي: «هذه الآية دليل على أن الاستغفار يُستنزل به الرزق والأمطار»(٣).

وفي الحديث: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ورزقه الله من حيث لا يحتسب»(٤).

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٣) الجامع لأحكام القرآن.

(٤) أخرجه الإمام احمد وصححه الشيخ أحمد شاكر.

ومن أسباب الغلاء:

٢- كفران النعم:

إن لله تعالى في هذه الدنيا سننًا وقواعد لا تتغير ولا تتبدل، ومن هذه السنن أن الطاعة والشكر سبب للنعمة ودوامها، وأن المعاصي والجحود سبب لزوال النعمة والعذاب بها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [ابراهيم: ٧].

فكثير من الناس ماداموا في نعمة، ينشغلون بها عن المنعم ولا يشكرون الله على فضله وجوده وإحسانه، فيسلبهم الله النعمة!!

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وتأمل لتُصدِّق:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

وتأمّل كذلك لتتيقن:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥- ١٧].

كانت سبأ من الحضارات العريقة والقوى العظمى التي ليس لها مثيل في زمانها، كانت تملك قوةً عسكرية جبارة، تأمل ثقتهم بأنفسهم كما في سورة النمل: قالوا لملكة سبأ (بلقيس):

﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [النمل: ٣٣].

قال قتادة: إن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها المِكتل فتتساقط الثمار من الأشجار حتى تملؤه دون قِطاف، وذلك لكثرته ونضوجه واستوائه(١).

وقيل: لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج(٢).

أعطاهم الله كل هذه النعم ليعبدوه ويشكروه: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

فماذا كان منهم؟

انشغلوا بالنعمة عن المنعم، وأعرضوا عن طاعة الله، واستخدموا النعمة فيما يُغضب الله!!

فماذا كانت النتيجة؟

سلب الله منهم النعمة، وضيق عليهم في الرزق، وأبدلهم بهذه الرفاهية والرخاء صعوبة وشدة وبلاء.

أرسل عليهم سيل العرم، وهو سيل جارف يحمل في طريقه – من شدته – الحجارة فأغرق أرضهم وماتت أشجارهم وثمارهم، وأبدلهم بهذه الجنان،

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) تفسيرابن كثير.

صحراء قاحلة تتناثر فيها الأشجار الخشنة، وما ذلك من الظالمين ببعيد.

العلاج:

قال عمر بن عبد العزيز: «قيدوا النعم بالشكر»(١).

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم

والشكر حقيقته عمل، لذلك لما أمر الله آل داود أن يشكروه قال ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ﴾ [سبأ:١٣]، أي: اعملوا عملًا تكونون قد أديتم به شكر الله عليكم.

قال ابن القيم – عليه رحمة الله –: «وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة.

والشكر مبنيٌ على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره، فهذه الخمس: هي أساس الشكر، وبناؤه عليها، فمتى عُدِم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة»(٢).

-من العلاجات الناجعة لهذه الأزمة:

الدعاء واللجوء لرب الأرض والسماء:

الدعاء أقصر الطرق لقضاء الحاجات يختصر لك المسافات، قال رب الأرض والسماوات: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٣].

وقال ﷺ: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء

(١) حلية الأولياء: أبو نعيم.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

فيعتلجان إلى يوم القيامة»[١].

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحوّل عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك»[٢].

-ومن العلاجات الناجعة لهذه الأمة:

صلة الرحم:

ألم يقل النبي ﷺ: «من سره أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه»[٣].

إن قطيعة الرحم سببٌ للعقوبة في الدارين، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: **«ما من ذنب أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة، من قطيعة الرحم والبغي»**[٤].

وفي المقابل: صلة الرحم سبب للغنى والبركة والزيادة والنماء في الأموال والأولاد وفي كل شيء.

يقول ﷺ: «إن أعجل الطاعة ثوابًا لصلة الرحم حتى أن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنموا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا»[٥].

إن كثيرًا منا بحاجة ماسة إلى أن يعيدوا حساباتهم مع أنفسهم تجاه أقاربهم وذوي أرحامهم، فالقطيعة داءٌ وبيل شر مستطيل.

---

(١) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم من حديث ابن عمر.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني،

(٥) رواه ابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع.

-ومن العلاجات الناجعة لهذه الأزمة:

إحياء حقوق الأخوة بين المسلمين:

وأقصد إحياء معاني الجود والكرم والبر والإيثار والإحسان، حتى يغير الله ما بنا.

قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى»(١).

وقال ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(٢).

وحقوق الفقراء والضعفاء قبل غيرهم.

فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم».

فعدم الإعتناء بالفقراء، وإهمال حقوقهم، من أسباب الوباء والغلاء والحرمان، وفي قصة أصحاب الجنة في سورة القلم، لما بخل الأغنياء ببعض ثمار بستانهم على الفقراء، ماذا حدث لبستانهم؟

قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٩،٢٠].

أي: محترقة فانية.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

ومن العلاجات الناجعة لهذه الأزمة:

-الإقتصاد وحسن التدبير وترك الإسراف:

قال الله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقال ﷺ: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبَسوا في غير إسراف ولا مخيلة»[١]. تعاهدوا المسرفين في كل زمان ومكان تجدوا أن الله حوّل عليهم النعمة.

مَرّ جابر بن عبد الله، ومعه لحم، على عُمرَ رضي الله عنهما، فقال: ما هذا يا جابر؟ قال: هذا لحم اشتهيته فاشريته، فقال: «أو كلما اشتهيت شيئًا اشتريته، أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ [الأحقاف: ٢٠][٢].

كما لابد من تربية الأولاد على هذا المبدأ ليسايروا سائر الأحوال، ولتكون الأسرة متحدة في هذه السياسة، وذلك مما يعالج به الغلاء.

قيل لإبراهيم بن أدهم: إن اللحم قد غلا!! فقال: «أرخصوه» أي لا تشتروه، وأنشد في ذلك.

وإذا غــلا شـــيء علـــيّ تركتـــه ... فيكون أرخص ما يكون إذا غـلا[٣]

فليس المسلم الحكيم بالذي يُرهق نفسه بكثرة الشراء ويهدر الأوقات والأموال والأعمار، وفي كثيرمن الأحيان يكون مصير ما اشتراه براميل القمامة.

كان أبو الدرداء يقول: «إن من فقه الرجل رفقه في معيشته»[٤]، كما قال تعالى:

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه والنسائي والحاكم وصححه الألباني.

(٢) الزهد: الإمام أحمد.

(٣) الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوزان القشيري.

(٤) نضرة النعيم، نقلًا عن الزهد لهناد السري.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالذين يقتصدون في المآكل نعيمهم بها أكثر من نعيم المسرفين فيها فإن أولئك إذا أدمنوها وألفوها لا يبقى لهذا عندهم كبير لذة مع أنهم لا يصبرون عنها وتكثر أمراضهم بسببها»(١).

ومن العلاجات الناجعة لهذه الأزمة:

-حسن إدارة الأزمة.

فعلى أهل المسؤلية أن يختاروا في إدارة هذه الأزمات، الحفيظ العليم، أي صاحب الكفاءة والعلم والأمانة، إذ أن الأزمة ليست أزمة موارد، إنما هي أزمة أمانة وعلاقة بالله وإدارة.

فقد مرت بكثير من البلاد في كثير من العصور أزمات ونكبات وسنون عجاف، ففي مصر مثلًا في عهد يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كانت السنون العجاف، لكن الملك جعلها في عنق يوسف حين قال: ﴿**قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾**﴾ [يوسف: ٥٥]، فنجا بالأمة من الأزمة.

وفي عام الرمادة – في بداية العام الثامن عشر من الهجرة – في عهد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقعت أزمة طاحنة تمثلت في حصول قحطٍ شديد حتى تجمّع في المدينة من غير أهلها قرابة الستين الفًا.

قل الطعام وجفت الينابيع وغارت المياه حتى كانت الوحوش تأوي إلى الناس واستمرت هذه الأزمة تسعة أشهر.

---

(١) قاعدة في المحبة: ابن تيمية.

وسمَّوه عام الرمادة، قيل لأن الريح كانت تأتي على الأرض فلا تُسفى إلا ترابًا كالرماد.

ماذا فعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

١- حث الناس على التوبة والإكثار من الدعاء واللجوء إلى الله والصلاة.

٢- طلب الغيث من الله.

٣- كتب إلى عماله في الأمصار طالبًا الإعانة، فبعث إليه عمرو بن العاص - والي مصر - ألف بعير تحمل الدقيق، وبعث في البحر عشرين سفينة تحمل الدهن، وبعث بخمسة آلاف كساء، كما أمده سعد بن أبي وقاص ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٤- أما عن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكما قال مولاه أسلم: كنا نقول: لو لم يرفع الله المَحْلَ عام الرمادة لظننا أن عمر يموت همًّا لأمر المسلمين.

ومن العلاجات الناجعة لهذه الأزمة:

الصدق في المعاملات:

فالمسلم لا يحتال ولا يكذب ولا يغش، بل يكون صادقًا أمينًا صافيًا سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى وإذا اقتضى، والتاجر له دورٌ عظيم، فالتاجر المسلم يتحلى بحسن النية والرفق بالمسلمين وأن يوفر لهم الجيد بالثمن المناسب، وليحذر أن يزداد ربحه على حساب معاناة الآخرين.

فقد خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى البقيع - والناس يتبايعون - فنادى: «يا معشر التجار، فاستجابوا له ورفعوا إليه أبصارهم، فقال: إن التجارَ يُبعثون يوم القيامة فجارًا إلا من اتقى وبرّ وصدق»[1].

---

(١) رواه ابن حبان وصححه الألباني في الصحيحة.

وفي رواية: «إن التجار هم الفجار، فقالوا: يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع؟ فقال: بلى ولكنهم يحلفون فيأثمون ويُحدِّثون فيكذبون»(١).

ومن أعظم ما يعالج به الأزمة:

القناعة والرضا:

فلقد أوصانا النبي ﷺ أن ننظر في أمور دنيانا إلى من هو دوننا ونهانا أن ننظر إلى من هو فوقنا.

فقال ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله»(٢).

وقال ﷺ: «قد أفلح من أسلم ورُزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه»(٣).

هي القناعة فالزمها تعش ملكًا ... لو لم يكن لك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

---

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٧٧) (٧٨) القابض الباسط جَلَّ جَلَالُهُ

-عن أنسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قال:** قال الناس: غلا السعر يا رسول الله، فسعِّر لنا، فقال ﷺ: «**إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق وإني لأرجو أن ألقى الله، وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دمٍ أو مال**»(١).

-وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٦٢﴾ [العنكبوت: ٦٢].

أي أنه تعالى يوسِّع على من يشاء ويضيّق على من يشاء وفق علمه ومشيئته وحكمته.

-وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣٧﴾ [الروم: ٣٧].

أحيانًا نقول: فلان ذكيّ، وفلان صاحب تجارب، وفلان لديه خبرات قوية، وفلان مخطط جيد، ونحو ذلك، وفي الحقيقة أن الله يقبض ويبسط، ويسلب ويرزق، ويعطي ويمنع، فإذا أراد أن يرزقك ألهمك الوسائل والأساليب والقدرات والطاقات والخبرات، وإذا أراد أن يمنعك حجب عنك ذلك كلَّه.

-وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة: ٢٤٥].

فالقبض: التضييق، **والبسط:** التوسيع، فالله تعالى بيده التضييق والتوسيع، ويعم ذلك كل شيء، الرزق والعلم والعمر والصدر، وكل ما يتعلق بالدنيا والآخرة.

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وأبو داود وصححه الألباني.

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

(القابض) جل جلاله: هو الذي يطوي بره ومعروفه عمن يريد، ويضيِّق ويُقتِّر أو يحرم فيفقر.

(الباسط) جل جلاله: هو الناشر فضله على عباده، يرزق ويوسِّع، ويجود، ويُفضِّل ويمكِّن ويُخوِّل، ويعطي أكثر مما يحتاج الناس إليه(١).

فسبحانه «يسلب تارة ويعطي تارة، أو يسلب قومًا ويعطي قومًا»(٢).

(القابض) جل جلاله: هو الذي إذا منع لا يستطيع أحد من الخلق الوصول إلى ما منع.

(الباسط) جل جلاله: هو الذي إذا أعطى لا يستطيع أحدٌ من الخلق أن يحجب ذلك فإذا أَغلق بابًا لم يقو أحدٌ على فتحه، وإذا فتح بابًا لم يقو أحد على غلقه، إذا بسط فلا قابض، وإذا قبض فلا باسط.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر: ٢].

(القابض) جل جلاله: هو الذي يقبض القلوب ويُضيِّق الصدور حتى تصير حرجًا كأنما تصَّعد في السماء، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

(والباسط) جل جلاله: هو الذي يملأ القلوب بالفرح والانشراح والبهجة ويُفيض

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان: الحليمي.

(٢) المفردات: الراغب الأصبهاني.

عليها من ألوان برِّه ولطفه، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ..﴾ [الزمر: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح:١].

فأحيانًا نشعر بالضيق والانقباض والوحشة، وأحيانًا نشعر بالسعادة والطمأنينة والسرور وكأننا في الجنة، إنه القبض والبسط، وإنه القابض الباسط ﷻ.

(القابض الباسط) ﷻ: هو الذي يقبض العلم عمن يشاء ويبسطه لمن يشاء كما قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وقال ﷺ: «إن الله لا ينزع العلم انتزاعًا من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالِمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»(١).

وجوب اقتران الاسمين:

هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلة التي لا يجوز أن يُفرد أحدهما عن قرينة، ولا أن يُثنَى على الله بواحد منها إلا مقرونًا بمقابِلِه، فلا يجوز أن يُفرد القابض عن الباسط ولا الخافض عن الرافع، لأن الكمال المطلق إنما يحصل بمجموع الوصفين..»(٢).

فإذا قلت: القابض فقط، فقد وصفت الله بالمنع والبخل!! حاشاه، وإذا قلت: باسط فقط فقد وصفته سبحانه بالإسراف وعدم الحكمة!! حاشاه، ولكن إذا قلت القابض الباسط فقد وصفته تعالى بالقدرة والحكمة، فسبحانه وتعالى قال وهو أصدق القائلين: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) شرح نونية ابن القيم: الهراس.

➢ **كيف نعبد الله باسميه: «القابض» «الباسط»؟**

❁ **أولًا: أن نؤمن بأن لله تعالى الحكمة البالغة في القبض والبسط:**

فسبحانه وتعالى يقبض لحكمة، فلربما أفسدك الغنى وأطغاك، ويبسط لحكمة فلربما الفقر أفسدك وأساء ظنك بربك.

فعطاؤه ومنعه تابع لعلمه بعباده وما يصلحهم وما يفسدهم، ولذلك كثيرًا ما يقرن القبض والبسط بالعلم الخبرة.

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى: ١٢].

وقال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: ٢٧].

ولا يعني بسطه سبحانه، على أحد من خلقه في شيء من الدنيا رضاه عن المبسوط له، كما لا يعني أيضًا قبضه سبحانه عن أحد من خلقه في شيء من الدنيا سخطه عليه ومقته له، كلا، بل قد يدل ذلك على العكس، إذ إن الله - ﷻ - يضيّق على بعض أوليائه رحمة بهم ولطفًا ويوسّع ويبسط على بعض أعدائه إملاءَ لهم واستدراجًا، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥ -١٧].

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥].

ومن ذلك ما ينعمه سبحانه على الكفار والعصاة من هذه الدنيا استدراجًا، قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤][1].

---

(١) ولله الأسماء الحسنى: عبد العزيز ناصر الجليل.

❋ ثانيًا: أن نرضى بما قسم الله لنا:

من رزق وغيره، سواء كان قبضًا أو بسطًا، لأنه سبحانه الحكيم العليم بخلقه وما يُصلح لهم، فله الحمد على كل أفعاله وله الحمد في خلقه وأمره.

❋ ثالثًا: أن يعوّد الإنسان يده على البذل والإنفاق:

فعلى من بسط الله له في ماله أو علمه أو مكانته أن ينفق مما آتاه الله، وأن يحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليه، وليحذر العبد أن يحصي فيحصي الله عليه، أو يبخل فيضّيق الله عليه.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: عبدي أنفق ينفَق عليك» أو قال «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحّاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه، قال: وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض»(١).

وقال ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها له كما يُربي أحدكم فَلوَّه حتى تكون مثل الجبل»(٢).

ومن ضُيِّق عليه فليلجأ إلى الله وحده، طالبًا مدّه وعونه وفضله، وليوقن العبد أن الله الذي أعطى غيره لا يُعجزه أن يعطيه مثلهم، وليعلم العبد أن المعضلة ليست في الفقر وإنما في الافتتان بالدنيا والمال.

فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجرّاح إلى البحرين يأتي بجزيتها، فقدِم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدومه، فوافَتْهُ صلاة الصبح مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفوا تعرضوا له فتبسم

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

حين رآهم وقال: **أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء، قالوا: أجل يا رسول الله، قال:: فأبشروا وأَمِّلوا ما يَسرُّكم، فوالله مالفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتْهم**»(١).

❃ رابعًا: أن تعلم أن أعظم البسط هو بسط الرحمة والهداية على القلب حتى يستضيء بنور الإيمان ويتخلص من آثار الذنوب:

قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].

❃ خامسًا: أن يستشعر العبد أن قبضه وبسطه، إنما هو امتحان يمتحن به عباده:

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقد ظن بعض المعْرضين المكذبين للرسل أن بسط الله لهم إنما ذلك لكرامتهم على الله وأنه اصطفاءٌ منه لهم، فرد الله عليهم زعمهم وصحح لهم سوء فهمهم فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٤-٣٧].

❃ سادسًا: الحذر من استعمال ما بسطه الله لك من الرزق وغيره في معاصيه:

فإن ذلك موجب لسخط الله وسلب النعم وحلول الأوجاع والنكبات والنقم،

---

(١) رواه البخاري في الجزية.

بل الواجب شكر الله تعالى على عطائه وبسطه بالقلب واللسان والأعمال.

فإذا بسط الله لك في الجسم فابسطه في العبادة الموصلة إلى السعادة.

وإذا بسط الله لك في المال فابسطه في العطاء الموصل إلى الزيادة والنماء.

وإذا بسط الله لك في العلم فابسطه في الدعوة والتربية والتعليم فذاك موصِّل إلى النعيم المقيم.

وإلم يكن لك حظ من هذه البسطات فالقَ أخاك بوجه طلْق.

❋ سابعًا: على من بُسطت له الدنيا أن يعترف بفضل الله ومنته:

ولا يقل كما قال الهالك: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص: ٧٨]؟!

وإنما يقول كما قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١].

أو يقول كما سليمان: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠﴾ [النمل: ٤٠].

❋ ثامنًا: على من بُسطت له الدنيا أن يخشى أن يكون ذلك من الله استدراجًا:

فقد جرت سنة الله أن أكثر ما يكون العطاء للفسقة والمعرضين، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤].

وقد كان الصالحون الذين أنعم الله عليهم وبسط لهم، يخشون أن تكون حسناتهم عُجلت لهم، كما قال عبد الرحمن بن عوف، **وقد أُتِي بطعام وكان صائمًا: قُتل مُصعب بن عمير، وهو خير مني، كُفِّن في بردة إن غُطِي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي**

رجلاه بدا رأسه، وقُتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام»(١).

❊ تاسعًا: أن يوقن العبد الذي حُرم شيئًا من الدنيا من مال أو ولد أو غيرهما، أن اختيار الله له خير من اختياره لنفسه:

فكم من عطاء كان سببًا في الشقاء، ولعل الله حرمك لتصفو له وتقر عينك به وتتلذذ بعبوديته.

وفي القدر خفايا وأسرار، ولو كُشف للعبد الحجاب لما اختار غير ما قضاه الله له.

أوَليس قارون قد أوتي من الملك ما كانت مفاتيح خزائنه لا يطيق حملها أشداء الرجال إلا بمشقة فكيف بالخزائن نفسها؟

حتى أن السُّذَّج من الخلق تمنّوا ما عنده، ولم يتفطنوا أن المسألة امتحان عسير!!

فماذا كانت النتيجة؟ اغتر قارون بالنعم ونسي المنعم، حتى بلغ الطغيان حده عنده، فأراد الله تعالى أن يبين لهم حال قارون في الدنيا قبل الآخرة، وأن ماله وما ملكه لم يزده من الله إلا بعدًا فخسف به الأرض، فحينها علم المغترون الحكمة الربانية في عدم إعطائهم ما أعطي قارون فقالوا كما قال الله عنهم: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: ٨٢].

❊عاشرًا: أن يعلم العبد أن الرب جل وعلا (القابض الباسط) يربي عباده على السراء والضراء:

ليكون الإنسان عبدًا في جميع الأحوال، إذا أُعطي شكر وإذا مُنع صبر، أما

---

(١) رواه البخاري.

عبد السراء والعافية الذي يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على جهه، فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته.

وأخيرًا: دعاء الله تعالى باسميه (القابض الباسط) وثناؤه عليه بهما:

انظر إلى النبي ﷺ وهو في أشد أيامه صعوبة وألمًا وجراحًا «لما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال رسول الله ﷺ: «**استووا حتى أثني على ربي فصاروا خلفه صفوفًا، فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت، ولا مُقرِّب لما باعدت ولا مباعد لما قرّبت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك..**»[١].

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني في الأدب المفرد.

(٧٩) الوهـــــاب
(٨٠) المنـــان
(٨١) المقيـت
(٨٢) المعطي(١)

• قال تعالى – وهو يذكر صفات الراسخين في العلم، ودعاءَهم – ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ [ص: ٩].

وقال سبحانه عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: ٣٥].

• وعن أنس رضي الله عنه أنه كان جالسًا مع النبي ﷺ، ورجل يصلي ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنَّان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال ﷺ: «**لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى**»(٢).

• **وقال الله تعالى:** ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء: ٨٥].

• **وقال** ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا**

---

(١) حصل الجمع بين هذه الأسماء؛ لأن صفة التعبد بها واحدة أو مشابهة، وإن كانت بينها فروق في المعنى، كما في أسماء: القادر، والمقتدر، والرازق والرزاق.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

تزال هذه الأمة ظاهرة على من خالفهم حتى يأتي أمرُ الله وهم ظاهرون»(١).

معنى هذه الأسماء في حق الله تعالى:

(الوهاب) ﷻ: كثير الهبة والعطايا.

(الوهاب) ﷻ: هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يدٍ [عن غنىً] من غير استثابة»(٢).

فَيهَبُ ﷻ تفضلًا وابتداءً من غير استحقاقٍ ولا مكافأة ولا عوض ولا غرض، فمن كان بهذه الصفة سُمِّي وَهّابًا.

قال الخطابي: «ولا يستحق أن يسمَّى وهابًا إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطايا فكثرت نوافله ودامت»(٣).

وقال الحليمي: «الوهاب: المتفضل بالعطايا المنعم بها لا عن استحقاق»(٤).

«هذا الاسم يدل على البذل الشامل والعطاء الدائم بغير تكلف ولا غرض ولا عِوَض»(٥).

الفرق بين هبة الخالق وهبة المخلوق:

١- هبة الخالق غير محدودة؛ ولكن هبة المخلوق محدودة:

يفرِّق الأصبهاني بين هبة الله وهبة المخلوق فيقول: «الوهاب يهب العافية ولا يقدر المخلوق أن يهبها، ويهب القوة ولا يقدر المخلوق أن يهبها، تقول: يا رب

---

(١) رواه البخاري.

(٢) شأن الدعاء للخطابي.

(٣) شأن الدعاء، وانظر المقصد الأسنى للغزالي.

(٤) المنهاج في شعب الإيمان.

(٥) الأسنى للقرطبي.

هب لي العافية ولا تسأل مخلوقًا ذلك، وإن سألته لم يقدر المخلوق عليه، وتقول عند ضعفك: يا رب هب لي قوة والمخلوق لا يقدر على ذلك»(١).

فهبة الخالق على الوجه الأكمل؛ لكن هبة المخلوق ناقصة، إن قدر على شيء لا يقدر على الآخر.

وقال الخطابي: «والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالًا أو نوالًا في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم، ولا ولدًا لعقيم، ولا هدىً لضُلَّال، ولا عافية لذي بلاء، والله سبحانه يملك جميع ذلك، وسع الخلق جودُه ورحمته، فدامت مواهبُه واتصلت مننُه وعوائده»(٢).

٢-هبة الخالق بلا عوض، وهبة المخلوق بعوض عاجل أو آجل، دنيوي أو أخروي:

قال الإمام القرطبي: «هذا الاسم في حق الله يدل على البذل الشامل والعطاء الدائم بغير تكلف ولا غرض ولا عوض، وكل من يعطي سواه، فإنما بغرض أو عوض في الدينا أو في الدين عاجلًا أو آجلًا، إذ لا يُتَصوَّر الهبة ولا يصح الوهاب إلا لله وحده»(٣).

٣-هبة الله لخلقه لا تكون عبثًا بل لحكمة بالغة، وهبة المخلوق قد تكون سفهًا وعبثًا.

قال الإمام النسفي: «الوهاب: الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمتهُ»(٤).

---

(١) الحجة في بيان المحجة.

(٢) شأن الدعاء.

(٣) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى.

(٤) تفسير النسفي.

بخلاف هبة المخلوق فإنها قد تكون عبثًا وإفسادًا في الأرض، كمن يهب لولده الفاسد، أو كمن يهب لإقامة إحدى المشروعات التافهة ونحو ذلك.

• **(المنان)** جَلَّ جَلَالُهُ: المانُّ على عباده ولا منة لأحد عليه منهم.

قال الراغب الأصفهاني: «المنة النعمة الثقيلة...»(١).

• **(المقيت)** جَلَّ جَلَالُهُ: «معطي القوت»(٢).

قال أبو عبيدة: المقيت: الحافظ.

وقال النحاس؛ لأنه مشتق من القوت، والقوت: الذي مقدار ما يحفظ الإنسان(٣).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «المقيت» الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات...»(٤).

• **(المعطي)** أي على الحقيقة لكل الخليقة، لا مانع لما أعطى ولا معطى لم منع، يعطي من استحق العطاء، ويمنع من لم يستحق إلا المنع، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وهو العادل في جميع ذلك، فإذا أعطي فتفضُّل وإصلاح وإذا منع فحكمة وصلاح»(٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **– في قوله** ﷺ: «**اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت**»: «لما كان المقصود بهذا تفرد الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعطاء والمنع، لم يكن لذكر المعطَى، ولا لفظ المعطِي معنى، بل المقصود أن حقيقة العطاء والمنع إليك لا إلى غيرك، بل أنت المتفرد بها لا يشركك فيها أحد»(٦).

---

(١) مفردات غريب القرآن.

(٢) شأن الدعاء.

(٣) تفسير الطبري.

(٤) تفسير السعدي.

(٥) انظر شأن الدعاء للخطابي، وأسماء الله الحسنى للرضواني.

(٦) جلاء الأفهام.

وعطاء الله ﷻ نوعان:

١-**عطاء عام**: لكل الخلائق أجمعين، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، **من** الهبات والخيرات، والأرزاق، بما يقيمهم ويصلح لهم أمرهم في دنياهم، **قال تعالى**: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ٢٠]، **وقال تعالى**: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٥٠].

٢-**عطاءٌ خاص:**

في الدنيا: لأنبيائه ورسله وعباده الصالحين، من الرزق الحلال والذرية الصالحة وأعظمها عطية الإيمان واليقين والهدى المبين، قال ﷺ: «**إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من أحب**»(١).

وفي الآخرة: وهي العطية الكبرى في جناته العلا، التي لا أكمل ولا أجلّ منها على الإطلاق، قال تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ: ٣٦]، وأعظم العطاء في دار الحسن والبهاء، رضا رب العباد، قال ﷺ: «....**ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا أي شيءٍ أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»(٢)(٣).

فروق مهمة:

-الفرق بين اسم الله الرازق واسم الله المقيت:

أن المقيت أخص من الرازق، لأنه يختص بالقوت، أما الرازق فيتناول القوت وغيره.

---

(١) الصحيحة.

(٢) رواه مسلم.

(٣) انظر: الجامع أسماء الله الحسنى: ماهر مقدم، وهذا الكتاب من أحسن ما رأيت في بيان معاني أسماء الله.

-الفرق بين اسم الله الرازق واسم الله الوهاب واسم الله المنان واسم الله المعطي:

الذي يتأمل النص القرآني يجد أن:

(الوهاب): أكثر استعمالاته في هبة الولد.

قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ [الصافات: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠﴾ [مريم: ٤٩-٥٠].

وقال تعالى عن زكريا: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾ [ص: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩﴾ [الشورى: ٤٩].

وقال تعالى عن عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقيل: إن الرزق والعطاء قد يكون حلالًا أو حرامًا، وقد يكون منحة، وقد يكون نعمة أو نقمة، أما الهبة فلا تكون إلا خيرًا خالصًا لا إثم فيه ولا حساب عليه.

أما (المنان) فأكثر استعمالاته في النعم الثقيلة والمنن الكبيرة، كبعث الرسل، والهداية، والإيمان، والتمكين في الأرض، والإنقاذ من العذاب.

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ [الصافات: ١١٤ -١١٨].

وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧].

وقال تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ [القصص: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٧].

(**أما الرزاق**) فأكثر استعمالاته في الأموال والطعام والشراب ونحوها.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [الحج: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٠].

وقال تعالى – حكاية عن إبراهيم –: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

(**أما المعطي**) فيستعمل في سائر الأعطيات الماضية؛ لكن يُراد به التفرد بالعطاء، وأنه لا مانع لما أعطى، سبحانه.

➢ كيف نعبد الله بأسمائه: الوهاب، المنان، المقيت، المعطي؟

❃ أولًا: أن نستشعر مِنَنَ الله ونعمه وعطاياه:

وهذا ما يُعبِّر عنه البعض بشهود المنة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا الباب يدخل منه كل أحدٍ إلى محبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن نعمته على

عباده مشهودة لهم، يتقلبون فيها على عدد الأنفاس واللحظات وقد رُوي في بعض الأحاديث «**أحبوا الله لِما يغذوكم به من نعمه**» فهذه محبة تنشأ من مطالعة المنن ورؤية النعم والآلاء، وكلما سافر القلب فيها ازدادت محبته وتأكدت، ولا نهاية لها فيقف سفر القلب عندها، بل كلما ازداد فيها نظرًا ازداد فيها اعتبارًا وعجزًا عن ضبط القليل منها، فليستدل بما عرفه على ما لم يعرفه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دعا عباده إليه من هذا الباب»(١).

فالقلب لو شهد المنة لم يشهد غيرَ الله.

قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ﴾ [النور: ٢١].

وهذا ما علمناه النبي ﷺ إذ كان يوم الخندق ينقل التراب مع أصحابه حتى أغبَر بطنه وهو يقول:

والله لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلنْ سكينة علينا ... وثبِّت الأقدام إن لاقينا

إن الأُلى قد بغو علينا ... إذا أرادوا فتنةً أبينا(٢)

وأعظم المنة التي ينبغي أن يشاهدها العبد: منه الهداية إلى الإيمان والثبات على هذا الدين، فقد كثرت الفتن، وانتكس كثيرٌ من الخلق عن ما كانوا عليه من الخير والاستقامة والصلاح، في ذلك الحين يشاهد العبد منةً الله تعالى عليه بالثبات، ويسأل دوامه.

فـ«**ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه**»(٣).

---

(١) طريق الهجرتين.

(٢) رواه مسلم من حديث البراء.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان وغيرهم مرفوعًا وصححه الألباني.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

❃ ثانيًا: أن نقوم بشكره سبحانه على مننه وهباته وأُعطياته:

بالقلب واللسان والجوارح، بإعمال هذه الأركان الثلاثة في طاعته والتقرب إليه، وإمساكها عن كل ما يبغضه وينهى عنه.

فإن العبد إذا لم يشكر قُلبت المِنن نقمًا، والعطايا بلايا، والهبات عذابًا وشتاتًا، أو يُستدرج العبد فيُزاد له في النعم ثم يُعذَّب بها ويشقى من خلالها ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧]»[(١)].

❃ ثالثا: أن نعتمد على الله وحده في جلب المنافع – أيا كانت – ودفع المضار – أيا كانت:

لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده هو الذي يملك ذلك، مع الأخذ بالأسباب التي شرعها الله، مع الحذر من التعلق بها، وهذا هو التوحيد الذي يتحقق معه الأمن والأمان، وهذا هو التعلق بالله الذي يُسكب في قلب العبد الطمأنينة والرضا، فلا تنتابه المخاوف، ولا يعتريه القلق على الرزق وغيره.

❃ رابعًا: أن نسأل «الوهاب» «المنان» «المقيت» «المعطي» من فضله:

ألسنا فقراء إلى الله تعالى؟

بلى فقراء في الفهم، فقراء في العلم، فقراء في الجسم، فقراء في الصحة، فقراء في الخُلق، فقراء في العبادة والقيام والذكر والصيام والقرآن.

﴿۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

---

(١) راجع اسم الله الشكور.

فمالنا لا نسأل الله من فضله، وهو الرزاق الوهاب المنان المقيت والمعطي؟!

ألم يقل الله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ [النساء: ٣٢].

تأمل النبي سليمان وهو يسأل الوهاب المنان ﷻ:

قال الله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾ [ص: ٣٥- ٤٠].

فإن قيل: كيف أقدم سليمان على طلب الدنيا، مع ذمها من الله وبغضه لها؟

فالجواب: أن ذلك محمولٌ عند العلماء على أداء حقوق الله تعالى، وسياسة ملكه، وترتيب منازل خلقه، وإقامة حدوده، والمحافظة على رسمه وتعظيم شعائره، وظهور عبادته، ولزوم طاعته، ونظم قانون الحكم النافذ عليهم منه، وتحقيق الوعود في أنه يعلم ما لا يعلم أحدٌ من خلقه حسب ما صرّح بذلك لملائكته فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ وحاشا سليمان عليه السلام أن يكون سؤاله طلبًا لنفس الدنيا؛ لأنه هو والأنبياء أزهد خلق الله فيها، وإنما سأل مملكتها لله، كما سأل نوح دمارها وهلاكها لله، فكانا محمودين مجابين إلى ذلك، فأجيب نوح فأهلك من عليها، وأُعطي سليمان المملكة»[1].

وأفضل ما نسأله سبحانه: قوت القلوب من الإيمان والهدى والإخلاص، فهذا هو القوت الحقيقي الذي إذا حصل للعبد فلا يضره ما فاته من قوت الأبدان.

فقــوت الــروح أرواح المعــاني ... ولــيس بــأن طعمــت وأن شــربتا

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي.

❋ خامسًا: أن نطمئن ونهدأ:

فالمقيت سيوصل إلينا أقواتنا، والوهاب سيهبنا ما قُدِّر لنا، والمنان سيمن علينا بما يصلحنا، والرزاق المعطي سيؤتينا من فضله.

ما على العبد إلا أن ينشغل بوظيفته، العبادة.

كما قال الله تعالى – في الحديث القدسي – «**يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً وأسدَّ فقرك، وإن لا تفعل، ملأتُ يَدَكَ شغلًا ولم أسدَّ فقرك**»(١).

وما دام الأجل باقيًا، فالقوت والرزق آتيان، وإذا سَدّ الله عليك بحكمته طريقًا، فتح لك برحمته طريقًا آخر.

❋ سادسًا: أن نكون واهبين مما وهبنا الله، ومعطين مما أعطانا الله:

من مال أو علم أو فهم أو غير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ [الحديد: ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور ٣٣].

وقال ﷺ: «**ما من يوم يصبح على العباد، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»(٢).

وقال ﷺ: «**الأيدي ثلاثة: فيد الله العليا، ويدُ المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى، فأعط الفضل ولا تعجز عن نفسك**»(٣).

---

(١) صحيح الترمذي.

(٢) متفق عليه.

(٣) صحيح أبي داود.

❋ سابعًا: أن نحذر المنَّ على الله:

فهذا الداء سببه الجهل بالله، ونتيجته: الإبعاد عن الله.

لأن الذي يمن على الله نسِي منة الله، نسِي أن ما به من نعمةٍ فمن الله، فراح يفخر بها ويمن، وقد نسبها إليه قائلًا: صليتُ وتصدقت، وأعطيت، وأنفقت!!

وكل هذه في الحقيقة دعوى كاذبة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٧].

فالمنة لله وحده، والفضل منه وحده، والتوفيق منسوب إليه وحده.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما أعطى رسولُ الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش، وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وَجَدَ هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت فيهم القالةُ، حتى قال قائلهم: لقي رسول الله قومَه!! فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله إن هذا الحي، قد وجدوا عليك في أنفسهم لِما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظامًا في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيءٌ، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله ما أنا إلا امرؤ من قومي، قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، فلما اجتمعوا، أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، قال: فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهلٌ، ثم قال: يا معشر الأنصار ما قالةٌ بلغتني عنكم، وجِدَةٌ وجدتموها في أنفسكم؟!

ألم آتكم ضلالًا فهداكم الله؟! وعالة فأغناكم الله؟!

وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟! قالوا: بلى، الله ورسوله أَمَنُّ وأفضلُ.

قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المنُّ والفضلُ؟

قال: أما والله لو شئتم لقلتم، فلصَدَقتم، وصُدِّقتم، أتيتنا مُكَذَّبًا فصدّقناك، ومخذولًا فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلًا فأغنيناك!!

أَوَجَدُّتُم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعةٍ من الدنيا تألَّفْتُ بها قومًا ليُسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟

أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله في رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

فبكى القومُ حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قِسمًا وحظًا، ثم انصرف رسول الله وتفرقنا»[(١)].

❁ ثامنًا: أن نجتنب المنَّ على خلق الله؟

لأن المنَّ لله وحده، هو رب الفضل والإنعام، وهو ولي النعمة ومسديها، فهو الوهاب المنان المقيت المعطي.

فَمَنُّ الله إفضالٌ وتذكير، ومَنُّ العباد تكدير وتعيير.

قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة ٢٦٢ - ٢٦٤].

---

(١) متفق عليه.

وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنان الذي لا يُعطي شيئًا إلا منةً، والمنَفِّق سلعته بالحلف الكاذب»(١).

والمنّ نوعان:

أحدهما: مَنٌّ بالقلب من غير تصريح باللسان، وهذا إن لم يُبطل الصدقة ففيه قلة شهود منةِ الله عليه في إعطائه وحرمان غيره، وتوفيقه ومنع غيره، فكيف يشهد قلبه منةً لغيره؟

الثاني: أن يمن باللسان فيتعدى على من أحسن إليهم فهذا مبطلٌ لعمله موقفٌ لأجره، مُبَدِّلٌ لحسناته سيئات!!

وكانوا يقولون: إذا اصطنعتم صنيعة فانسوها، وإذا أُسديت إليكم صنيعة فلا تنسوها.

تاسعًا: أن يحذر العبد أن يُضيِّع من يقوت:

أي من جعله الله سببًا في قوتهم، وهم من تجب عليه نفقتهم من زوجة وأبناء ونحوهم.

فقد كان ﷺ يقول: «كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع من يقوت»(٢).

وكان من دعائه ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»(٣).

حتى لا تُرهقهم الفاقة ولا تذلهم المسألة، وكذلك لا تُفتح لهم الدنيا فيركنوا إليها.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح أبي داود.

(٣) رواه مسلم.

وكان من حرصه ﷺ على أهله، كان إذا فتح الله عليه ادخر لأهله قوت سنتهم، وكما جاء في صحيح البخاري «**أنه ﷺ كان يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم**».

❈ عاشرًا: أن ندعوا الله تعالى بأسمائه: الوهاب المنان المقيت المعطي:

كما قال ابراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء: ٨٣]، وكما قال الراسخون في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

وكما قال عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

وكما قالت عائشة: «اللهم مُنَّ علينا وقنا عذاب السموم..»(١).

فاللهم يا وهاب يا منان يا مقيت يا معطي، نسألك من فضلك العظيم.

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٨٣) الرقيب جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ [الأحزاب: ٥٢].

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(الرقيب) جل جلاله: هو الذي يحيط «سمعه بالمسموعات وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان»(١).

وهو الرقيب على الخواطر واللواحظ، كيف بالأفعال بالأركان(٢).

أي أنه إذا كان الله عز وجل رقيبًا على دقائق الخفيات، مطلعًا على السرائر والنيات كان من باب أولى شهيدًا على الظواهر والجليات، وهي الأفعال التي تُفعل بالأركان أي الجوارح(٣).

ومراقبةُ الله لخلقه مراقبةٌ عن استعلاء وفوقية وقدرة صمدية لا تتحرك ذرة إلا بإذنه ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، مَلِكٌ له الملك كله، وله الحمد كله، أَزِمَّةُ الأمور كلها بيده، ومصدرها منه ومَردها إليه، مستوٍ على عرشه لا تخفى عليه خافية، عالمٌ بما في نفوس عباده مطلعٌ على السر والعلانية، يسمع ويرى، يعطي ويمنع، يثيب ويعاقب، يُكرم ويهين، يخلق ويرزق، يميت ويحيي، يُقدِّر ويقضي، يدبر أمور

---

(١) الحق الواضح المبين: السعدي.

(٢) نونية ابن القيم.

(٣) شرح القصيدة النونية.

مملكته، فمراقبته لخلقه مراقبة حفظ دائمة وهيمنة كاملة وعلم وإحاطة[١].

➢ **كيف نعبد الله باسمه «الرقيب»؟**

✵ أولًا: أن نراقب الله في القول والعمل والسر والعلن:

لأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية ولا تغيب عنه غائبة، يسمع كلامنا ويرى مكاننا، ويعلم ما تخفيه أعيننا وما تُضمره صدورنا، فإذا أيقن العبد بهذه، سعى إلى حفظ قلبه وسمعه وبصره ولسانه وجوارحه كلها من أن يكون منها أو فيها ما يُسخط الله سبحانه.

«وإذا تحقق معنى الرقيب في قلب العبد وملك عليه زمام نفسه، أورثه ذلك التقوى، وراقب نفسه، أن لا يراها حيث نهاها، ولا يفتقدها حيث أمرها، وتأتيه المغريات والشهوات التي تدير الرؤوس، يسوقها شياطين الجن والإنس كي يُدخلوا العباد في متاهات الباطل وظلمات الفساد، فتأتي رقابة الله التي استقرت في قلبه فتكون حماية ووقاية، فمتى راقب العبد ربه أحسن قوله وعمله فبلغ درجة الإحسان للملك الديان.

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيب.

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ... أن ما تُخفيه عنه يغيب.

ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب ... وأن غدًا للناظرين قريب[٢].

• منزلة المراقبة:

المراقبة أساس الأعمال القلبية كلها، وعمودها الذي قيامها به، ولقد جمع

---

(١) الفوائد لابن القيم، بتصرف يسير.

(٢) أسماء الله الحسنى: د/ عمر الأشقر.

النبي ﷺ، أصول أعمال القلب وفروعها كلها في كلمة واحدة، وهي قوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه**» فتأمل كل مقام من مقامات الدين وكل عمل من أعمال القلوب، كيف تجد هذا أصلَه ومنبعَه(١).

• معنى المراقبة:

المراقبة: هي التعبد باسمه الرقيب، والحفيظ، والعليم، والسميع، والبصير فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة(٢).

المراقبة: دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين، هي المراقبة، وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه سامع لقوله، وهو مطلعٌ على علمه كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين، فالغافل عن هذا، بمعزل عن حال أهل البدايات، فكيف بحال المريدين، فكيف بحال العارفين؟(٣).

• الحث على المراقبة والتأكيد عليها في الكتاب والسنة وأقوال السلف:

قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة:٧].

قد يبتعد الإنسان عن المعاصي إذا كان بحضرة الناس؛ لكنه إذا خلا بنفسه وغاب عن أعين الناس، ربما أطلق لنفسه العنان، فاقترف السيئات وارتكب المنكرات، فصار حياؤه من الناس أشد من حيائه من الله، أتراه في هذه الحال مراقبًا

(١) إعلام الموقعين لابن القيم.

(٢) مدارج السالكين: ابن القيم.

(٣) مدارج السالكين.

لله، أتراه مستحضرًا لعظمة الله؟!

قال الله: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء:١٠٨].

وقال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الإسراء: ١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق: ١٦].

قال ابن الأعرابي: أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح عمله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد»[١].

ولما سئل النبي ﷺ عن الإحسان قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٢].

ولما سئل النبي ﷺ عن تزكية النفس؟ قال: «**أن يعلم العبد أن الله معه حيث كان**»[٣].

ووصى النبي ﷺ معاذًا حين قال: «يا معاذ اتق الله حيثما كنت......»[٤].

أي في سرك وعلانيتك حيث يراك الناس وحيث لا يرونك.

فالواجب على العبد أن يراقب ربه في أقواله فلا ينطق بالقبيح لأن الله يسمعه، وأن يراقب ربه في أفعاله فلا يفعل القبيح؛ لأن الله يراه، وأن يراقب ربه في هواجسه وخطراته وقلبه، فلا يترك فيه شركًا ولا نفاقًا ولا رياءً ولا عُجبًا ولا غرورًا، لأن الله عليم بذات الصدور.

---

(١) حلية الأولياء، جامع العلوم والحكم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) أخرجه البخاري في تاريخه وصححه الألباني في الصحيحة.

(٤) رواه أحمد والترمذي وغيرهما وصححه الألباني.

قال زيد بن أسلم: مَرّ ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ براعي غنم، فقال: يا راعي الغنم، هل من جَزَرَةٍ؟ قال الراعي: ليس هاهنا ربها، فقال ابن عمر: تقول أكلها الذئب، فرفع الراعي رأسه إلى السماء، ثم قال: أين الله؟ فاشترى ابن عمر الراعي، واشترى الغنم، فأعتقه وأعطاه الغنم»(١).

سئل محمد بن المبارك: ما علامة المحبة لله؟ فقال: المراقبة للمحبوب، والتحري لمرضاته»(٢).

وسئل إسماعيل بن نجيد: ما الذي لابد للعبد منه؟ فقال: ملازمة العبودية على السنة، ودوام المراقبة»(٣).

وقد قال أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري: إذا جلست للناس فكن واعظًا لقلبك ولنفسك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك»(٤).

قال عاصم الدمشقي: كان آدم بن أبي إياس يجثو على ركبتيه قبل أن يُحدِّث في المجلس، ويقول: «والله الذي لا إله إلا هو، ما من أحد إلا وسيخلو به ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فيقول الله له: ألم أكن رقيبًا على قلبك، إذا اشتهيت به ما لا يحل لك عندي؟ ألم أكن رقيبًا على عينك إذ نظرت بهما إلى ما لا يحل لك عندي؟ ألم أكن رقيبًا على سمعك إذ أنصتَّ بهما إلا ما لا يحل لك عندي؟ ألم أكن رقيبًا على يديك إذ بطشت بهما إلى ما لا يحل لك عندي؟ ألم أكن رقيبًا على قدميك إذ سعيت بهما إلى ما لا يحل لك عندي؟ آستحييتَ من المخلوقين، وكنتُ أهون

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والهيثمي في المجمع وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) تاريخ ابن عساكر.

(٣) الرسالة القشيرية.

(٤) السابق.

الناظرين إليك؟[١].

وقال بعض المتقدمين: «إنما هي أربعة أشياء: عيناك ولسانك وهواك وقلبك، فانظر عينيك لا تنظر بهما إلى ما لا يحل لك، وانظر لسانك لا تقل به شيئًا يعلم الله خلافه من قلبك لا يكن فيه غلٌ ولا دَغَل على أحدٍ من المسلمين، وانظر هواك، لا تهو شيئًا من الشر، فما دام لم تكن فيك هذه الأربع خصال، فألق الرماد على رأسك»[٢].

ويقول آخر: «تعاهد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملت فاذكر نظر الله تعالى إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله منك، وإذا سكت فانظر علم الله فيك»[٣].

وقال حُميد الطويل لسليمان بن عليّ: عظني، فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليًا، ظننت أنه يراك، لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت»[٤].

قال ذو النون: علامة المراقبة: إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظَّم الله، وتصغير ما صغَّر الله[٥].

فإذا تيقن العبد ذلك، وعلمه وآمن به، وعلم أن ربّه يراه ويشاهده، وهو مطلِّع على أحوال العباد كلها، يراقب حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم، بل ما يجول في خواطرهم، فإنه يتأدب مع الله ﷻ، الأدب اللائق به، ولا يفعل شيئًا في سرِّه يستحي من إظهاره في علانيته؛ لأن الله ﷻ يراقبه ويشاهده.

---

(١) تاريخ ابن عساكر.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية.

(٣) السابق.

(٤) إحياء علوم الدين.

(٥) مدارج السالكين.

إذا ما خلوت بريبة في ظلمة ... والنفس داعية إلى الطغيان
فاحفظها من نظر الإله وقل لها ... يا نفس إن الذي خلق الظلام يراني
من عامل الله بتقواه ... وكان في الخلوات يخشاه
سقاه كأسًا من لذيذ المنى ... يغنيه عن لذات دنياه

❋ ثانيًا: أن ندعو الله باسمه «الرقيب»:

كأن يقول العبد:

اللهم يا رقيب يا سميع يا بصير يا عليم، احفظ سمعي عن سماع الحرام وبصري عن النظر الحرام، ولساني عن النطق بالحرام وقلبي عن الانطواء بالحرام أنت على كل شيء قدير وأنت نعم المولى ونعم النصير.

(٨٤) الوكيل جل جلاله

قال تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [الأحزاب: ٣].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥].

وقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [هود: ١٢].

وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

معنى الاسم في حق الله:

(الوكيل) جل جلاله: هو «المتولي تدبيرَ خلقه بعلمِه وكمال قدرته وشمول حكمته»(١)، المتكفِّلُ بأرزاقهم وحاجاتهم، وهذا هو المعنى العامُّ لاسم الله الوكيل؛ قال تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

أما المعنى الخاص:

ف **(الوكيل)** جل جلاله: هو الذي يتولَّى أمر عباده الصالحين؛ فييسرهم لليسرى، ويُجنِّبهم العُسْرى.

(الوكيل) جل جلاله: هو الذي يكفي مَن التجأ إليه واعتمَد عليه، ووثق بقدرته وحكمته، يكفي عبادَه المؤمنين جميعَ ما يحتاجون رزقًا ومعاشًا وحفظًا ونصرًا وعزًّا، ويدفع عنهم جميع ما يكرهون؛ قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ﴾ [الطلاق: ٣]،

وكان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشِه قال :«الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا

---

(١) تفسير السعدي.

وآوانا، فكم ممَّن لا كافيَ له ولا مُؤوي»(١).

نخلص من ذلك أن:

«**الوكيل**» ﷻ: هو المدبِّر والكفيل، والكافي؛ مدبر أمورِهم، وكفيلٌ بحاجاتهم، وكافيهم.

➢ **كيف نعبد الله باسمه الوكيل؟**

❃ **أولًا: أن نتخذه وكيلًا:**

قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٩]، ملك الملوك وربُّ الأرباب ﷻ، يأمرك أن تتخذه وكيلًا، يأمرك ألا تُلجِئ ظهرَك إلا إليه، ولا تضع ثقتك إلا فيه، ولا تعلِّق آمالك إلا به.

ومع وضوح الأمر في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٩]، إلا أن الله تعالى - لإظهارِ الجدِّ - حذَّر مِن الضد، فقال: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ۝٢﴾ [الإسراء: ٢].

فإن قال قائل: وكيف نتَّخِذ الله وكيلًا؟

⬅ **فالجواب:**

١ - أن يكون اللسانُ دائمًا لاهجًا بالركون إليه والتوكل عليه:

عن **أمِّ سَلَمة** أن النبي ﷺ إذا خرج من بيته، قال: «**بسم الله، توكلت على الله، اللهم إنا نعوذ بك أن نَزِلَّ أو نضل، أو نَظلم أو نُظلم، أو نَجهل أو يُجهل علينا**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَن قال إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجه والترمذي، وصححه الألباني.

قوة إلا بالله؛ يُقال له: كُفِيت ووُقيت، وتنحَّى عنه الشيطان»[١].

وقال ﷺ: «أكثِرْ مِن «لا حول ولا قوة إلا بالله»؛ فإنها كنزٌ مِن كنوز الجنة»[٢].

وقال ﷺ: «تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقول الله: أسلم عبدي واستسلم»[٣].

و«لا حول ولا قوة إلا بالله» معناها:

لا يَحُولُ بينك وبين ما تكرَهُ إلا الله، ولا يقودك إلى ما تحب إلا الله، أو لا تَحوُّلَ للعبد من حال إلى حال إلا بالله، فما شاء الله كان وما لم يشَأْ لم يكن.

وكان النبي ﷺ يُعلِّمنا **دعاء الكرب**، فيقول: «**دعواتُ المكروب: اللهم رحمتَك أرجو، فلا تَكِلْني إلى نفسي طرفةَ عينٍ، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت**»[٤].

وكان النبيُّ ﷺ يعلمنا دعاء النوم، فيقول: «**إذا أتيتَ مضجعَك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شِقِّك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأت ظهري إليك؛ رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنتُ بكتابِك الذي أنزلت، ونبيِّك الذي أرسلت، فإن متَّ مِن ليلتك متَّ على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيرًا، واجعلهنَّ آخر ما تتكلم به**»[٥].

• بل كان النبي ﷺ يُعلِّمنا أن نتعلق بالله ونستعينه ونستخيره، عندما نريد أيَّ عمل ونعزم على أيِّ شيء.

عن جابر رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يُعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلها كما

---

(١) صحيح الترمذي.

(٢) رواه الطبراني، وانظر: صحيح الجامع.

(٣) رواه الحاكم، وانظر: صحيح الجامع.

(٤) رواه أحمد، وأبو داود، وحسنه الألباني.

(٥) متفق عليه.

يعلمنا السورة من القرآن، «**إذا همَّ أحدُكم بالأمر، فليركَع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرُكَ بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلَمُ ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى - أو قال: عاجل أمرى وآجله - فاقدُرْه لي ويسِّره لي، ثم بارِك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى، فاصرِفْه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به، قال: ويُسمِّي حاجتَه**»(١).

وهذا ما يُسمى بالتفويض اللساني؛ أن يلهج لسانُك بالتوكل على الله «الوكيل،» سبحانه، لو أن شخصًا لديه قضيةٌ في المحكمة ونصَحوه أن يُفوِّض محاميًا ماهرًا مشهورًا بالعمل في القضايا الشائكة، فكلما كانت خبرة المحامي أكبر، زاد شعوره بالاطمئنان، فكيف لو كان الذي فوَّضته هو الوكيل جَلَّ جَلَالُهُ؟!

ومِن هنا نهى أهلُ العلم أن يقول رجلٌ لآخر: «توكَّلت على الله وعليك»، وعَدُّوا هذا نوعًا من الشرك بالله، فلا يتوكَّل إلا على الله وحدَه، ولا يُركن إلا إلى الله وحده، وإن كان الإنسان لا بد قائلًا، فليقل: (توكلتُ على الله ثم عليك)، وما بعد ثُمَّ إنما هو الأخذ بالأسباب، مع تعلق القلب برب الأرباب ومسبب الأسباب جَلَّ جَلَالُهُ.

٢- أن يتعلَّق قلبُك بربك، ويرضى قلبُك بربك، ويَثِق قلبك في ربك، ويركن قلبك إلى ربك، وهذا هو بيت القصيد، وحقيقة التوكل، وعُنوان الإيمان باسم الله الوكيل.

فالتوكل: «صدقُ اعتمادِ القلب على الرب في استجلاب المنافع ودفع المضارِّ؛ من أمور الدنيا والآخرة، والاعتقاد أنه لا يعطي ولا يَمنَع، ولا يضر ولا ينفع سواه»(٢).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) جامع العلوم والحكم؛ ابن رجب.

وقيل: «انطراح القلب بين يدي الرب؛ كانطراح الميتِ بين يدي المغسِّل، يُقلِّبه كيف يشاء».

وقال بعضهم: «يقول بعض الناس: توكَّلتُ على الله، وهو يكذب على الله، لو توكل على الله رضي بما يفعَل»[(١)]؛ لأنه سبحانه وتعالى الضامنُ لرزق عباده، المدبر لشؤونهم، الراعي لمصالحهم بحكمة وعلم وقدرة مطلقة.

إن عقيدة التوكل يجب أن تنغرِسَ في الأذهان، وتنقدح في الأفئدة، فيكون المؤمن في كل أموره وجميع أحواله وشتى أفعاله، متوكلًا على ربه وخالقه، مستعينًا بمعبوده، واثقًا بإلهه، وعلى المرء بذلُ الأسباب، والباقي على منشئ السَّحاب[(٢)].

فإن قال قائل: في أي شيءٍ نتخذ الله وكيلًا؟

فالجواب: في كل شيء؛ **فالتوكل على الله** عُنوان الإيمان وأمارة الإسلام؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ [يونس: ٨٤].

فالتوكل على الله حالُ المؤمن في جميع الأحوال والأحيان:

١- فمَن أراد أن يقوم بالعبادة على وجهها، فليتوكل على الله؛ قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]، وأمرنا تعالى أن نقرأ في صلواتنا: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥]؛ **لأنه تعالى إذا لم يُعِنْك على عبادته، فلن تفعل شيئًا!**

٢- ومَن أراد أن تنجَحَ دعوتُه، ويظهر أثرها، فليتوكل على الله؛ قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٩].

---

(١) مدارج السالكين؛ ابن القيم.

(٢) الله أهل الثناء والمجد ناصر الزهراني.

٣- ومَن أراد سَعة الرزق وطيب الكسب، فليتوكل على الله؛ ففي الحديث: «**لو أنكم تتوكَّلون على الله حق توكُّله، لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصًا وتعود بِطانًا**»[(١)].

٤- ومَن أراد أن يُصيب في حكمه ويقضي بالعدل، فليتوكل على الله؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾ [الشورى: ١٠].

٥- ومَن أراد أن ينتصرَ على عدوِّه، فليتوكل على الله :﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠].

٦- ومَن أراد أن تتمَّ عهوده وتنجح مواثيقه، فليتوكل على الله :﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝٦٦﴾ [يوسف: ٦٦].

٧- وفي كل ما يقوله الإنسان ويقوم به ويعزم عليه، ينبغي أن يتوكَّل فيه على الله تعالى؛ قال الله :﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال الله :﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٣].

- **واعلم أن:**

- الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله[(٢)] :بل هو مِن تمامه وكماله، لكن الحذر من ركون القلب إلى الأسباب، فهذا هو المنافي للتوكل؛ قال الله تعالى لمريم عليها السلام : ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥﴾ [مريم: ٢٥]، وهي الضعيفة،

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، وصحَّحه الألباني.

(٢) ثلاثون خطوة في طريق السعادة؛ المؤلف.

الواضعة، النُّفساء، والنخلةُ لا تُهز، ولكن الله تعالى أراد أن نتلقَّى درسًا مهمًّا، وهو أن الأخذ بالسبب ولو كان ضعيفًا دون أن يتعلق به صاحبه، تكون وراءه النتيجة المثمرة:

توكَّل على الرحمنِ في كل حاجةٍ ... ولا تُؤثِرنَّ العجْزَ يومًا على الطلبْ
ألم ترَ أن الله قال لمريمٍ ... إليكِ فهُزِّي الجذعُ يَسَّاقَطِ الرُّطَبْ
ولو شاء أن تجنِيه مِن غير هزِّها ... جَنَتْهُ ولكنْ كلُّ شيء له سببْ

❋ **ثانيًا: أن تطلب منه الكفاية:**

إذا علِم العبدُ أن الله هو الكافي عبادَه؛ رزقًا ومعاشًا، وحفظًا ونصرًا وعزًّا - اكتفى به عمَّن سواه، وطلب منه وحده الكفاية.

قال ﷺ: «**ومَن استكفى كفاه اللهُ**»(١).

• **فمن وقع في شدة وضائقة، فليطلب من الله الكفاية، فإن الله كافيه:**

فإن الغلامَ المؤمن لَمَّا أبَى أن يرجِعَ عن دينه، دفعه الملك إلى نفرٍ من أصحابه، وقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فإذا بلغتُم ذروته فاطرحوه، فلما بلغوا به قمة الجبل وهمُّوا بطرحه، قال: «**اللهم اكفنِيهم بما شئت**»، فرجف بهم الجبل، فسقطوا فهلكوا، ورجع الغلام إلى المَلِك، قال: ما الذي جاء بك؟ أين أصحابك؟ قال: كفانيهم اللهُ، فدفعه إلى جماعةٍ آخرين، وأمرهم أن يركبوا البحر في قرقور، فإذا توسطوه عرَضوا عليه أن يرجع عن دينه، فإن لم يفعل رمَوه في البحر، ففعلوا وهمُّوا، فقال: «**اللهم اكفنيهم بما شئت**»، فانقلبت السفينة وغرِقوا، وأنجاه الله»(٢).

• **ومن كان عليه دَينٌ، فليتضرَّع إلى الله، وليطلُبْ منه الكفاية، فإنه كافِيهِ:**

عن عليٍّ أن مكاتبًا جاءه فقال: إني قد عجَزتُ عن كتابتي، فأعنِّي، قال: ألا أُعلِّمك

---

(١) صحيح النسائي.
(٢) راجع حديث أصحاب الأخدود في اسم الله «الرب».

كلمات علَّمَنيهنَّ رسول الله ﷺ؟ لو كان عليك مثل جبلِ صِيرٍ[١] دَينًا، أدَّاه الله عنك، قال: قل: «**اللهم اكفِني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمَّن سواك**»[٢][٣].

وفي كل شيء يطلب العبد كفايتَه مِن الكافي الكفيل الوكيل ﷻ.

❁ ثالثا: أن نستشعر ثمرات الإيمان باسم الله الوكيل:

(١) الوقاية من الشيطان:

قال تعالى – عن الشيطان الرجيم :- ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾ [النحل: ٩٩]، وقال ﷺ: «**مَن قال – يعني إذا خرج من بيته –: بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يُقال له :كُفيت ووُقيت وهُديت، وتنحى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجلٍ قد هُدِي وكُفي ووقِي**»[٤].

(٢) التخلص من التشاؤم والإقبال على التفاؤل:

التشاؤم من أفعال الجاهلية، ومن صفات الذين لا يؤمنون بالله، **والتشاؤم** : التطيُّر بالمكروه؛ من قول أو فعل أو مرئي، فبعض الناس إذا خرج لعمله عاد !فإذا سئل في ذلك قال: رأيتُ فلانًا فتشاءمت فرجعت، أو سمعت كذا، فتشاءمت فرجعت، وإذا حدَث له شيء يكرهه، قال: أنا اصطبحت بوجهِ مَن اليوم؟!

فحذَّر النبي ﷺ من ذلك، وقال: «**الطِّيرةُ شركٌ، ولكن الله يُذهِبها بالتوكل**»[٥].

فالإيمان باسم الله الوكيل يُلقِي السكينة والطمأنينة في قلوب المتوكِّلين،

---

(١) أو صبير.

(٢) صحيح الترمذي.

(٣) الأسماء الحسنى والصفات العلا؛ عبدالهادي حسن وهبي.

(٤) رواه الترمذي، وصحَّحه الألباني.

(٥) رواه الترمذي، وصحَّحه الألباني.

ويجعلهم يسيرون هادئين غير مبالينَ بشيءٍ.

(٣) الشعور بالعزة :قال تعالى :﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٩].

عزيز :لا يُذَلُّ مَن استجار به، ولا يضيع مَن لاذ بجنابه والتجأ إليه.

حكيم :يضع الأشياء في مواضعها ولا يظلم أحدًا.

(٤)الوصول إلى محبة الله:

قال الله :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وإذا أحب الله عبدًا لا يُعذِّبه في النار أبدًا، وإذا أحب الله عبدًا ألقى محبَّته في قلوب عباده، وإذا أحبَّ الله عبدًا استجاب دعاءه وأعطاه سُؤْله.

(٥) دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب:

فعن عِمران بن حُصَين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن رسول الله** ﷺ **قال:** «**يدخلُ الجنةَ مِن أمتى سبعون ألفًا بغير حساب ولا عذاب**»، قالوا: مَن هم يا رسول الله؟ قال: «**هم الذين لا يَكْتَوُون، ولا يسترْقون، وعلى ربهم يتوكَّلون**»[1].

الاكتواء :استعمال الكيِّ في البدن، وقد نهى عنه النبي ﷺ نَهْيَ تنزيهٍ، فتركه إمعان في التوكل.

الاسترقاء :طلب الرقية، وتركه علامة على التوكل.

(٦) سَعة الرزق: ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**لو أنكم تتوكَّلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزُقُ الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد، والترمذي، والحاكم، وغيرهم، وصحَّحه الألباني.

• **تأمل**: «لو أنكم تتوكَّلون على الله»، هل نحن متوكلون على الله؟ أم على الوظيفة، والراتب، والتجارة، وشركات التأمين، والرصيد؟ فضعف التوكلُ على الله إلا مَن رحِم الله!

• **وتأمل** :«لرَزَقَكم»، فإذا عانَيْنا من الرزق وضِيق العيش، وانشغلنا بذلك، فذلك علامة على ضَعف توكُّلنا على الله.

توكلتُ في رزقي على اللهِ خالقي وأيقنتُ أن اللهَ لا شكَّ رازقي
وما يك مِن رزقي فليس يفوتُني ولو كان في قاعِ البحارِ العوامقِ
سيأتي به اللهُ العظيمُ بفضلهِ ولو لم يكن مني اللسان بناطقِ
ففي أي شيء تذهبُ النفس حسرةً وقد قسَّم الرحمنُ رزقَ

• **عزم حاتم الأصم عامًا على الحج** :فأخبر أبناءه بذلك، فقالوا: إلى مَن تَكِلُنا؟ وكانت له ابنةٌ مباركة قد رزقها الله تعالى نعمةَ الإيمان والتوكل واليقين، فقالت: دَعُوه يذهب، فليس برازق، فخرج فباتوا جياعًا، فجعلوا يوبِّخون تلك البنت، فقالت: اللهم لا تخجلني بينهم، فمرَّ بهم أمير البلد، فقال لبعض أصحابه: اطلبْ لي ماءً، فناوله أهل حاتم كوزًا جديدًا، وماءً باردًا، فشرِب، وقال: دار مَن هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم، فرمى فيها صرَّةً من ذهب، وقال: مَن أحبَّني فليصنع مثل ما صنعت، فرمَى العسكر ما معهم من مال في هذه الدار، فجعلت البنت تبكي، فقالت أمها: ما يبكيكِ، وقد وسَّعَ الله علينا؟ فقالت: لأن مخلوقًا نظر إلينا فاغتَنَينا، فكيف لو نظر الخالق إلينا؟[٢].

وقيل له يومًا: كيف بَنَيت أمرك هذا من التوكل؟

---

(١) ديوان الإمام الشافعي.

(٢) ذكرها مطولة الأبشيهي في المستطرف.

فقال: علمتُ أن رزقي لا يأكله غيري، فلستُ أهتمُّ به، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري، فأنا مشغولٌ به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتةً، فأنا أبادره، وعلمتُ أني بعين الله في كل حال، فأنا أُراقبه [١].

(٧) حصول الكفاية والتخلص من القلق:

قال بعض السلف: جعل الله تعالى لكلِّ عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاءَ التوكل عليه كفايتَه لعبده، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ولم يقل: نُؤْتِه كذا وكذا من الأجر، بل جعل نفسه سبحانه كافِيَ عبده المتوكِّل عليه وحسبَه وواقيه» [٢].

فهناك لا تسأَلْ عن كل أمر يتيسر، وصعبٍ يتسهل، وخطوب تهون، وكروب تزول، وأحوال وحوائج تُقضى، وبركات تنزل، ونقم تُدفع، وشرور تُرفع [٣].

ألم ترَ قول النبي ﷺ لصاحبِه وهما في الغار: «ما ظنُّك يا أبا بكر باثنينِ اللهُ ثالثُهما» [٤].

ألم ترَ قول الله تعالى عن مؤمنِ آل فرعون حين قال لقومه: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٤٤].

ألم ترَ قولَ أصحاب النبي ﷺ حين اجتمعَتْ عليهم أحزاب الكفر؛ قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

---

(١) صفة الصفوة؛ ابن الجوزي.

(٢) بدائع الفوائد؛ ابن القيم.

(٣) تفسير السعدي.

(٤) متفق عليه.

(٨) قضاء الدين:

وقد سبق معنا قولُ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للمكاتب الذي طلب منه الإعانة: «أُعلِّمك كلمات علَّمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثلُ جبلِ صيرٍ[١] دَينًا، لأداه الله عنك، قل: اللهم اكفِني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمَّن سواك»[٢].

• وفي صحيح البخاري أن رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلفه ألف دينار، فقال: ائتِني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، فقال: ائتِني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقتَ، فدفعها إليه إلى أجلٍ مسمًّى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يقدم عليها للأجل الذي أجَّله، فلم يجِدْ مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجَّ موضعها - أصلحه - وقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلًا فقلت: كفى بالله كفيلًا، وسألني شهيدًا فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضِي بك، وإني جهدتُ أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له، فلم أجد، وإني أستودِعُكها، فرمى بها إلى البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف فخرج الرجل الذي كان أسلف لعلَّه يجد مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم لما قدم الذي كان أسلفه، فأتى إليه بألف الدينار، وقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه، فقال: أكنت بعثت إليَّ شيئًا؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدَّى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بماله راشدًا».

---

(١) أو صبير.

(٢) صحيح الترمذي.

(٩) زوال الهموم وتفريج الأحزان والغموم:

يَحكِي أحدُ الدعاة أن رجلًا فُصِل من وظيفته، تنكدت عليه معيشته، وصار في حزن وهمٍّ، قال الشيخ: وشاء الله أن يقابلني، فسألني عن فلان الذي يتوسط له في إرجاعه إلى وظيفته، قلت: لا أعرف الذي تريد، ولكن أعرف مَن يحل لك مشكلتك ويكفيك همك، فقال الرجل في لهفة وشوق: أيؤثِّر على فلان رئيس الإدارة؟ قلت: نعم يؤثِّر عليه، قال: تعرفه؟ قلت: نعم أعرفه، قال: تستطيع أن تكلمه؟ قلت: نعم أُكلمه، وتستطيع أن تكلمه أنت كذلك، قال: مَن هو؟ قال: الله ﷻ، قُمْ في السَّحَر واشكُ له ما عندك، قال: فتأثَّرت وقمت من الليل، وصليت، ودعوت الله، ولُذتُ به وكأني أراه، ثم أصبحت وذهبت تلقائيًّا إلى رئيس الإدارة، وإذا به يقوم من مقعده ويرحِّب بي، ويسأل عن أحوالي، ولم تكن بيني وبينه عَلاقة، فقلت له: والله موضوعي كذا وكذا، ففعل لي ما طلبت وكانت مشكلتي لم تُحل منذ ثلاثة أشهر، فقمت وأنا لا أصدق نفسي، وقلت: مَن تعلق بالمخلوق جفاه، ومَن توكل على الخالق كفاه.

وصدق مَن قال: من اعتمد على مالِه قلَّ، ومَن اعتمد على عقله ضلَّ، ومَن اعتمد على جاهِه ذلَّ، ومَن اعتمد على الله لا قلَّ ولا ضلَّ ولا ذلَّ.

❃ رابعًا: أن ندعو الله تعالى باسمه الوكيل:

كما ذكر الله تعالى دعاء المؤمنين حين خرجوا إلى حمراء الأسد - اليوم التالي ليوم أحد - قائلًا: ﴿**ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾**﴾ [آل عمران].

وعلمنا النبي ﷺ، دعوات المكروب «**اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لاإله إلا أنت**»[(١)].

(١) صحيح أبي داود.

(٨٥) الْـمُـحْـسِـنُ جل جلاله

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قلتم فأحسنوا، فإن الله محسنٌ يحب الإحسان»(١).

• وعن شداد ابن أوس رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل محسنٌ يحب الإحسان، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحدَّ أحدكم شفرته، ثم ليُرِحْ ذبيحته»(٢).

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

الإحسان في حق الله تعالى يقوم على معنيين:

• **الأول**: الإتقان، فأفعاله سبحانه بلغت الغاية في الإتقان، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨﴾ [النمل:٨٨].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾ [السجدة:٧].

وقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون:١٤].

• **الثاني**: المتفضل على عباده بالنعم الكثيرة، والذي غمر الخلق جميعًا بإحسانه وفضله، برّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، لا غنى لهم عنه طرفة عين، ولا قيام لهم ولا بقاء إلا به وبجوده وإنعامه.

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل وأبو نعيم في أخبار أصبهان، وحسنه الألباني في الصحيحة.

(٢) رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع.

فما طاب العيش إلا بإحسانه، وكل نعمة في الدنيا والآخرة، فهي من فضله وكرمه وجوده، وإحسانه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف:١٠٠].

وقوله ﷺ في الحديث السابق: «إن الله ﷻ محسنٌ يحب الإحسان.....».

إحسانُ الله تعالى أظهرُ من أن يُذْكَر:

☚ **أخرجك من العدم إلى الوجود:** ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان:٢]، وهل هنا بمعنى: قد.

وقال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة:٧].

☚ **خلقك في أحسن صورة:** ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين:٤]: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤].

☚ **جعل لك عقلًا تميز به بين الحق والباطل:** ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد:١٠].

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٨،٩،١٠].

☚ **سخر لك السماوات والأرض وما فيهن:** ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠].

☚ نعمه عليك لا تستطيع لها عدًّا، ولا تقدر عليها حصرًا: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم:٣٤].

○ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا أحد أعظم إحسانًا من الله سبحانه، فإن إحسانه على عبده في كل نَفَس ولحظة، وهو يتقلب في إحسانه في جميع أحواله، ولا سبيل له إلى ضبط أجناس هذا الإحسان، فضلًا عن أنواعه أو عن أفراده، ويكفي أن من بعض

أنواعه نعمة النَّفَس التي لا تكاد تخطر ببال العبد، وله عليه في كل يوم وليلة فيه أربعة وعشرون ألف نعمة، فإنه يتنفس في اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس، وكل نفس نعمة منه سبحانه، فإذا كان أدنى نعمة عليه في كل يوم أربعة وعشرين ألف نعمة!!

فما الظن بما فوق ذلك وأعظم منه!!

هذا إلى ما يصرف عنه من المضرات وأنواع الأذى التي تقصده، ولعلها توازن النعم في الكثرة، والعبد لا شعور به بأكثرها أصلًا، والله سبحانه يكلؤه منها بالليل والنهار كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء:٤٢]..»[1].

وأعظمُ إحسان الله إليك:

أن هداك لهذا الدين، فلولا الله لما اهتديت لهذا الدين، ولولا الله ما صليتَ، ولا صمتَ، ولا تبتَ.

ولولا الله ما انشرح صدرُك للحق، ولا ثبت عليه.

• **قال عزّ من قائل:** ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

☚ ثم يظهر كمال إحسان الله لأوليائه في دار الإحسان والكرامة كما قال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم المحسن ﷻ، الذي لا أحسن ولا أجمل ولا أكمل منه.

---

(١) طريق الهجرتين.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٤٨﴾ [آل عمران:١٤٨].

➢ كيف نعبد اللّه تعالى باسمه «الْمُحْسِن»:

❋ أولًا: أن ننسب النعم والإحسان إليه:

فالنعم نِعَمه، والفضل كل الفضل فضله، والإحسان إحسانه.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النحل:٥٣].

وصلتْك من غير ثمنٍ دفعته، ولا مقابلٍ بَذلته، حتى لو وصلتْك على يد عبدٍ من عباد الله، فما هو إلا جندٍ من جنود الله قد سخره لك؛ ليوصلها إليك.

○ **كان النبي ﷺ يقول دبر كل صلاة: «... له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله...»**(١).

○ **وكان يقول في سيد الاستغفار: «... أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت......»**(٢).

○ أقبل بلال بن رباح وأخوه أبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي إلى قومٍ فقالا: «إنا قد آتيناكم خاطبين، قد كنا كافرين فهدانا الله، ومملوكين فأعتقنا الله، وفقيرين فأغنانا الله، فإن تُزوِّجونا فالحمد لله، وإن تردونا فلا حول ولا قوة إلا بالله، فزوجوهما»(٣).

❋ ثانيًا: أن يكون العبد محسنا متصفا بالإحسان:

لماذا؟

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) تاريخ الإسلام.

لأن الإحسان هو غاية الوجود الإنساني، قال عزّ من قائل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك:٢].

○ **قيل لأبي علي ابن الفُضيل بن عياض**: يا أبا علي، ما معنى أحسن العمل؟ قال: «أخلصه وأصوبه»، قيل: ما أخلصه؟ وما أصوبه؟ قال: «إنَّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإن كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا».

قيل: يا أبا علي، ما هو الخالص الصواب؟ قال: «الخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على الشرع و السنة»(١).

● **وقال تعالى**: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف:٧].

ولم يقل: أكثر عملًا، فإذا عرف العبد أنه خلق لأجل أن يُختبر في إحسان العمل، كان حريصًا على الحالة التي ينجح بها في هذا الاختبار؛ لأن اختبار رب العالمين يوم القيامة، من لم ينجح فيه جُرَّ إلى النار، فعدم النجاح فيه مهلكة»(٢).

● **وقال تعالى**: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة:١٩٥].

● **وقال الله تعالى**: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف:٣٠].

○ **وقال ﷺ**: «**إذا وُلِّيَ أحدكم أخاه، فليحسن كفنه؛ فإنهم يُبعثون في أكفانهم، ويتزاورون في أكفانهم**»(٣).

○ **وعن عاصم بن كليب عن أبيه قال**: «شهدتُ مع أبي جنازة شهدها

(١) العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير.
(٢) تفسير السعدي.
(٣) رواه سمويه عن أنس وصححه الألباني في صحيح الجامع.

رسول الله ﷺ وأنا غلامٌ أعقل وأفهم، فانتُهي بالجنازة إلى القبر، ولم يُمَكَّن لها، فجعل ﷺ يقول: «**سوُّوا لحدَ هذا**» حتى ظن الناس أنه سنة، فالتفت إليهم وقال: «أما إن هذا لا ينفع الميت ولا يضره، ولكن الله يحب من العامل إذا عمل أن يُحسن»(١).

○ **وكان يقول**: «احفروا وأوسعوا وأعمقوا وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد، وقدموا أكثرهم قرآنًا» وذلك يوم أحد»(٢).

○ **قال أحد السلف**: «لا يكن هم أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكن همه في إحكامه وإحسانه، فإن أحدكم قد يصلي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه»(٣).

☚ لأن إحسان العمل - بإتقانه و تحسينه - هو معيار التميز بين المقصر والمجتهد، فكل الناس قد يؤدون أعمالهم، لكن الفارق بينهم في درجة إحسان العمل.

ولأن العبرة ليست في أداء العمل، ولكن في الصفة التي أُدِّيَ بها العمل.

والله لا يرضى بكثرة فعلنا ... لكن بأحسنِه مع الإيمان
فالعارفون مرادهم إحسانهُ ... والجاهلون عموا عن الإحسان(٤)

والإحسان الذي أمرنا الله أن نتصف به نوعان:

١- إحسانٌ في عبادة اللّه.

٢- إحسانٌ إلى عباد اللّه.

الأول: الإحسان في عبادة اللّه:

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب وانظر الصحيحة.

(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وصححه الألباني.

(٣) صفوة الصفوة / ابن الجوزي.

(٤) نونية ابن القيم.

○ **عن أبي هريرة** ﵁ **قال**: قدم على رسول الله ﷺ أناسٌ من أهل البدو، فقالوا: يا رسول الله! قدم علينا أناس من قرابتنا، فزعموا أنه لا ينفع عمل دون الهجرة والجهاد؟ فقال رسول الله ﷺ: «**حيثما كنتم، فأحسنوا عبادة الله، وأبشروا بالجنة**»[١].

○ **وقد قال النبي** ﷺ **لمعاذ**: «**يَا مُعَاذُ واللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعاذُ لاَ تَدَعنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُم أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وحُسنِ عِبَادتِك**»[٢].

● **فإن قيل**: كيف يحسن العبد عبادة الله؟

➲ **الجواب**: في حديث جبريل حينما نزل على النبي ﷺ وأصحابه يعلمهم الدين، فسأل النبي ﷺ عن الإحسان قال له النبي ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكُ تراه، فإنه يراك.....**»[٣].

فهاتان مرتبتان، الأولى أعلى من الثانية، وكلا المرتبتين إحسانٌ في عبادة الله.

❑ «**أن تعبد الله كأنك تراه**» بأن يبلغ بك اليقين كأنك ترى الله عيانًا، والله تعالى لا يُرى في هذه الدنيا، وإنما يُرى في الآخرة، ولكنك تراه هنا ببصيرة قلبك، حتى وكأنك تنظر إليه بعينك.

فمثلًا:

تصلى وكأنك تراه، تصوم وكأنك تراه، تخرج زكاة مالك وكأنك تراه، تؤدي مناسك الحج وكأنك تراه، تذكر الله وكأنك تراه، تُبِرُّ والديك وكأنك تراه، تصل رحمك وكأنك تراه، تحسن إلى جارك وكأنك تراه، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وكأنك تراه، تؤدي الحقوق إلى أهلها وكأنك تراه، تقوم بعملك المنوط بك

(١) رواه البيهقي وحسنه الألباني في الصحيحة.
(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني.
(٣) رواه مسلم.

وكأنك تراه، وكون العبد يأتي بالعبادة وكأنه يرى الله، لا شك أنه سيأتي بكل ما يقدر عليه من الخشوع والخضوع، وضبط الظاهر والباطن؛ لأنه إنما ينظر إلى الله تعالى.

❑ فإلم يفعل العبد ذلك، يعني إذا لم يقم العبد بالعبادة وكأنه يرى الله، فلا أقل من أن تعبده على سبيل المراقبة- مراقبته لك- فإن لم تكن تراه فإنه يراه، يعلم أسرارك وخباياك، مطلعٌ سبحانه على سرك ونجواك.

أمثلة حيّة على الإحسان في العبودية:

✹ **الإحسان في الوضوء:**

• **قال ﷺ: «منْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوضوءَ، خَرَجَت خَطَايَاهُ مِنْ جسَدِهِ حتَّى تَخْرُجَ مِنْ تحتِ أَظفارِهِ»**(١).

• - و عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ غُسْلَهُ، وَلَبِسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ، وَمَسَّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ أَوْ دُهْنِهِ، ثُمَّ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ، غَفَرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى»**(٢).

✹ **الإحسان في الصلاة:**

وذلك بمراعاة أركانها وواجباتها، والطمأنينة والخشوع فيها:

• **فقد قال ﷺ للمسيء في صلاته: «ارجعْ فصلِّ، فإنك لم تصلِّ»**(٣).

• **وسئلت السيدة عَائِشَةَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَيْفَ كَانَتْ صَلاَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ؟ قَالَتْ: **«مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعَ**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه.

رَكَعَاتٍ، فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثًا»(١).

• **صعد عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **المنبر يومًا فقال: «إن الرجل ليشيب في الإسلام ولم يُكمِل لله ركعة واحدة»**. قيل: كيف يا أمير المؤمنين قال: **«لا يتم خشوعها وتواضعها، وإقباله على الله تعالى فيها»**(٢).

✺ الإحسان في الصيام:

• **قال** ﷺ: **«رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش»**(٣).

ذلك أنه لم يحسن في صيامه.

○ **قال الغزالي**: قيل: هو الذي يفطر على حرام، أو من يفطر على لحوم الناس، أو من لا يحفظ جوارحه من الآثام»(٤).

○ **ولهذا قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**: «إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ وَلِسَانُكَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَصَوْمِكَ سَوَاءً»(٥).

✺ الإحســـان في الــزكـــاة:

وذلك بإخراجها في وقتها من أفضل ماله إلى مستحقيها متحريًا في ذلك، كما

(١) متفق عليه.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي.

(٣) رواه الطبراني والحاكم وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الحاكم.

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي.

(٥) لطائف المعارف لابن رجب.

وانظر نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان د/ سيد العفاني.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [البقرة:٢٦٧].

○ **وكان (ﷺ يقول): «اتقوا الله وصلُّوا خَمْسَكُمْ، وصوموا شهركم، وأَدُّوا زكاة أموالِكم، وأطيعوا ذا أمركمْ تدخلوا جنة ربكم»**(١).

✹ **الإحســان في الحــــج:**

● **قال عزّ من قائل:** ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٩٦].

○ **وقال ﷺ: «من حجّ فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»**(٢).

✹ **الإحســان في قـــراءة الـقـــرآن:**

● **قال تعالى:** ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة:١٢١].

○ **وقال ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة....»**(٣).

○ **وعن أبي عبد الرحمن السُّلَميِّ أنه قال:** «حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا القرآن كعثمان بن عفان وابن مسعود وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل»(٤).

✹ **الإحســـان في تـربيـــة الأولاد:**

○ **عن معقل بن يسار قال:** سمعت النبي ﷺ قال: **«ما من عبدٍ يسترعيه الله**

---

(١) رواه ابن حبان والترمذ والحاكم وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

(٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

رعيةً فلم يُحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة»(١).

• **وفي رواية لهما: «مَا مِن عبدٍ يسترعِيهِ اللهُ رعيَّةً، يَمُوتُ يومَ يَموتُ وهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ؛ إلَّا حَرَّمَ اللهُ علَيهِ الجَنَّةَ»**.

○ **وقال ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي يَعُولُ ثَلاثَ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلاثَ أَخَوَاتٍ، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلا كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»**(٢).

• **وفي روايه له: «من أُبتُليَ** [من الابتلاء وهو الامتحان] **من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كُنَّ له سترًا من النار»**.

✸ الإحسان في التعليم:

المعلم سواءٌ كان إمامًا في مسجد أو مُدَرِّسًا في فصل أو أستاذًا في جامعة أو مُحفِّظًا للقرآن، بحاجةٍ ماسةٍ إلى الإحسان في عمله؛ وذلك لأن التعليم أشرف العمل وأزكاه عند الله، وقد سبق في الحديث: «**فإن الله يحب من العامل إذا عمل أن يُحسن**».

○ **وقال ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه»**(٣).

وما حصل التردي والتخلف والتراجع إلا بسبب إهمال الإحسان في التعليم.

واعلم أن أعظم الإحسان إلى الخلق تعليمهم ما ينفعهم في دينهم من علوم الكتاب والسنة وفقه السلف، وإرشادهم إلى طرق الخيرات والطاعات، وتحذيرهم من مسالك الشر والهلكات، ويكون سببًا في نجاتهم.

• فالداعية إلى الله أمير المحسنين.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) رواه البيهقي عن عائشة وصححه الألباني في صحيح الجامع.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصّلت:٣٣].

لهذا يجب أن يُحسن في دعوته، ويقدِّمها جميلة حسنة بيضاء نقية، كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل:١٢٥].

✹ الإحسان في الأعمال الدنيوية:

حتى أعمال الدنيا، يحتاج العبد فيها إلى الإحسان؛ لأنها أمانةٌ والله سائلنا عنها يوم القيامة.

فكم من مبنى انهار، وكم من جسر -كوبري- تصدَّع بسبب عدم الإحسان الذي ارتكبه المهندس والمقاول!!

وكم من أرواح فُقدت وراحت هدرًا بسبب عدم الإحسان الذي ارتكبه الطبيب!!

وكم من خسائرَ فادحةٍ وإسرافاتٍ فاضحةٍ بسبب عدم إحسان العمال في أعمالهم، بل بسبب موت ضمائرهم!!

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة:١٠٥].

الثاني: الإحسان إلى عباد اللّه:

والإحسان إلى عباد الله، معناه: إيصالُ الخير إليهم، ومراقبة الله تعالى فيهم، فإن ذلك مما يرضي الرب ويصلح القلب، ويشرح الصدر.

○ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإحسانُ إلى الخلق ونفعُهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرحُ الناس صدرًا

وأطيبهم نفسًا وأنعمُهم قلبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيقُ الناس صدرًا وأنكدهم عيشًا وأعظمُهم همًا وغمًا..»[١].

وصور الإحسان إلى عباد الله كثيرة، أشهرها ما يلي:

- **الإحســـان إلى الــوالــديـــن:**

وذلك ببرهما في المعروف-قدر الوسع- وطاعتهما في غير معصية الله، وإيصال الخير إليهما، والمبالغة في خدمتهما.

- **قال عزّ من قائل:** ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء:٢٣].

- **وقال تعالى:** ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ﴾ [الأحقاف:١٥].

- **وقال تعالى:** ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦].

○ ولما استهزأ المنافق عبد الله بن أُبيّ بن سلول بالرسول ﷺ يومًا ما، قَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَئِنْ شِئْتَ لَآتِيَنَّكَ بِرَأْسِهِ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا، وَلَكِنْ بِرَّ أَبَاكَ، وَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُ**»[٢].

وكيف لا نحسن إليهما، ورضا الرب في رضاهما، وسخط الرب في سخطهما، كما قال ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**»[٣].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط وابن حبان في صحيحه وحسنه الألباني.

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني.

❋ إحـــسان الـزوجــين كلٌّ منهما إلى الآخـر:

بأن يعامل كلٌّ منهما الله في صاحبه، بأن يتعامل كلٌّ منهما مع صاحبه بالبر والرحمة والرفق والعطف والإحسان وترك الإساءة.

• **فإلى الأزواج يقول ﷺ: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله.....»(١).**

• **وقال ﷺ: «ألا، استوصوا بالنساء خيرًا...»(٢).**

• **وقيل للنبي ﷺ: «ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت»(٣).**

○ **وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»(٤).**

ومن قبل قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء: ١٩].

• **وإلى الزوجات يقول ﷺ:**

«لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ، لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن،؛ لما جعل الله لهم عليهن من الحق»(٥).

• **وقال ﷺ للمرأة: «انظري أين أنت منه، فإنه جنتك ونارك»(٦).**

• **وقال: «إذا صلت المرأة خمسها وحصنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح أبي داود.

(٤) صحيح الترمذي.

(٥) صحيح أبي داود.

(٦) أخرجه أحمد وغيره وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

أي أبواب الجنة شاءت»(١).

● **وقيل للنبي ﷺ: «أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره»**(٢).

✸ الإحســـان إلى الأولاد:

بتنشئتهم على معاني الإيمان وأخلاق الإسلام.

«فالصبي أمانةٌ عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرةٌ نفيسةٌ ساذجةٌ خاليةٌ من كل نقشٍ وصورة، وهو قابلٌ لكل ما يُنقش، ومائلٌ إلى كل ما يُمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل مُعلِّمٍ له ومؤدِّبٍ، وإن عُوِّد الشر وأُهمِلَ إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوِزر في رقبة القيِّم عليه والوالي له»(٣).

✸ الإحســـان إلى الأرحـــام:

وذلك بصلتهم وإن قطعوا، ومعاملتهم الحسنة وإن أساءوا، والحلم عليهم وإن جهلوا.

● **فقد قال ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رَحِمُه وصلها»**(٤).

● **وقال ﷺ: «صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك»**(٥).

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه وصححه الألباني.

(٢) رواه النسائي وأبو داود وصححه الألباني.

(٣) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين / جمال الدين القاسمي.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه ابن السمال وصححه الألباني في صحيح الجامع.

✱ الإحسان إلى الجيران:

والإحسان إلى الجار يكون بإيصال النفع إليه، ودفع الضر عنه، وحب الخير له، وكُرْه الشر أن يصيبه.

● **ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره»**(١).

● **وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذِ جاره.....»**(٢).

● **وقال: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبدٌ حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه»**(٣).

● **وقال: «لا يدخل الجنةَ مَن لا يأمن جارُه بوائقَه»** أي: شروره وأذاه(٤).

● **وقال ﷺ: «مازال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننتُ أنه سيورِّثه»**(٥).

✱ الإحسان إلى المساكين واليتامى:

وذلك بالسعي في قضاء حوائجهم، وإيصال حقوقهم إليهم.

○ **قال تعالى:** ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾. [البقرة:٨٣].

○ **شكا رجلٌ قسوة قلبه إلى رسول ﷺ فقال: «امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين»**(٦).

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

○ **وفي روايةٍ قال: «أتحب أن يلين قلبُك وتُدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يَلِنْ قلبك وتُدرك حاجتك»(١).**

✱ الإحسـان إلى عامـة الـمـؤمـنـين:

كما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(٢).

• **وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضُه بعضًا، وشبك أصابعه»(٣).**

• **وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:** حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ»(٤).

✱ الإحسـان إلى غـير الـمـسـلـمـين:

وذلك بمعاملتهم بالعدل، وإيصال حقوقهم إليهم، وعدم إيذائهم أو الاعتداء عليهم، فقد قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]، فدخل في الآية المسلم وغير المسلم.

وقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥].

• **وقال ﷺ: «وخالِقْ الناسَ بخلقٍ حسنٍ»(٥).**

فدخل في الحديث المسلم وغيره.

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

(٥) صحيح الترمذي.

• **وقال ﷺ: «ألا من ظلم مُعاهِدًا، أو انتقصه حقه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»**(١).

ولا يعني ذلك أننا نحبه، وإنما نبغضه لكفره، ولكن نعامله في حدود الشرع بالحسنى.

✱ الإحـــسـان إلى الحـــيوان:

• دخل النبي ﷺ يومًا حائطَ رجلٍ من الأنصار، فإذا جملٌ، فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه (النبي ﷺ) فمسح ذِفراه فسكت، فقال: من ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتىً من الأنصار فقال: لي يا رسول الله! فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إليّ أنك تُجيعه وتُدئِبه»(٢).

• وحسْبُك أن رجلًا دخل الجنة في كلبٍ سقاه، فغفر الله له»(٣).

وأن امرأةً دَخَلَتِ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتها، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، وَلَا هِيَ تركتها تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»(٤).

• **وقال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحدَّ أحدكم شفرته، وليُرِح ذبيحته»**(٥).

○ وروي أن النبي ﷺ رأى رجلًا أضجع شاة، فوضع رجله على عنقها، وهو يحِدُّ شفرته فقال له ﷺ: **«ويلك، أردت أن تميتها موتات؟ هلا أحددتَ شفرتَك**

(١) صحيح أبوداود.

(٢) صحيح أبوداود.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه مسلم.

قبل أن تُضجعِها»(١).

• «وكان عمر بن الخطاب ينهى أن تذبح الشاة عند الشاة»(٢) ولابد من الإحسانين:

من أراد السعادة في الدنيا، والنجاة يوم القيامة، فليحرص على الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى عباد الله.

○ **فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال:** قال لي رسولِ اللهِ ﷺ: اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ»(٣).

فمن أحسن فيما بينه وبين الله، وأساء فيما بينه وبين الناس، حبِط عمله وكان من أهل النار.

○ **وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلَانَةَ - يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا - غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ قَالَ: هِيَ فِي النَّارِ»(٤).**

❁ ثالثا: أن نقابل الإساءة بالإحسان:

قال عزّ من قائل: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت:٣٤].

واعلم أن الذي يقابل الإساءة بالإحسان منصورٌ من الله، مُؤَيَّدٌ من قِبَلِهِ.

• **عن أبي هريرة أَنَّ رجلًا قَالَ:** يَا رَسُول الله، إِنَّ لِي قَرابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُوني،

(١) رواه الحاكم وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف.

(٣) رواه مسلم.

(٤) صحيح الترمذي.

وَأُحْسِنُ إِلَيْهِم وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وأَحْلُمُ عنهُمْ وَيَجْهَلُونَ عليَّ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، وَلا يَزَالُ معكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلكَ»(١).

والمعنى: أن عطاءك لهم مؤلم ويضعهم في موقف الخزي والعار.

• عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ أَمُرُّ بِهِ فَلَا يَقْرِينِي وَلَا يُضَيِّفُنِي فَيَمُرُّ بِي أَفَأُجْزِيهِ؟ [أي بمثل ما صنع].

قَالَ: «**لَا، أَقْرِهِ**»(٢).

• **وقال عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ليس الوصل أن تصل من وصلك، ذلك القصاص، ولكن الوصل أن تصل من قطعك»(٣).

• واعلم أن الـمُحسِن جَلَّ جَلَالُهُ يُجازي على الإحسان أعظم الجزاء والإحسان.

اقـــرأ:

• ﴿سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٦١﴾

• و ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾

أي: بالنصر والتأييد والتوفيق والإكرام.

• ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦﴾ [الذاريات:١٥، ١٦].

فالحسنى: دار الكرامة، الجنة.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي.

(٢) صحيح الترمذي.

(٣) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة.

والزيادة: زيادة الكرامة، النظر إلى وجه الله المحسن الكريم.

❁ رابعًا: ندعو الله باسمه المحسن:

كما كان ﷺ يقول: «اللهم أحسنتَ خَلْقي فأحسِن خُلُقي»[١].

وكان ﷺ يقول: «اللهم اهدني لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وقني سيئ الأعمال وسيئ الأخلاق؛ لا يقي سيئها إلا أنت»[٢].

اللهم إنا نسألك باسمك الْـمُـحْـسِـن أن تعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

ونسألك باسمك الْـمُـحْـسِـن أن نكون من المحسنين لكل من حولنا، من عرفنا ومن لم يعرفنا.

ونسألك باسمك الْـمُـحْـسِـن أن تُعيننا على مقابلة الإساءة بالإحسان.

---

(١) رواه أحمد وانظر صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه النسائي وصححه الألباني.

(٨٦)الحسيب جل جلاله

-قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء: ٦].

عن عائشة رضي الله عنها: «أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيرًا أن يأكل منه مكان قيامه عليه بالمعروف»(١).

«**وكفى بالله حسيبًا**» أي حافظًا لأعمال خلقه محاسبها لهم عليها.

كفى به محاسبًا وشهيدًا ورقيبًا على الأولياء في حال نظرهم للأيتام وحال تسليمهم للأملاك هل هي كاملة موفَّرة أو منقوصة مبخوسة مُدخلة، مُرَوِّجٌ في حسابها مدلسٌ أمورها فالله الحسيب عالم بذلك كله(٢).

ولهذا قال النبي ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمّرن على اثنين ولا تلِيَنَّ مالَ يتيم»(٣).

-وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء: ٨٦].

-فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن إذا حُيُّوا بأي تحية - موافقة – أن يردوها بأحسن منها لفظًا وبشاشة أو مثلها، فالزيادة مستحبة، وكل شيء بحسابه – والمماثلة – مفروضة فالله تعالى الحسيب يعلم ظاهرك وباطنك، يعلم متى تُفشي

(١) رواه البخاري.
(٢) تفسير ابن كثير.
(٣) رواه مسلم.

السلام عن بُغض ومتى تفشيه عن مصلحة، ومتى تهرب من إفشائه، فأصلح نيتك وأفش السلام وابذله وأنت لا تريد إلا رضا رب العالمين، فإن فعلت فإن الله تعالى سيجازيك عن هذا الخير العظيم وسيعود ذلك بالنفع العميم على المجتمع كله.

-وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

-فياله من مشهد رهيب، ياله من موقف مهيب، فالكل موقوف بين يدي الله الحسيب، والكل محاسب- على كل صغيرة وكبيرة، ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٧-٤٩].

ياله من موقف عظيم عندما يُعاين الناس تلك الأهوال وإذا بالأمم كلها تجثوا على الركب.

يوم تجثو كل أمة.. في دياجير الملمة..للسؤال عن المهمة..هل أجبتم الرسول؟

يوم يأتي الناس وفدًا...وعظيم القوم عبدًا... هل ظننتم فيها خلدًا... وبقاءً لا يزول؟

يومها ماذا نقول؟!

يوم لا ينفع مالٌ... أو خليل أو عيالٌ...كلهم شرٌ وبالٌ.... إلا من نال القبول.

يوم يغشى الناس نارٌ... ودخان ودمارٌ.... وامتهان واحتقار... فتطير له العقول.

ويأتي المجرمون وقد علاهم الذل والصغار بسبب إعراضهم عن ربهم ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ

وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [ابراهيم: ٤٩-٥١].

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا ... مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانًا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل تجد فيه شيئًا غير ما كانا
فلما قرأت ولم تنكر قراءته ... وأقررت إقرار من عرف الأشياء
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المشركون غدًا في النار يلتهبوا ... والموحدون بدار الخلد سكانا

-وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام:٦٢].

فحساب الخلائق يسير على الحسيب جَلَّ جَلَالُهُ.

سُئل عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف يحاسب الله الناس يوم القيامة على كثرة عددهم؟ فقال؟ كما يرزقهم جميعًا في آن واحد على كثرة عددهم(١).

-وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنه قال:** «إن أناسًا كانوا يؤاخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرًا أمَّناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء يحاسبه الله في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نؤمِّنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة»(٢).

في هذا الحديث: أن الله تعالى يحاسب عبده على سرائره وما أخفاه من سوء.

---

(١) العقائد الإسلامية: سيد سابق.
(٢) رواه البخاري.

-**وعن أبي بكرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنه قال:** «أثنى رجلٌ على رجل عند النبي ﷺ. فقال: **ويحك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك، مرارًا، ثم قال: من كان منكم مادحًا أخاه لا محالة فليقل: أحسِب فلانًا والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدًا...**»(١).

«**والله حسيبه**» **أي:** محاسبه ومجازيه على أعماله وهو عالم به ومطلع على أحواله(٢).

معنى الاسم في حق الله:

(**الحسيب**) جَلَّ جَلَالُهُ: هو المجازي عباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها(٣).

(**الحسيب**) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي يحاسب عباده على أعمالهم، يحاسب الطائعين فيثيبهم على طاعتهم ويحاسب العاصين فيجازيهم على معصيتهم.

(**الحسيب**) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي أحصى كل شيء، لا يفوته مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ففي الكون أشياء لا يمكن أن تحصى مهما تقدمت عقول البشرية ومهما عظم علم الناس، ولكن الله أحصاها وعدَّها وعرفها فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حسيبها.

قال تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [مريم: ٩٢- ٩٤].

(**الحسيب**) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي أحصى أعمال الإنسان فلا يضيع منها شيء ولا يُزاد

---

(١) رواه البخاري.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.

(٣) تفسير السعدي.

عليه فيها شيء، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ٦﴾ [المجادلة: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسْتَطَرٌ ٥٣﴾ [القمر: ٥٣].

وهذا الإحصاء الدقيق للصغير والكبير والنقير والقطمير، هو الذي يفجأ أهل الإجرام يوم القيامة، الذين كانوا لا يبالون بأعمالهم صلحت أو فسدت، يعملون السيئات بلا حساب ويظنون أنهم متروكون سدىً لا حساب ولا عذاب**!!**

﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ﴾ [الكهف: ٤٩].

(الحسيب) جل جلاله: هو الذي سيُعرض عليه كل إنسان للحساب، كما قال ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**»(١).

فتخيل نفسك، وقد تطايرت الكتب ونُصبت الموازين والله الحسيب سائلك، كما قال ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل به؟**»(٢).

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ١٥ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ١٧﴾ [الإنشقاق:١١-١٧].

(الحسيب) جل جلاله: هو الذي قد يحاسب عبده في الدنيا مع ما يدخره له من الحساب

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه الترمذي وغيره وانظر صحيح الترغيب والترهيب.

في الآخرة، ليتذكروا – إذا كانوا مبصرين – بحسابهم في الدنيا، حسابَهم في الآخرة:

كما تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤﴾ [طه: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ [البروج: ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٥٥].

وقد بين النبي ﷺ أن العبد إذا بذل البر لوالديه سخر الله أبناءه لبره، وإذا عق والديه سلط الله أبناءه لعقوقه.

عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «اثنان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين»(١).

وقال ﷺ: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا البغي وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم، يعجل الله لصاحبها في الدنيا قبل الموت»(٢).

وهكذا الحسيب جَلَّ جَلَالُهُ، قد يحاسب عبده في الدنيا قبل الآخرة خيرًا أو شرًا.

➢ كيف نعبد الله باسمه «الحسيب»؟

أولًا: أن نستعد ليوم الحساب بالعمل الصالح:

العملَ الصالحُ هو الذي يُزكِّي صاحبهُ، ويرفع لهُ ذكرهُ في الدنيا والآخرة، قال – تعالى –: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

قال مُجاهدٌ رَحِمَهُ اللهُ: العملُ الصالحُ يرفعُ الكلمَ الطيب.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: الكلمُ الطيبُ هو ذِكرُ اللهِ، والعملُ الصالحُ هو أداءُ فرائضَ اللهِ، فمن ذَكرَ الله ولم يُؤدِّ فرائضهُ ردَّ كلامه.

وقال الفراء: معناهُ أنَّ العملَ الصالحُ يرفعُ الكلامُ الطيب، فاللهُ - تعالى -لا يتقبلُ الكلمَ الطيب إلاَّ إذا كانَ معهُ عملٌ صالح(١).

العملُ الصالحُ يُدخلُ العبد في عِدادِ الصالحين، قال - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩].

والإدخالُ في الصالحين هو متمنَّى الأنبياءَ- عليهم الصلاة والسلام- قال - تعالى - عن سليمانَ- عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وقال عن يوسفَ - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

فالعمل الصالح هو السبيل للاستعداد ليوم التناد.

قال ﷺ: «**قال اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **(أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر) واقرؤوا إن شئتم**: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾»(٢).

سُئلَ سفيانُ الثوري رَحِمَهُ اللهُ ما العملُ الصالحُ؟ قال: ما لا تحبُ أن يحمُدكَ عليه أحد(٣).

---

(١) ذكر ذلك ابن حجرٍ- رحمه الله - في فتحِ الباري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) المنتقى لابن عبد البر.

وقال بعضُ السلفِ: العملُ قرينٌ لا يُستطاعُ فراقه، فمن استطاعَ أن يكونَ قرينُهُ صالحًا فليعمل، فإنَّهُ لا يصحبهُ في آخرتهِ غير عمله(١).

وقال المُزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رحمَ اللهُ من كان قويًا فأعملَ قُوّتهُ في طاعةِ الله، أو كانَ ضعيفًا فكفَّ عن معصيةِ الله(٢).

قال حمَّادُ بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أتينا سُليمان التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ساعةٍ، يُطاعُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فيها إلاَّ وجدناهُ مُطيعًا، فإن كانَ في ساعةِ صلاةٍ، وجدنَاهُ مُصليًا، وإن لم تكن ساعةَ صلاةٍ، وجدناهُ إمَّا متوضئًا أو عائدًا مريضًا، أو مُشيعًا لجنازةٍ،، أو قاعدًا يُسبِحُ في المسجدِ، قال فكُنَّا نرى أنَّهُ لا يُحسنُ أن يعصي اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

ثانيًا:أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب:

«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا».

فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه، ومن لم يحاسب نفسه من الآن دامت حسراته وطالت يوم القيامة وقفاته.

قال الحسن البصريُّ: «المؤمن قوَّام على نفسه يحاسب نفسه لله وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة»(٣).

فالمحاسبة مطلب شرعيٌّ وأمر رباني:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ

---

(١) المنتقى لابن عبد البر.

(٢) المنتقى لابن عبد البر.

(٣) إغاثة اللهفان: ابن القيم.

إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ [الحشر: ١٨].

قال الحافظ ابن كثير: أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ما ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم»(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٥٣] أى إلا من رحمه الله تعالى ووفقه فأخذ بأسباب النجاة وعلى رأسها المحاسبة.

والمحاسبة معناها: أن تنظر في نفسك وتتأملها وتعرف عيوبها وتعمل جاهدًا على إصلاحها، فالتحسن المتواصل هدف سامٍ لنا نحن المسلمين، ولا يُعتبر لوم النفس ومحاسبتها ضعفًا كما يظن بعضهم بل هو علامة الصحة وبداية الهدى(٢).

فالمحاسبة أن ينظر العبد في رأس المال وفي الربح وفي الخسران لتتبين له الزيادة من النقصان، فرأس الأمر هو الفرائض، والربح هو السنن والنوافل، والخسران هو الذنوب والمعاصي، فانظر ما الذي ينجيك غدًا فالزمه وداوم عليه وما الذي يهلكك غدًا فاتركه واقطع نفسك عنه(٣).

واعلم أن المحاسبة نوعان:

محاسبة قبل العمل ومحاسبة بعده.

١- قبل العمل: أن يقف الإنسان مع نفسه قبل أي عمل وقفه ليسأل نفسه: لماذا هذا العمل؟ لماذا أتكلم لماذا أسكت؟ لماذا أفعل؟ لماذا أترك؟ لماذا أحب؟ لماذ أُبغض؟ لماذا أُعطى؟ لماذا أمنع؟ لماذا؟ لماذا؟

هل تبتغى بعملك وجه الله؟ سؤال عن الإخلاص، فرحم الله عبدًا وقف عند

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) تربية الذات: محمد حامد الناصر.

(٣) التربية بالمجاهدة: للمؤلف.

عمله إن كان لله أمضاه وإن كان لغير الله أوقفه وأنهاه.

ثم هل أديت العمل على هدى رسول الله ﷺ؟ سؤال عن المتابعة، فالله تعالى لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصًا صوابًا، فالخالص ما كان لله والصواب ما وافق هدى رسول الله ﷺ.

٢- بعد العمل: أن يقف الإنسان مع نفسه بعد أي عمل وقفة، فإن رأى خيرًا حمد الله ، وإن رأى نقصًا أو تقصيرًا زاد وأكمل وأتم، وإن رأى أنه وقع فى معصية تاب وأناب وعزم ألا يعود، هذه هى المحاسبة التى بها ينجو العبد بين يدى الله.

من فوائد المحاسبة وثمراتها العظيمة:

١- المحاسبة الصادقة ترسم صورة للمستقبل.

٢-فى المحاسبة تمرين النفس للتحكم فى الشهوات.

٣- المحاسبة فرصة للمراجعة.

٤- المحاسبة تنمي المهارات ولا تهدر الطاقات.

٥- المحاسبة تحافظ على العمر.

واعلم أن:

الإهمال فى المحاسبة هو سبب الانتكاسة والفتور والرجوع إلى الوراء:

فما ضعف الإخلاص واستشرى الرياء وما حل الحسد والبغى إلا بسبب إهمال النفس الأمارة بالسوء وتركها لتنال شهواتها فى المال والترأس والمدح والتعاظم.

فكن على نفسك وقافًا ورادعًا، وكن لها حارسًا وزاجرًا، فالنفس هى مركز الاهتمام والاتهام وهى البداية والنهاية.

فمن صح إيمانه:

علم أن عدوه الحقيقى الأول هو نفسه، فإذا انتصر عليها غلب أى قوة وانتصر فى أى معركة.

ألم يقل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١].

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾ »[١]. [الحاقة: ١٨].

وحُكي أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج إلى بستان له، فرجع وقد صلى الناس العصر، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فاتتني صلاة العصر في الجماعة، أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة، لتكون كفارة لما صنع[٢].

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يُدني من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت ... فإنما الربح والخسران في العمل

من أعظم ما يُعين على المحاسبة:

لا سبيل – والله أعلم – إلى المحاسبة الصحيحة إلا إذا كان بين يدى العبد وِرد (جدول) محاسبة ينظر فيه يوميًا ليرى ما قدم وما أخر وما أسر وما أعلن، ليتمكن من التغيير والإصلاح – خصوصًا فى سنوات الاستقامة الأولى – فلربما يسير بعد ذلك سيرًا جميلًا بلا حاجة إلى النظر فى ذلك.

وإليك هذا النموذج الذى يمكنك أن تزيد فيه أو تنقص أو تُعَدِّل حسب استطاعتك، وأحوالك:

---

(١) مدارج السالكين: ابن القيم.

(٢) الكبائر: الإمام الذهبي.

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
تكبيرة الإحرام															
أذكار الصباح والمساء															
الجلوس للشروق															
الضحى (٤)															
الورد القرآنى															
استغفار ١٠٠٠															
تهليل ١٠٠															
الصلاة على النبى ١٠٠															
الباقيات ١٠٠															
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ١٠٠															
حوقلة ١٠٠															
الرواتب															
الصدقة اليومية															
الدعاء															
حفظ اللسان															
غض البصر															
حفظ الوقت															
قيام الليل															
دعوة أحد من الناس															

ثالثًا: أن ندعو الله باسمه الحسيب:

كأن يقول العبد:

أسألك اللهم باسمك الحسيب، أن توفقني إلى محاسبة نفسي قبل يوم الحساب، وأن تخفف عني الحساب يوم القيامة.

أو يقول العبد:

أسالك اللهم باسمك الحسيب أن تدخلني الجنة بغير حسابٍ ولا سابقة عذاب.

(٨٧)(٨٨)الرازق الرزاق جل جلاله

لا توجد قضية شغلت أذهان الناس في يقظتهم ومنامهم وإقامتهم وسفرهم وفي سائر أحوالهم كقضية (الرزق).

انشغل أكثر الناس بها عن الرازق جل جلاله، وظنوا أن الفقر والغنى إنما هو على قدر سعيهم وكدِّهم ونسُوا أو تناسَوا أن الله تعالى قال: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ ثم قال: ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك: ١٥].

فالرزق من الله، والفقر والغنى بيد الله، فقد يتعب الإنسان ويكدُّ ويسعى ويسافر ليجمع المال ثم لا يحصل على شيء، وغيره سعيه قليل وتعبه يسير ومع ذلك يحصل على الغنى والرزق الوفير.

• **قال الله تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات:٥٦ – ٥٨].

وقرأ ابن محصن ومجاهد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ بالألف(١).

لو أنك سألت أي إنسان في الطريق: من الذي يرزقك لقال لك على البديهة: الله؛ ولكن انظر إلى هذا الإنسان إذا ضُيق عليه في الرزق، يقول: فلان يريد قطع رزقي!! **فما دلالة هذه الكلمة؟**

دلالتها أن تلك البديهة ذهنية فحسب، بديهة تستقر في وقت السلم والأمن ولكنها تهتز إذا تعرَّضت للشدة؛ لأنها ليست عميقة الجذور....»(٢).

وانظر إلى هذا الارتباط بين «الرزَّاق» وبين «ذو القوة المتين» يشير الله تعالى إلى

---

(١) أحكام القرآن للقرطبي، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لإمياطي.

(٢) واقعنا المعاصر: محمد قطب.

أن من أعظم آثار قوته تكفله برزق جميع الخلائق، وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله.

● **وقال الله تعالى:** ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات:٥٨،٥٦].

● وقرأ ابن محيصن ومجاهد «وفي السماء رازقكم وما توعدون» بالألف(١)،

وفي هذه الآية إشارة إلى فائدتين عظيمتين:

الأولى: أن رزقك في السماء فلا تُذل نفسك لمن في الأرض.

الثانية: أن ما عند الله لا يُبتغى إلا بطاعته.

قال القشيري: «وفي السماء رزقكم وإلى السماء يُرفع أعمالكم، فإذا أردت أن يَنزل عليك رزقك فأصعد إلى السماء عملك»(٢).

قال الحسن البصري: «فيها والله رزقكم، ولكن تُحرمون بخطاياكم وأعمالكم»(٣).

ثم أقسم الله تعالى على هذا المعنى قائلًا: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ [الذاريات: ٢٣].

فما الذي أحوجه إلى القسم؟

الجواب: لم يحوجه أحد؛ ولكن لينزع الشك من قلوب المترددين، ويغرس اليقين في قلوب المرتابين.

عن الأصمعي قال: «أقبلت من جامع البصرة، فطلع أعرابيٌ على قعودٍ له، فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني أصمع، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يُتلى فيه كلام الرحمن، قال: اتل عليّ، فتلوت: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١...﴾ فلما بلغت

---

(١) انظر أحكام القرآن للقرطبي.

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل: برهان الدين الكرماني.

(٣) السابق.

قول الله تعالى ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ قام إلى ناقة فنحرها ووزَّعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولَّى، فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق، فالتفت، فإذا أنا بالأعرابي قد نُحل واصفرَّ، فسلم عليَّ واستقرأ السورة، فلما بلغ الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا ثم قال وهل غير هذا؟ فقرأت: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فصاح وقال: سبحان الله من الذي أغضب الجليل حتى حلف، لم يصدقوه بقوله حتى ألجئوه إلى اليمين، قالها ثلاثًا وخرجت معها نفسه»[1].

قال بعضهم: «كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا يمكن أن ينطق بلسانه غيره فكذلك كل إنسان يأكل رزقه ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره»[2].

تَذكر كتب السير:

أن الإمام عفان بن مسلم الصفار – أحد شيوخ الإمام أحمد - دُعي إلى القول بخلق القرآن، فامتنع، فقيل له: يُحبس عطاؤك – وكان يُعطى في كل شهر ألف درهم – فقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ فلما رجع إلى داره عزلوه نساؤه ومن في داره [أي لاموه وعاتبوه] وكان في داره نحوُ أربعين إنسانًا فَدق عليه داقٌ الباب، فدخل عليه رجل ومعه كيس فيه ألف درهم وقال: يا أبا عثمان ثبتك الله كما ثبَّت الدين، وهذا لك في كل شهر»[3].

معنى الاسم في حق الله:

(الرازق) (الرزاق) جل جلاله: هو الذي يهب الحياة، وهو الذي يديمها بالرزق، وهو المتكفل بكل ضرورياتها وحاجاتها.

---

(١) أضواء البيان: الشنقيطي.

(٢) تفسير القرطبي.

(٣) هنيئًا لمن عرف ربه، نقلًا عن تاريخ بغداد.

وإن هذه الكلمة (الرزاق) تنادي هذا الإنسان العاجز، وتقول له: أيها الإنسان لا تُرهق نفسك بحمل أعباء الحياة الثقيلة على كاهلك الضعيف، واعلم أن حياتك، القائم بها، الحيُّ القيوم، هو المتكفل بجميع حاجاتها ولوازمها.

وما أنت إلا عامل بسيط في سفينة الحياة، اعبد ربك وقم بواجبك أحسن قيام وستحيا فيها أحسن حياة.

(الرازق) (الرزاق) ﷻ: هو الذي خلق الأرزاق وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم[١].

(الرازق) (الرزاق) ﷻ: هو المتكفل بالرزق، والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، وسع الخلق كلَّهم رزقه ورحمتُه، فلم يختص بذلك مؤمناً دون كافر، ولا وليًا دون عدو، يسوقه إلى الضعيف الذي لا حيل له ولا مكتسب فيه، كما يسوقه إلى الجلد القوي ذي المِرَّة السوي»[٢].

العلاقة بين الخلق والرزق:

الخلق والرزق بينهما اتصال وثيق.

فإن الله تعالى تفرَّد بالرزق كما تفرد بالخلق، إذ ما من حيوان سارح في الغبراء أو سابح في الماء أو مستكن في الأحشاء إلا والله تعالى خالق رزقه وهاديه إلى معرفة الحصول عليه وتناوله والانتفاع به[٣].

فمن طلب الرزق من غير الله فقد أشرك بالله، ومن ظن أن الرزق عند غير الله فهو جاهل بالله.

---

(١) المقصد الأسنى: الغزالي.

(٢) شأن الدعاء: الإمام الخطابي.

(٣) منهاج المسلم: أبو بكر الجزائري.

الرزق عقيدة لو فهمها المسلمون:

لم نجد من يطوف حول ضريح لميت ويقول: ارزقني بولد أو بمال أو وظيفة أو اشف مريضي وارزقه الصحة، أو ادفع عني البلاء وارزقني العافية أو غير ذلك من الأقوال والأفعال التي إن دلت فإنما تدل على عدم يقين في أن الأمر كله لله، وأن الرزق بيد الله وحده، فلا نفع يأتي إلا بقدره، ولا ضر يدفع إلا بمشيئته وحكمته، ومن ثَم لا نجد من ينافق غيره وإن سُئل عن سبب نفاقه قال: إن رزقي ورزق أولادي في يديه، أو نسمع على الملأ من يزعم أنه لولا المعونات الشرقيه والغربية لهلك العباد وخرت البلاد!!

والله تعالى يقول: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)﴾ [النمل: ٦٤].

سئل حاتم الأصم: «علام بنيت أمرك هذا من التوكل؟ قال على خصال أربع، علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأن قلبي، وعلمت أن عملي لن يعمله غيري فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتي بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحي منه»(١).

حقيقة الرزق:

حينما نقول: الرزق، فإن الفكر ينصرف بلا تردد إلى الرزق المتمثل في الدينار والدرهم وعموم المال، مع أن قيمة ذلك في مؤخرة الأرزاق التي يسوقها الله إلى عباده فالحقيقة أن الرزق نوعان:

١- **رزق عام (ظاهر):** شمل البرَّ والفاجر والأولين والآخرين وهو رزق الأبدان، وهو عطية الله لخلقه، التي بها بقاؤهم ووجودهم.

---

(١) صفة الصفوة: ابن الجوزي.

وفيه يقول النبي ﷺ: «من أصبح منكم آمنا في سربه معافىً في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»(١).

فسلامة الأعضاء (كمثال) رزقٌ عظيم للعبد لو كان يعقل، ولو أن سلامة الجسد وُضع في كفة، وثراء الدنيا في كِفة لاختار العاقل نعمة سلامة الجسد.

جاء عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: «إن رجلًا بُسط له من الدنيا فانتزع ما في يديه فجعل يحمد الله ويثني عليه حتى لم يكن له فراش إلا باريَّة [شيء كالحصير]، وبُسط لآخر من الدنيا، فقال لصاحب البارية، أرأيتك أنت علام تحمد الله؟ فقال: أحمده على ما لو أُعطيت به ما أعطي الخلق لم أعطهم إياه، فقال: وما ذاك؟ قال: أرأيتك بصرك، أرأيتك لسانك، أرأيتك يديك أرأيتك يديك أرأيتك رجليك»(٢).

٢-رزق خاص (باطن): وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان، وهو أشرف نوعي الرزق وأنفعه وأبقاه، فهو الموصِّل إلى السعادة الأبدية، ويشمل الهداية والتوفيق والتأييد والتسديد والفهم والعلم والحكمة واليقين وسائر الأحوال الإيمانية والمعارف الإلهية.

وهذا الرزق خاصٌ بالمؤمنين دون من سواهم، وهو على حسب مراتبهم من الإيمان والقرب من الله.

فإذا رُزق العبد العلم النافع والإيمان الصحيح والقوت الحلال والقناعة بما أعطاه الله فقد تمت له أموره واستقامت أحواله الدينية والبدنية(٣).

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) عدة الصابرين ابن القيم.

(٣) توضيح الكافية الشافية للسعدي.

أمثلة:

١-قال ﷺ: «ما أنعم الله على عبده بنعمة فقال: الحمد لله، إلا كان ما أعطى أفضل مما أخذ»(١).

٢-عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم انفعنى بما علمتني وعلمني ما ينفعني وارزقني علمًا تنفعني به»(٢).

٣-قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩].

٤-عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»(٣).

٥-سُئل عليٌّ رضي الله عنه: هل عندكم شيء من العلم ليس عند الناس؟ قال: لا والله ما عندنا إلا ما عند الناس، إلا أن يرزق الله رجلًا فهمًا في القرآن أو ما في هذه الصحيفة...»(٤).

٦-وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفد ما عنده قال ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يصبر يصبره الله، وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر»**(٥).

---

(١) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني.

(٢) رواه الحاكم وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

٧-وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الشهداء على بارقٍ – نهر بباب الجنة – يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرةً وعشيًا»(١).

٨-وأعظم الرزق على الإطلاق وأحسنه وأجمله وأبقاه جنة الله وأعظم منه: النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا الرزق على حسب ما يقدمونه في الدنيا من الأعمال الصالحة.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٠ – ٦٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

لماذا تكفل الله تعالى بأرزاق العباد؟

تكفل الله تعالى بأرزاق العباد حتى لا ينشغلوا بالرزق عن العبادة..

العبادة: الأمر الجلل العظيم الذي خلق الله العباد من أجله، بل من أجله خلق الله السماوات والأرض، وأرسل الرسل وأنزل الكتب، ومن أجل ذلك قام سوق الجنة والنار.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ

---

(١) رواه أحمد وابن حبان وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ -٥٨].

بل قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

لماذا فاوت الله في الرزق بين الناس؟

ينبغي أن يعي المؤمن ويوقن أن فِعل الله تعالى كله حكمة وتقديره كله خير.

ومن الحكمة في تفاوت الأرزاق بين الناس:

١- كي تستقيم الحياة ويخدم الناس بعضهم بعضا:

قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

فهذا التفاوت رحمة من الله بعباده، ولولاه ما قُضيت حاجة إنسان ولا أمكن التعايش في هذه الحياة.

وقال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ [الإسراء: ٢١].

ولم يخبر الله تعالى من هو البعض المفضل، ومن هو البعض المفضل عليه لأن كلًا منا مفضل في شيء ومفضل عليه في شيء آخر، ويأبى الله الصمد إلا أن يكون الكمال له وحده.

٢- لمنع البغي:

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧].

أي: لو أغنى الله الناس جميعًا لبغو ولقتل بعضهم بعضًا بطرًا وأشرًا وطغيانًا، ولو أفقرهم جميعًا لهلكوا، فاقتضت حكمة الله أن يكون في الناس أغنياء وفقراء ومرضى وأصحاء ومرءوسين ورؤساء، على حسب ما تقتضيه عزته وحكمته سبحانه ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٧﴾.

٣-للاختبار والامتحان:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝٢٠﴾ [الفرقان: ٢٠].

فتنة: هل يشكر الغني ويستخدم غناه في طاعة مولاه؟

هل يصبر الفقير ويلجأ إلى الله؟

وكان ربك بصيرًا: بمن يشكر ويصبر، ويرضي ويجزع، ويطيع ويعصي.

● **فائدة:** والمؤمن لا يحزن لهذا التفاوت، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

إشكال أجاب عنه الله:

قد يتساءل البعض قائلًا: لماذا يرزق الله فلانا مع أنه لا يعرف لله في ماله حقًا ولا واجبًا، ولا يؤدي فرضًا ولا نفلًا، بل يظلم ويطغى ويبغي!!

الجواب:

الدنيا ليست ذات قيمة عظيمة حتى يمنعها أحدًا أو حتى يجعلها مقياسًا لشيء، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا

صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥،١٦].

وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾﴾ [الاسراء: ١٨].

وقال ﷺ: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج»، ثم تلا رسول الله قول الله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

وقال ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء»(١).

ثم إن من أثار هذا الإشكال يتحدث عن الرزق المتمثل في الدينار والدرهم وعموم المال، وسبق أن بيّنا أن الرزق بمفهومه الحقيقي أعم من ذلك بكثير، بل إن ذلك في مؤخرة الأرزاق التي ساقها الله إلى عباده.

فمن قصر معنى الرزق على المال فإنه عن الحق والصواب قد مال.

قال أبو الدرداء: يا بني لا تتبع بصرك كل ما ترى في الناس، فإن من تبع بصره كل ما يرى في الناس يَطل تحزُّنه، ولا يشف غيظه، ومن لا يعرف نعمة الله إلا في مطعمه ومشربه فقد قلّ علمه وحضر عذابه»(٢).

➢ كيف نعبد الله باسمه «الرازق» أو الرزاق؟

أولًا: أن نوقن في حصول الرزق، وأن نثق بالرزاق سبحانه:

هل تعلم أن الله تعالى قدَّر أرزاق العباد وكتبها قبل أن يخلقهم.

---

(١) صحيح الترمذي.

(٢) الزهد: الإمام أحمد.

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يُرسل إليه الملَك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»[١].

وعن أم حبيبة قالت: اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها رسول الله ﷺ: «**إنك سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يُعجل شيئًا قبل حِله أو يؤخر شيئًا عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرًا أو أفضل**»[٢].

وقال ﷺ: «أيها الناس اتقو الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرَّم»[٣].

الرزق لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، فكما أن الله تعالى قدَّر لكل إنسان أجله، فقد قدَّر له رزقه، وما عليه إلا أن يسعى في طلبه من حلال، فقد قال ﷺ: «**لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت**»[٤].

فما كُتب للعبد من رزق لابد أن يستكمله قبل مفارقة الحياة، كان ذلك في الكتاب مسطورًا.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله تعالى يعطي المال من أحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب»[٥].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني.

الذي أريد تقريره هما أن تطمئن القلوب وأن تثق في ربها ﷻ، نعم اطمئن فإن رزقك لن يأخذه غيرك، رزقك لن يفوتك ما دمت سعيت في طلبه وأخذت بالأسباب، ولا تحزن على ما فاتك ولا تتحسر على ما لم يصل إليك فإنه لم يُقدِّره الله لك، وكن على يقين أن اختيار الله لك خير لك ما دمت من المؤمنين الصالحين(١).

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

توكلت في رزقي على الله خالقي ... وأيقنت أن الله لا شك رازقي.
وما كان من رزقي فليس يفوتني ... ولو كان في قاع البحار العوامق.
سيأتي به الله العظيم بفضله ... ولو لم يكن مني اللسان بناطق.
ففي أي شيء تذهب النفس حسرة ... وقد قسم الرحمن رزق الخلائق.

- **يحكي أحد الثقات من الفضلاء:**

أن أختًا فاضلة نحسبها تقية ولا نزكيها على الله غاب عنها زوجها لسبب ما، ومرضت ابنتها الوحيدة الصغيرة مرضًا شديدًا وزادت عليها الحمى فجلست إلى جوارها تبكي وتتضرع إلى الله ﷻ؛ لأنها نامت من غير عشاء فكيف ستأتي لابنتها بالطبيب والدواء؟

تقول: وفي الساعة الثانية ليلًا دق الباب!! فقلت: من؟! قال: الطبيب!! تقول: ففتحت الباب وأنا أرتجف فدخل الطبيب وهو يحمل حقيبته في يده، ثم قال: أين الطفلة المريضة؟! فقلت: ها هي!!

وكشف عليها ثم كتب الدواء، ثم وقف على باب البيت ينتظر الأجر، والأم تقف في دهشة وخجل، ثم قال: أين الأجر؟

---

(١) أسباب سعة الرزق: سيد عوة.

فقالت المرأة: لا أملك!! فصرخ الطبيب في وجهها قائلًا: تُخرجيني من بيتي في هذه الساعة المتأخرة ثم تزعمين أنك لا تملكين أجر الطبيب؟!

فبكت المرأة وقالت: والله ما اتصلت عليك؛ لأنه لا يوجد معي تليفون أصلًا!!

فقال الطبيب: أليس هذا بيت فلان؟! قالت: لا، بل هو البيت المجاور لي مباشرة!!

فعجب الطبيب جدًا لهذا الأمر، وسأل المرأة عن خبرها، فأخبرته، فخرج وأحضر الطعام والشراب والدواء وما تحتاجه الأم وابنتها!!

فما أحوجنا إلى الثقة واليقين في الرزاق ذي القوة المتين ﷻ.

❁ ثانيًا: أن نتعلق بالله وحده، ونسأله وحده، ونلجأ إليه وحده، وأن يعتقد العبد ويوقن بأن الرزق ليس بيد أحد من خلقه مهما كثرت أملاكه ووسع سلطانه واتسعت سيطرته:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الانعام: ١٤].

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧].

الخلق كلهم لا يملكون لك رزقًا ولا نفعًا ولا ضرًا، الناس كلهم عاجزون فقراء محتاجون عبيد مقهورون لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا والله

هو الغني القوي الرزاق الوهاب ﷻ.

فالحذر كل الحذر أن يرى الله في قلبك ثقةً في غير الله كثقتك في الله أو طمعًا في غير الله كطمعك في الله أو رجاءً في غير الله كرجائك في الله، فإن فعلت عذّبك الله بمن تعلقت به وحرمك رحمته وفضله ورزقه.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ٣].

وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن نبي الله قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا فإن مَثل ذلك مثلُ رجل اشترى عبدًا من خالص ماله فجعل يعمل ويؤدي عمله إلى غير سيده فأيكم يسرُّه أن يكون عبده كذلك؟! وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا...»(١).

وأضرب لك مثلًا يوضح ذلك:

لو أن رجلًا يعمل عند ملِك؛ ولكنه يأخذ الراتب من أمين المخزن، فهل يتعلق قلب الرجل بالملك أم بأمين المخزن؟

الجواب: إذا تعلق قلب الرجل بأمين المخزن فهو جاهل؛ لأنه لا يستطيع أن يعطيه شيئًا إلا بأمر الملك، ولله المثل الأعلى.

فالدنيا كلها لا تستطيع أن تعطيك شيئًا إلا بأمر مالك الملك وملك الملوك سبحانه وتعالى.

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذلك نقص منك في الدين
لن يقدر المخلوق أن يعطيك ... إلا بإذن الذي سواك من طين

---

(١) صحيح الترمذي.

واســـترزق الله ممـــا في خزائنـــه فـإن رزقـك بـين الكـاف والنـون

❁ **ثالثا: أن نحذر من الانشغال بالرزق عن الرزاق جل جلاله:**

فلا تجعل طلب القوت غايتك من الحياة؛ ولكن اجعل حياتك كلها لله.

إن الرزق لا يتحكم فيه صاحب عمل أو مدير شركة أو مسئول أو حاكم أو سلطان فوظيفتك وعملك الذي تكتسب منه رزقك ما هو إلا أسباب والذي يهيئها هو رب الأرباب ومسبب الأسباب سبحانه وتعالى، والذي رزقك العمل ابتداءً قادر أن يرزقك عملًا آخر أفضل منه.

فإن كنت عاقلًا ذكيًا اجعل قضية حياتك دينك، عش حياتك على طاعة الله وتأمل قول الله تعالى في الحديث الإلهي: «**يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت يدك شغلًا ولم أسد فقرك**»[(١)].

❁ **رابعًا: أن نحذر وساوس الشيطان الذي يُخوف الإنسان الفقر:**

فالشيطان يُخوف الإنسان دائمًا من الفقر، كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فالشيطان الرجيم يحاول بشتى الطرق إضعاف اليقين في قلبك وتشكيكك في ربك.

فإياك واتباع شياطين الإنس والجن ممن يوسوسون إليك قائلين (اتحرك، الرزق يحب الخفة، الرزق يحب الفهلوة، خذ إكراميات، خذ دخانك، اسرق، اعمل نصباية، كل الناس كدة)[(٢)].

ولكن الجأ إلى الله، واطلب من الله، واستعن بالله.

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) اعتذر عن هذه اللهجة العامية.

✵ خامسًا: أن نحذر أن نكون ككثير من المسلمين الغافلين الذين يسعون لطلب الرزق من حله ومن غير حله:

وصدق النبي ﷺ حيث قال: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال؟ أمن حلال أم من حرام؟»(١).

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ..﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٠].

فأكْل الحلال أُمر به سائر الناس، وأُمر به المؤمنون، وأُمر به المرسلون.

وسببُ هذا التنوع في النداء، التنبيه الشديد على ضرورة أكل الحلال والاعتناء به وتحريه؛ لأن أكل الحرام لا ينفع معه عمل ولا يُقبل معه الدعاء.

فقليل من حلال يشكره العبد يأتيه من الله المزيد خير من كثير من حرام أو شبهة تُنتزع بسببه البركة ويحل به سخط الله(٢).

قال ابن عباس رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ: «ما من مؤمن ولا فاجر إلا وقد كتب الله له رزقه من الحلال فإن صبر حتى يأتيه آتاه الله تعالى، وإن جزع فتناول شيئًا من الحرام نقصه الله من رزقه الحلال»(٣).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) تدبر سورة يوسف / المؤلف.

(٣) حلية الأولياء: أبو نعيم.

وقف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ببغلته عند باب المسجد في الكوفة، فقال لأحد الناس: أتمسك لي البغلة؟ قال: أمسكها لك، فأخذ البغلة وأمسكها، وأمير المؤمنين عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلي في المسجد، فأخذ خطام البغلة وذهب إلى السوق وباعه بدرهم، فقال عليّ – حين خرج -: الحقوا هذا الرجل تجدوه في السوق يبيع الخطام، فلحقه رجل فوجده قد باعه بدرهم، فاشتراه من ذاك بدرهم وأخذه وقال: هذا خطام بغلة أمير المؤمنين، وأما أنت فقد أخذت الدرهم حرامًا فرجع الرجل إلى عليّ فأعطاه، فقال: بكم باعه؟ قال: بدرهم، قال: سبحان الله، والله لقد أردت في نفسي أن أعطيه درهمًا بدل إمساكه البغلة لكن أبى إلا أن يأخذ رزقه من الحرام»[١].

❁ سادسًا: أن نأخذ بأسباب الرزق ونطلبه بمفاتيحه:

(الرزق مفاتيح وأسرار) إن الله تعالى جعل لكل شيءً سببًا، وجعل للرزق أسبابًا يُنال بها، حسية ومعنوية، قولية وفعلية، فمن أراد الرزق الحلال فليحرص على هذه الأسباب، فخذها بقوة، وأمر قومك يأخذوا بأحسنها.

(١) تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

من اتقى الله تعالى بفعل ما به أمر واجتناب ما عنه نهى وزجر، ومراقبته في السر والعلن، رزقه الله من أبواب لا تخطر بباله، وفتح عليه من بركات السماوات والأرض قال تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الطلاق:٣،٢].

أي: يسوق إليه الرزق من وجوه لا تخطر بباله وفي أزمان وأماكن لا تخطر بباله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

قال الإمام الرازي: بركات من السماء بالمطر وبركات من الأرض بالنبات والثمار وكثرة المواشي والأنعام وحصول الأمن والسلامة وذلك؛ لأن السماء تجري مجرى الأم ومنها يحصل جميع المنافع والخيرات...»[(١)].

وقال ﷺ: «فاتقوا الله وأجملوا في الطلب فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته»[(٢)].

وفي الأثر يقول الله تعالى: «أنا الله إذا رضيت باركت وليس لبركتي منتهى وإذا غضبت لعنت ولعنتي تدرك السابع من الولد»[(٣)].

ومن أظهر المعاني لتقوى الله: التخلص من المعاصي.

فإن العبد يُحرم الرزق – فعلًا – بالذنب يصيبه.

حُرم آدم سكنى الجنان وجوار الكريم المنان – وأي رزق أفضل من ذلك؟ – بشؤم المعصية.

في سورة البقرة يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [٣٥].

وفي سورة طه يقول الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ أعظم الرزق على الإطلاق ﴿فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا

(١) التفسير الكبير: الرازي.

(٢) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد في كتاب الزهد، وانظر الداء والدواء لابن القيم.

وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [١١٧ – ١٢١].

﴿فَغَوَىٰ﴾ ذاق ذُل المعصية بعد عز الطاعة، ذاق مرارة المعصية بعد حلاوة الطاعة.

وصدق من قال:

تصـــل الـــذنوب وترتجـــي دَرَج الجنـــان لـــدى النعـــيم الخالـــد.

ولقد علمت أن الله أخرج الأبوين من ملكوته الأعلى بذنب واحد.

المعصية! وما أدراك ما المعصية!!

حرمت فرعون من رزق المال – هذا في الدنيا – وحرمتهم في الآخرة من جنة الكبير المتعال.

المعصية هي السبب الرئيس في حرمان الرزق بأنواعه.

المعصية تحرم رزق العلم:

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالذنب يعمله»(١).

لما جلس الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو صغير السن بين يدي الإمام مالك، وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه، فقال: إن الله قد ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية.

قال الشافعي:

شـكوت إلـى وكيـع سـوء حفظـي فأرشـــدني إلـــى تـــرك المعاصـــي
وأخبـــرني بـــأن العلـــم نـــور ونـــور الله لا يُهـــدي لعاصـــي(٢)

---

(١) حلية الأولياء: أبو نعيم.

(٢) الداء والدواء، وإعلام الموقعين لابن ابقيم.

المعصية تحرم رزق العزة والكرامة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ﴾ [يونس: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾ [الحج: ١٨].

فالعاصي قلبه ممتلئ ذلًّا وانكسارًا حتى وإن كان عظيمًا في قومه، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**وجُعل الذل والصَّغار على من خالف أمري**»[١].

قال الحسن البصريّ رَحِمَهُ اللَّهُ **– عن أهل المعصية –:** «فإنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين إلا أن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم أبى الله إلا أن يذل من عصاه»[٢].

المعصية تحرم رزق الذكر الحسن والمحبة بين الناس: فالعاصي يتحدث الناس عنه بكل قبيح، بل والملائكة كذلك لا تذكره إلا بكل مكروه وسوء.

قال ﷺ: «ما من عبد إلا وله صِيت في السماء فإن كان صِيته في السماء حسنًا وُضع في الأرض، وإن كان صِيته في السماء سيئًا وُضع في الأرض»[٣].

وفي صحيح مسلم قال ﷺ: «وإذا أبغض الله عبدًا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانًا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض».

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) الداء والدواء:ابن القيم.

(٣) رواه البزار وصححه الألباني في صحيح الجامع.

المعصية تحرم رزق الصحة والعافية والسرور وسهولة العيش:

قال ﷺ: «ما اخْتَلَج[١] عرق ولا عين إلا بذنب وما يدفع الله عنه أكثر»[٢].

قال عليٌّ رضي الله عنه: «جزاء المعصية: الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة والتعسر في اللذة، قيل: وما التعسر في اللذة؟ قال: لا يصادف لذة حلالًا إلا جاءه من ينغصه إياها»[٣].

عود على بدء:

تقوى الله تعالى من أعظم أسباب توسعة الأرزاق.

مَرّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مع أصحاب له في بعض نواحي المدينة – فوضعوا سُفرة – فمرّ بهم راعي غنم، فسلَّم، فقال ابن عمر: هلمّ يا راعي، هلم، فأصب من هذه السفرة، فقال له: إني صائم، فقال ابن عمر: أتصوم في هذا اليوم الحار شديد السموم، وأنت في هذه الجبال ترعى هذه الغنم؟ فقال: أي والله، أبادر أيامي الخالية، فقال له ابن عمر – وهو يريد أن يختبر ورعه وتقواه –: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونعطيك من لحمها؟ فقال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي، فقال ابن عمر: فما عسى سيدك فاعلًا إذا فقدها، فقلت: أكلها الذئب، فولّى الراعي عنه وهو رافع أصبعه إلى السماء وهو يقول: أين الله؟ فجعل عمر يردد أين الله أين الله؟

فلما قدم عمر المدينة بعث إلى مولاه – مولى الراعي – فاشترى منه الغنم والراعي فأعتق الراعي ووهب له الغنم»[٤].

---

(١) اضطرب.

(٢) رواه الطبراني في الصغير وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير.

(٤) سير أعلام النبلاء: الذهبي، وشعب الايمان: البيهقي.

عليك بتقوى الله إن كنت غافلًا	سيأتيك بالرزق من حيث لا تدري
فكيف تخاف الفقر والله رازق	فقد رزق الطير والحوت في البحر
ومن ظن أن الرزق يأتي بقوة	فما أكل العصفور رشفا مع النسر
ترحل عن الدنيا فإنك لا تدري	إذا جن ليلٌ هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة	وكم من سقيم عاش حينا من
وكم من عروس زينوها لزوجها	وقد أدخلت أجسادهم ظلمة
ياجامع المال ما أعددت للحفر	هل يغل الزاد من أضحى على
أفنيت عمرك في اللذات تطلبها	يا خيبة السعي، بل يا ضيعة العمر

(٢) صلاتك صلتك بربك، وسبيل محبته لك، وكلما كثرت صلاتك ازداد قربك من ربك وازدادت محبته لك.

الصلاة:

التي هي صلة بين العبد وبين الله، الصلاة التي حافظ صاحبها على وقتها وجماعاتها وخشوعها، ولم يشغله شيء عن القيام بها، من أعظم أسباب الرزق ومفاتيحه قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٢٣].

وانظر إلى هذا الاقتران بين الصلاة والرزق، ووجهه: أنك إذا أقمت الصلاة كما أراد الله أتاك الرزق من حيث لا تحتسب.

وكان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة ثم قرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ...نَرْزُقُكَ﴾(١).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات.

(٣) الاستقامة:

من أعظم أسباب زيادة الرزق ونمائه، إقامة شرع الله والاستقامة عليه قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦].

قال مجاهد: لو استقاموا على طريقة الإسلام لأعطيناهم مالًا كثيرًا.

وعن أنس رضي الله عنه قال: ﴿غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ عيشًا رغدًا[1].

حَكِّم شرعَ الله تعالى في نفسك وفي بيتك، يأتك رزقك تحت رجليك في سهولة ويسر.

(٤) صدق التوكل على الله:

والمعنى: أن يعتمد قلبك على الله حقيقة، مع الأخذ بالأسباب، فالجوارح تأخذ بالأسباب والقلوب متعلقة صدقًا بمسبب الأسباب، سبحانه وتعالى.

فمن توكل على الله كفاه، ومن فوّض إليه الأمر هداه وأغناه وجاد عليه بالنعم وأعطاه.

قال عز من قائل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي كافيه، فمن توكل على الله حقًا كفاه هم رزقه وأوصله إليه بلا تعب.

قال بعض السلف: «توكل تُسق إليك الأرزاق بلا تعب ولا تكلف»[2].

وقال ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير

(١) الدُرّ المنثور: السيوطي.

(٢) التوكل على الله: بن أبي الدنيا.

تغدوا خماصًا وتروح بطانًا»[١].

تأمل: «لو أنكم تتوكلون على الله».

هل نحن متوكلون على الله على الحقيقة؟ أم على البنك والوظيفة والراتب والتجارة وشركات التأمين، والرصيد!!!! فضعُف التوكل على الله – إلا من رحم الله – وهذا حالنا لا يخفى عليكم!!

«**لَرَزقكم**» فإذا عانينا من الرزق وضيق العيش، وانشغلنا بذلك فذلك علامة على ضعف توكلنا على الله.

قال عليّ بن بكار: «شكا رجلٌ إلى ابراهيم بن أدهم كثرة عياله، فقال: يا أخي، انظر كل من في منزلك ليس رزقه على الله فحوِّله إلى منزلي»[٢].

قال رجل لمعروف الكرخي: أوصني، فقال: «توكل على الله حتى يكون أنيسك وجليسك وموضع شكواك واعلم أن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك»[٣].

قال سليمان الخوّاص لأبي قدامة – رحمهما الله –: «لو عامل أحد الله بحسن التوكل عليه وصدق النية له بطاعته لاحتاجت إليه الأمراء فمن دونهم، فكيف يحتاج أحد إلى أحد والموئل والملجأ إلى الغني الحميد؟!»[٤].

(٥) السعي والأخذ بالأسباب:

لقد جعل الله لكل شيء سببًا، ومن أسباب حصول الرزق السعي والعمل

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم وغيرهم وصححه الألباني.

(٢) أدب الدنيا والدين: الإمام الماوردي.

(٣) صفة الصفوة: ابن الجوزي، جامع العلوم الحكم: ابن رجب.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر.

والجد والاجتهاد مع الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه.

قال عزّ من قائل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠].

تأمل:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي لطلب المكاسب والتجارات ونحو ذلك ولما كان ذلك مظنة الغفلة، أمر الله تعالى بالإكثار من ذكره حتى.تنجبر الغفلة إن وُجدت وحتى يظل القلب موصولًا بالله لا ينقطع فقال:

﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي في حال قيامكم وقعودكم وعلى جنوبكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح والنجاح والرزق.

كان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف، فوقف على باب المسجد قائلًا: اللهم إني قد أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين(١).

وقال عز من قائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: ١٥].

وتأمل قوله: ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ أي اسعوا في الأرض واعملوا لكن احذروا أن تنشغلوا عما أنتم إليه صائرون، إشارة إلى الجزاء والحساب.

وقال ﷺ: «ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي.

داود كان يأكل من عمل يده»(١).

المرء لا يُعاب على أي عمل ما دام حلالًا؛ لكن العيب أن يقعد فارغًا بلا عمل، ستمتلئ حياته بالكدر ولابد، سيظل يشكو من الغم والهم والملل والسآمة، وسيكون مِعول هدم في المجتمع المسلم.

وبيّن النبي ﷺ: «شرف العمل وفضل الكسب الحلال الذي يغني المرء عن سؤال الناس، فقال: «لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فكيف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»(٢).

(٦) الاستغفار:

كيف لا؟ وقد قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

تأمل في هذه الآية الأبواب العظيمة للرزق: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ المطر الذي به حياة الزرع والدواب والأبدان.

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ المال والولد اللذان هما زينة هذه الحياة.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ الحياة الجميلة في الأولى وفي الآخرة.

كل ذلك سبيله الاستغفار، فهل أكثرت من الاستغفار وجعلت لنفسك وردًا منه حتى تُرزق؟

ثم انظر ماذا قال الله بعد هذه الآيات؟

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣] أي مالكم لا توقنون؟ مالكم لا

---

(١) رواه البخاري.

(٢) البخاري.

تصدقون؟ ولو كنا موقنين مصدقين، فمن منا سأل الله المال بالاستغفار؟ ومن منا سأل الله الولد والاستغفار؟

وقد قال ﷺ: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب»(١).

شكا رجل إلى الحسن الجدوبة، فقال له: استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر، فقال: استغفر الله، وقال آخر له: ادع الله أن يرزقني الولد، فقال: استغفر الله، وشكا آخر جفاف بستانه، فقال له: استغفر الله، فقيل له في ذلك، فقال: ما قلت من عندي شيئًا، إن الله تعالى يقول: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾(٢).

دواؤك منك وما تشعر وداؤك فيك وما تبصرُ

(٧) التسبيح:

فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «إن نبي الله نوحًا لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاصٌ عليك الوصية: آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت «لا إله إلا الله» في كفة، رجحت بهن «لا إله إلا الله» ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كنّ حلقة مبهمة قصمتهن «لا إله إلا الله»، و«وسبحان الله وبحمده» فإنها صلاة كل شيء وبها يُرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر، قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه، فما الكبر؟ أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟ قال: لا، قيل: هو أن يكون لأحدنا حلةٌ يلبسها؟ قال: لا، قيل: هو أن يكون لأحدنا دابةٌ

---

(١) رواه أحمد وصححه العلامة أحمد شاكر، وفيه الحكم بن مصعب لم يوثقه إلا ابن حبان.

(٢) فتح الباري: ابن حجر.

يركبها؟ قال: لا، قيل: أهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا، فقيل: يا رسول الله فما الكبر؟ قال: سَفَهُ الحق، وغمْصُ الناس»(١).

(٨) الإنفاق في سبيل الله:

من سخت نفسه وجادت فإنه يكافأ بالجود والسخاء، وثواب الكريم أن يُكرم، وجزاء من أنفق في سبيل الله أن يشرح صدره وييسر أمره ويُخلف عليه. قال عز من قائل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ ولو كان قليلًا ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الحديد: ١١].

أنفق ثقةً بالله ويقينًا بما عنده، واعلم أن الغنيّ الرزاق ﷻ سوف يُخلف عليك ويبارك لك ويزيدك من فضله.

قال الله تعالى – في الحديث الإلهي – «**أنفق يا ابن آدم يُنفق عليك**»(٢).

وقال ﷺ: «**أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالًا**»(٣).

● **وتأمل:** قول النبي ﷺ: «**ولا تخش من ذي العرش**» وكأنه يقول له: أتخاف أن يُضَيِّعَ مثلَك مدبرُ الأمر من السماء إلى الأرض وهو رب العرش العظيم؟

وقال ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»(٤).

---

(١) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبزار وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البيهقي والطبراني في الكبير وغيرهما وصححه الجامع.

(٤) متفق عليه.

وحبذا لو كان الإنفاق على طالب العلم الشرعي:

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه إلى النبي فقال له: «**لعلك ترزق به**»[١].

إن المتفرغين للعلم الشرعي يدخلون تحت طائلة قوله تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣][٢].

إني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا استثقل قلب أحدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يُقبل على التعلم، فتفريغهم للعلم أفضل[٣].

وتأمل قول النبي ﷺ: «ما فتح عبدٌ باب عطية، صدقة أو صلة، إلا زاده الله تعالى بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة إلا زاده الله بها قلة»[٤].

الرزّاق جل وعلا في عون المتصدق ييسر له أسباب رزقه ويسوق إليه الخير دون غيره..

فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرّة [قناة] فإذا شرجةٌ من تلك الشراج قد استوعب ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجلٌ قائم في حديقته يحوِّل الماء بمسحاته – فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال:

---

(١) صحيح الترمذي.

(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا.

(٣) تفسير القاسمي.

(٤) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

فلان – للاسم الذي سمع في السحابة – فقال له يا عبد الله اسق حديقة فلان – لاسمك – فماذا تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثًا وأرد فيها ثلثه».

فانظر كيف أن الله تعالى أمر السحابة بأن تُفرغ ماءها في أرض هذا الرجل دون غيره لينبت الزرع وينمو ويبارك فيه، وما ذاك إلا بفضل الله ثم بفضل صدقته في سبيل الله.

(٩) بر الوالدين وصلة الأرحام:

ذلك لأن الواصل موصول. ففي الصحيحين قال ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله**»(١).

وفيهما قال ﷺ: «**من أحب أن يبسط له في رزقه ويُنسأَ له في أثره** [يبارك له في عمره] **فليصل رحمه**»(٢).

وفي رواية لهما: «فليبر ولديه وليصل رحمه».

وفي رواية أحمد: «من سره أن يُمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه مِيته السوء فليتق الله وليصل رحمه»(٣).

وقال ﷺ: «**صلة القرابة مَثراة في المال، محبة في الأهل، منسأة في الأجل**»(٤).

وقال ﷺ: «**إن أعجل الطاعة ثوابًا صلة الرحم، حتى إن أهل بيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون**»(٥).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه أحمد وصححه العلامة أحمد شاكر.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه وقال الألباني: حسن لغيره.

(١٠) الشكر:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [ابراهيم:٧].

قال الربيع: «أخبر موسى عليه السلام بني إسرائيل عن ربه عز وجل أنهم إن شكروا النعمة زادهم من فضله وأوسع لهم في الرزق وأظهرهم على العالمين»[١].

قال عليٌّ رضي الله عنه: «النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد وهما مقرونان فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد[٢].

وقال ابن عطاء الله السكندري: «من لم يشكر النعمة فقد عرضها لزوالها، ومن شكرها فقد قيَّدها بعقالها»[٣].

والشكر كما قال ابن القيم رحمه الله يدور على ثلاثة أركان لا يكون العبد شكورًا إلا بمجموعها.

أحدهما: اعتراف العبد بنعمة الله عليه.

والثاني: الثاني عليه بها.

والثالث: الاستعانة بها على مرضاته[٤].

(١١) العفة والقناعة:

فالعفة عز والقناعة غنىً، فالزمها تَفُز، واعلم أن اليد العليا خيرٌ وأحب إلى الله من اليد السفلى.

---

(١) الدر المنثور: السيوطي.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي.

(٣) الحكم العطائية.

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.

وحسبك قول النبي ﷺ: «من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن استكفى كفاه الله»(١).

(١٢) التبكير في طلب الرزق:

فالبكور رزق وبركة، وقد قال ﷺ: «**بورك لأمتي في بكورها**»(٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي وائل قال: غدونا على عبد الله بن مسعود يومًا بعدما صلينا الغداة [الصبح] فسلَّمنا بالباب فأذِن لنا، قال: فمكثنا بالباب هُنية، فخرجت الجارية، فقالت: ألا تدخلون؟ فدخلنا فإذا هو جالس يسبح، فقال: ما منعكم أن تدخلوا وقد أُذن لكم؟، فقلنا: لا إلا أنا ظننا أن بعض أهل البيت نائم، فقال: ظننتم بآل ابن أم عبد غفلة»(٣).

ورأى ابن عباس رضي الله عنهما ابنًا له نائماً نومة الصبح، فقال له: قم، أتنام في الساعة التي تقسم فيها الأرزاق»(٤).

(١٣) حسن الخلق:

وكما قيل: في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق.

وقال ﷺ: «إنه من أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من خير الدنيا، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»(٥).

ومن مظاهر حسن الخلق: الصدق عمومًا، والصدق في المعاملات خصوصًا.

---

(١) رواه أحمد وانظر صحيح الجامع.

(٢) رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم.

(٤) زاد المعاد: ابن القيم.

(٥) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة.

ففي الصحيحين قال ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»(١).

وقال ﷺ: «إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق»(٢).

(١٤) المتابعة بين الحج والعمرة:

كما قال ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة»(٣).

(١٥) الزواج بنية العفاف وتحصين الفرج:

فمن تزوج يريد العفاف أعانه الله وأغناه وهيأ له أسباب الرزق.

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

عن أبي بكر رضي الله عنه قال أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح يُنجز لكم ما وعدكم به من الغنى، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «التمسوا الغنى في النكاح»(٤).

وقال ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب يريد الأداء، والناكح يريد (العفاف)»(٥).

(١٦) الإحسان إلى الضعفاء:

قال ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟ بدعوتهم وإخلاصهم»(٦).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير.

(٥) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٦) صحيح الجامع.

ومن بين الضعفاء الذين إن أكرمناهم أكرمنا الله، وإن أحسنا إليهم أحسن إلينا الله، الأرامل، واليتامى والنساء.

فقد قال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالقائم الليل والصائم النهار»[(١)].

فانظر كيف يكون رزق رجل يقوم الليل ويصوم النهار ويجاهد في سبيل الله؟!

وقال ﷺ: «إني أحرج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»[(٢)].

وقد جاء رجلٌ إلى النبي صلي الله عليه وسلم يشكو قسوة قلبه، فقال ﷺ: **«أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك»[(٣)].**

(١٧) الدعاء واللجأ إلى رب الأرض والسماء:

فأعجز الناس من عجز عن الدعاء، ومن أُلهم الدعاء فإن الإجابة قريبة. قال عز من قائل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ﴾ [غافر: ٦٠].

فالدعاء يستجلب الرزق والبركة والخير والشفاء ويرفع البلاء ويدفع الشقاء.

تأمل دعاء ابراهيم خليل الرحمن – عليه الصلاة والسلام –:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

---

(١) رواه أحمد الترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية والحاكم والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وسيد المرسلين وإمام النبيين ﷺ كان من دعائه: «اللهم إني أسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيبًا وعملًا متقبلًا»[١].

وعن عليٍّ رضي الله عنه أن مكاتبًا جاءه فقال: إني قد عجزت عن كتابي فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل صير دينًا أدّاه الله عنك، قل: «**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك**»[٢].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي كلكلم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أُكسكم...»[٣].

فواعجبًا للمصروف عن الدعاء ما الذي صرفه؟

أضعف ثقته في الله، أم غفلته عن الله، أم سوء ظنه بالله؟ أم أعمته دنياه وأضله هواه؟!

هذه هي أهم الأسباب التي بها تحصل الأرزاق وتنمو وتعظم بركتها ونفعها على صاحبها، فمن أخذ بها حصل له ما ابتغي وتحقق له ما أراد وعلى حسب اليقين والاستجابة لهذه الأسباب يكون العطاء من الملك الوهاب جل جلاله.

وأخيرًا:

ينبغي للمؤمن الموحد أن يجعل أكبر همه السعي لنيل الرزق الأعظم والفضل الأكبر ألا وهو رضوان الله والجنة، فذلك أعظم الرزق وأفضله وأكرمه.

---

(١) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم.

قال عز من قائل: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق:١١].

سابعًا: أن ندعوا لله تعالى باسميه «الرزاق» «الرازق» جل جلاله:

كما دع بذلك ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة: ١٢٦].

وكما دعا بذلك عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

وكم دعا النبي ﷺ، ربه بهذين الاسمين.

جَاءَ أَعْرَابِىٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ عَلِّمْنِى كَلاَمًا أَقُولُهُ قَالَ «**قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**». قَالَ فَهَؤُلاَءِ لِرَبِّى فَمَا لِى قَالَ «**قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى وَارْحَمْنِى وَاهْدِنِى وَارْزُقْنِى**»(١).

عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول إذا صلى الصبح حين يسلم «**اللهم إني أسألك علما نافعًا ورزقًا طيبًا وعملًا متقبلًا**»(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح ابن ماجة.

(٨٩) الشافي جل جلاله

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضًا، أو أُتي به إليه قال: «**اللهم رب الناس، أَذْهِب الباس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك؛ شفاء لا يغادر سقمًا**»(١).

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(**الشافي**) جل جلاله: هو الذي يشفي الصدور من ضيقها، والقلوبَ من أحقادها وأحسادها وسائر أمراضها، والأبدانَ من عِلَلِها وآفاتها، ولا يقدر على ذلك غيرُه، ولا يُدْعَى بهذا الاسم سواه سبحانه.

(**الشافي**) جل جلاله: هو الذي بيده الشفاء؛ فلا الطبيب يشفي، ولا الدواء.

(**الشافي**) جل جلاله: هو الذي يشفي من يشاء، ويمرض من يشاء، ويطوي علم الشفاء عن الأطباء إذا لم يُقدِّر الدواء.

(**الشافي**) جل جلاله: هو الذي يشفي بسبب، ويشفي بأضعف سبب، ويشفي بأغرب سبب، ويشفي بلا سبب، ويشفي بما لا يتخيل العبد أنه سبب.

ماذا يعني المرض عند المسلم؟

الناظر في نصوص الشريعة؛ يجد أن المرض يعني أمورًا:

١- قد يكون عقوبة:

فالله تعالى لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس انفسهم يظلمون؛ فإذا رأيت البلاء في الأجساد؛ فإنك إنما ترى أثر بعض الذنوب التي كسبتها أيدي بعض

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

الناس؛ فما من خدش عود، ولا اختلاج عِرْقٍ، ولا عثرة قدمٍ إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] وتعجيل العقوبة في الدنيا من فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين؛ فهذا خيرٌ من أن تجتمع الذنوبُ بالعبد يوم القيامة؛ فتطرحه في النار.

٢-وقد يكون المرض كفارةً:

فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «ما يُصيبُ المسلمَ من نَصبٍ، وَلا وَصَبٍ - مرَضٍ - وَلا هَمٍّ ولا حَزَنٍ، ولا أذىً، ولا غَمٍّ، حتَّى الشوْكَةِ يُشَاكُها؛ إلا كَفَّر اللهُ بِها من خَطَايَاهُ»[١].

٣-وقد يكون المرض منزلة ودرجةً:

فقد قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «إذا ابتلَيْتُ عبدي بحبيبتيه - عينيه - فصبر؛ عوَّضتُه منهما الجنة»[٢].

وقال ﷺ: «المبطون شهيد، والمطعون شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمرأة تموت بجُمْع شهيد...»[٣].

[المبطون: مَن مات بمرض في بطنه، والمطعون: الذي مات بطَعْنة ظالم أو بالطاعون، وذات الجنب: الدماميل، والجمعُ: الولادة].

وعن عطاء بن رباح قال: قال لي ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرَع، وإني

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وسنَدُه صحيح.

أتكشَّف؛ فادع الله لي؛ فقال: إن شئتِ صبرْتِ ولك الجنةُ، وإن شئتِ دعوْتُ الله أن يعافيك؛ فقالت: أصبر؛ ثم قالت: ولكني اتكشّف فادع الله ألّا أتكشّف؛ فدعا لها»(١).

ارتباط الشفاء بالدواء = ارتباط الاقدار بالأسباب

الشافي ﷻ هو وحده الذي يرفع البأس والعِلَل، كما صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**اشف أنت الشافي؛ لا شافي إلا أنت**»(٢).

فقد يبرأ الداء مع انعدام الدواء، وقد يبرأ الداء بالدواء، وكل ذلك راجع إلى قدرة الله وحِكْمته ومشيئته.

فسبحانه هو الذي خلق الداء والدواء، وخلَق أسباب الشفاء، ورتّب النتائج على أسبابها، والمعلولات على عِلَلِها؛ فيشفي بها وبغيرها، وكل ذلك يحكمه قضاؤه وقَدَرُه.

والأخذ بالأسباب – مع أنه لا تأثير لها بذاتها – إلا أن الحكيم الشافي ﷻ أمَرَنا بها؛ شريطة أن يكون ذلك بالجوارح، أما القلوب فليست متعلقة إلا بعلام الغيوب سبحانه.

وإنما مثَلُ الأسباب كمَثَل الآلَةِ بيد الصانع؛ فلا يقال: السيف ضرَب العنق، وإنما يقال: السَّيَّاف ضرَبَ العنق، ولا يقال: السيارة وصلتْ إلى المكان الفلاني، وإنما يقال: السائق وصَل، أو فلان وصَل، وهكذا؛ فكذلك لا يقال: شفاني الدواء الفلانيُّ، أو شفاني الطبيب، وإنما يقال: شفاني اللهُ، عافاني اللهُ، وفقني الله، نجاني الله، وهكذا؛ لأن الله تعالى هو الذي خلَق الأسباب والنتائج والداء والدواء؛ فقد تأخذ بالسبب ولا تحصل النتيجة، وقد تتناول الدواء ولا يبرأ الداء.

---

(١) متفق عليه.

(٢) انظر: صحيح الجامع.

ولهذا قال إبراهيم عليه السلام وهو يعلِّم قومه التوحيد: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠].

ولما قال رجل للنبي ﷺ: أَرِنِي هَذَا الَّذِي بِظَهْرِكَ؛ فَإِنِّي رَجُلٌ طَبِيبٌ، قَالَ ﷺ: «**الله الطَّبِيبُ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ، طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا**»(١).

وهذا هو التوحيد الذي علّمه الغلام للقوم -في قصة أصحاب الأخدود- لما قال له الوزير: «**ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني؛ قال: إني لا أشفي أحدًا؛ إنما يشفي الله؛ فإن أنت آمنتَ بالله دعوتُ لك الله فشفاك؛ فآمن بالله؛ فشفاه الله**»(٢).

الأمر بالتداوي:

ومع ذلك؛ فقد أمر الله بالتداوي من باب السعي، وترْك الدّعة والتواكل؛ فقال ﷺ: «**إن الله خلق الداء والدواء؛ فتداووا، ولا تتداووا بحرام**»(٣).

وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب؛ فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: نعم، تداووا؛ فإن الله لم يضع داء إلا وضَع له دواء غير داء واحد، قالوا: ما هو؟ قال: **الهَرم**»(٤).

وأتى رجل ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إِنَّ أَخِي مَرِيضٌ اشْتَكَى بَطْنَهُ، وَإِنَّهُ نُعِتَ لَهُ الْخَمْرُ أَفَأَسْقِيهِ؟ قَالَ عَبْدُ اللهِ: «**سُبْحَانَ اللهِ! مَا جَعَلَ اللهُ شِفَاءً فِي رِجْسٍ، إِنَّمَا الشِّفَاءُ فِي شَيْئَيْنِ: الْعَسَلُ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ، وَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ**»(٥).

---

(١) صحيح أبي داود.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الطبراني، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصحّحه الألباني.

(٥) رواه الطبراني، وصحّحه الألباني في الصحيحة.

وينبغي ونحن نتداوى أن نأخذ في الاعتبار أمورًا هامة:

١- أن التداوي ضمن الأسباب؛ فلا نجعل سببًا إلا ما ثبت أنه سببٌ شرعًا أو قدرًا.

٢-ألا يتعلق العبد بالأسباب، ولا يعتمد عليها، بل الاعتماد على مسبِّبها ومقدّرها جَلَّ جَلَالُهُ.

٣-أن يعْلَم العبد أن الأسباب مهما قَوِيَتْ؛ فهي مرتبطة بقضاء الله، إن شاء أبقى سببيّتها، وإن شاء أزالها.

➢ كيف نعبد الله باسمه الشافي؟

✵ أولًا: أن يعتقد العبد أنه لا شافي – حقيقةً – إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

فالشفاء من الأمراض لا يحدث بالطبيب وخبرته، ولا بالدواء وقوَّته، وإنما يحدث بإذن الله وإرادته.

إن الطبيب له علم يَدل به إذا كان في الأيام تأخيرُ
حتى إذا انتهت رحلته حار الطبيب وخانتْه العقاقير

ولهذا يمرض الرجلان بمرض واحد، ويُداوَيان عند طبيب واحد، بدواء واحد على صفة واحدة؛ فيبرأ أحدهما، ويموت الآخَر؛ لأن الأمر كله بيد الله وحده.

لما جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ يرقيه من وجع كان به قال: «باسم الله أرقيك، من كل شيءٍ يؤذيك، ومن شر كل نفسٍ أو عين حاسدٍ الله يشفيك، باسم الله أرقيك»(١).

فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ خير الأطباء؛ لأنه يعالج بالوحي، والمريض هو خير الأطباء كذلك؛ لأنه يعلّم الناسَ الوحيَ، والدواء خير الدواء؛ لأنه الوحْيُ، ومع ذلك فإن

(١) رواه البخاري.

جبريل عليه السلام يتبرأ من حوله وقوّته إلى حوْل الله وقوّته قائلًا: الله يشفيك، أي أن الرقية مني، لكن الشفاء من رب الأرض والسماء.

وعيسى عليه السلام لما أيّده الله بالمعجزات – والتي منها إبراء الأبرص والأكمه، وإحياء الموتى – قال: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٤٩].

ولهذا كان من الأخطاء الشائعة أن يقول الرجل: لولا الطبيب الفلاني لما شُفيتُ! ولولا الدواء كذا لما عوفيتُ!

فكم من مريض عُوفي بإذن الله، بعدما عجز الأطباء أمام مرَضِه، وكم من طبيب أصيب بالمرض الذي كان يداوي منه الناس، وكان فيه هلاكُه، ولم يجد من يُداويه.

قل للطبيب تخطَّفته يد الردى ... من يا طبيب بطبِّه أرداكا؟

قل للمريض نجا وعوفي بعد ... ما عجزت فنون الطب من عافاكا؟

قل للصحيح يموت لا من علة ... من يا صحيح بالمنايا دهاكا؟

سيجيب ما في الكون من آياته ... عجبٌ عجابٌ لو ترى عيناكا

يحكي أحد الثقات من العلماء أن أستاذا جامعيا ابتلاه الله بمرض في القلب؛ فسافر إلى بريطانيا لإجراء عملية عاجلة؛ فلما قرر الأطباء الجراحة، وظنّ أنه ربما سيموت قال: أمهلوني ثلاثة أيام أرجع إلى أهلي أُلقي نظرة سريعة، وأرتّب بعض الأمور، حتى إذا قدّر الله لي الوفاة أكون مطمئنًا؛ فعاد إلى أهله، وقبل أن يسافر مرة أخرى لإجراء الجراحة كان يجلس إلى جوار مكتب صديق له، بجوار جزار يبيع اللحم، ولفَت نظره امرأةٌ كبيرةٌ تلتقط العظم وبعضَ قِطَع اللحم النيء من الأرض؛ فتعجب الرجل وتحرّك نحو هذه الأم الكبيرة، وقال: ما تصنعين يا أماه؟

قالت: والله يا بني، لقد رزقني الله خمسة من الأولاد ما ذاقوا طعم اللحم منذ سنة تقريبًا؛ فبكى الرجل، ودخّل على هذا الجزار، وقال: يا أخي، هذه المرأة تأتيك كل

أسبوع؛ فأعطها من اللحم ما تريد، قالت: أريد كيلو واحدًا، قال: فأعطها اثنين، وأخرج الرجل من جيبه قيمة لحم لعامٍ كامل؛ فبَكَت المرأةُ ولم تُصَدِّقْ، ورَفَعَتْ يدها إلى السماء تتضرّع بالدعاء أن يُسعد الله هذا الرجل – وهو صاحب القلب المريض –.

يقول: فوالله ما أن عدتُ إلى بيتي وأنا أشعر بهمّة ونشاط، حتى لو كلّفوني بهدْم بيتٍ لفعلْتُ؛ فلما دخلْتُ قابلتْني ابنتي وقالت: ما شاء الله يا أبي! أرى وجهك يتهلّل؛ فقصّ عليها الخبرَ؛ فبكَتِ البنتُ وكانت صالحة، ورفعَتْ يدَها إلى السماء وقالت: أسأل الله أن يُسعدك بشفاء مرَضِك، كما أسعدتَ هذه المرأة وأولادها، واستجاب الشافي جَلَّ جَلَالُهُ.

سافر الرجلُ، وأمام الأطباء صرَخ طبيبُه الذي يعلم حالته، وقال: ما هذا؟ من الذي بذَل لك العلاج بهذه الصورة؟ عند أي الأطباء قد تعالجتَ وطلبتَ العلاج؟ فبكى الرجل وقال: تاجرْتُ مع الله عَزَّ وَجَلَّ.

فالشافي – على الحقيقة – هو الله جَلَّ جَلَالُهُ.

❋ ثانيًا: أن نأخذ بالأسباب الشرعية للشفاء:

إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء، وأنزل له شفاء، وهذا الشفاء له أسباب علِمَها من علِمها، وجَهِلها مَن جَهِلَها.

كما قال ﷺ: «**لكل داء دواء؛ فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله**»(١).

وقال ﷺ: «**ما أنزل الله داءً، إلا وقد أنزل له شفاءً، علِمَه من علِمه، وجهِله مَن جهِلَه**»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد، وصحّحه الألباني في الصحيحة.

الأسباب الشرعية للشفاء:

١-القرآن الكريم.

أليس القرآن نورا؟ فهل أنَرْنا به قلوبنا؟

أليس القرآن ضياء؟ فهل أضأنا به طريقَنا؟

أليس القرآن هدى؟ فهل اهتديْنا به؟

أليس القرآن دواء؟ فهل تداوينا به؟

أليس القرآن شفاء؟ فهل استشفينا به؟

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢] وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فُصِّلَت:٤٤] هدىً للقلوب، وشفاءٌ للأبدان.

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ دخَل عليها وامرأة تعالجها أو ترقيها؛ فقال: «عالجيها بكتاب الله»(١).

قال ابن القيم: «فَالْقُرْآنُ هُوَ الشِّفَاءُ التَّامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْوَاءِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، وَأَدْوَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يُؤَهَّلُ وَلَا يُوَفَّقُ لِلِاسْتِشْفَاءِ بِهِ، وَإِذَا أَحْسَنَ الْعَلِيلُ التَّدَاوِيَ بِهِ، وَوَضَعَهُ عَلَى دَائِهِ بِصِدْقٍ وَإِيمَانٍ، وَقَبُولٍ تَامٍّ، وَاعْتِقَادٍ جَازِمٍ، وَاسْتِيفَاءِ شُرُوطِهِ، لَمْ يُقَاوِمْهُ الدَّاءُ أَبَدًا، وَكَيْفَ تُقَاوِمُ الْأَدْوَاءُ كَلَامَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ لتصدَّع من عظَمَتِه وجلاله؛ فَمَا مِنْ مَرَضٍ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ سَبِيلُ الدِّلَالَةِ

(١) رواه ابن حبان، وصحّحه الألباني.

عَلَى دَوَائِهِ وَسَبَبِهِ، وَالْحَمِيَّةِ من كل مؤذٍ ومُضِرّ، ومع هذا فإعراض أكثر القلوب عنه، وعدم اعتقادها الجازم الذي لا ريب فيه أنه كذلك، وعدم استعماله، والعدول عنه إلى الأدوية التي ركّبها بنو جنسها حال بينها وبين الشفاء به.

وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ ... قُرْبُ الشِّفَاءِ وَمَا إِلَيْهِ وُصُولُ

كَالْعِيسِ فِي الْبَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا ... وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ(١)

فلم ينزل الله ﷻ من السماء شفاء قطّ أعم ولا أنفع، ولا أعظم ولا أنجع في إزالة الداء من القرآن(٢).

فارْقِ نفسَك وأهلَك بالقرآن، وعالج نفسَك وأهلَك بالقرآن؛ فالقرآن كله شفاء، وقد خُصّتْ آياتٌ منه للدواء، كالفاتحة والمعوّذات.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ (طلبوا الضيافة) فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، والله إِنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ والله لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا؛ فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا؛ فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ؛، فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ، وَيَقْرَأُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ؛ فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ (وَجَعٌ) قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لاَ تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا

---

(١) راد المعاد في هدْي خير العباد.

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم.

لَهُ، فَقَالَ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ**»، **ثُمَّ** قَالَ: «**قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا**» **وَضَحِكَ النبيُّ** ﷺ»(١).

يقول ابن القيم – عليه رحمة الله –: وَلَقَدْ جَرَّبْتُ فِي نَفْسِي وَفِي غَيْرِي؛ فرأَيْتُ أُمُورًا عَجِيبَةً، وَلَا سِيَّمَا مُدَّةَ الْمُقَامِ بِمَكَّةَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَعْرِضُ لِي آلَامٌ مُزْعِجَةٌ، بِحَيْثُ تَكَادُ تَقْطَعُ الْحَرَكَةَ مِنِّي، وَذَلِكَ فِي الطَّوَافِ؛ فَأُبَادِرُ إِلَى قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ، وَأَمْسَحُ بِهَا عَلَى مَحَلِّ الْأَلَمِ؛ فَكَأَنَّهُ حَصَاةٌ تَسْقُطُ، وَلَقَدْ جَرَّبْتُ ذَلِكَ مرَّاتٍ عَدِيدَةً(٢).

وأما المعوّذات – الإخلاص والفلق والناس – فكذلك.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «باب الرقى بالقرآن والمعوّذات» وذَكَر حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه– في المرض الذي مات فيه – بالمعوّذات؛ فلما ثقُل كنت أنفث عليه بهنّ، وأمسح بيد نفسه لبركَتِها».

وسُئل الزهري: كيف ينفث؟ قال: كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أن النبي** ﷺ **قال**: «**يابن عباس، ألا اخبرك بأفضل ما تعوّذ به المتعوّذون؟ قال: بلى يا رسول الله، قال**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق:١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]»(٣).

٢–الدعاء للنفس وللغير.

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: عادني رسول الله ﷺ فقال: «**اللهم اشف سعدا، اللهم اشف سعدا، اللهم اشف سعدا**»(٤).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) مدارج السالكين، بتصرّف.

(٣) رواه أحمد والنسائي، وصحّحه الألباني.

(٤) رواه مسلم.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «من عاد مريضًا لم يحضُر أجُله، فقال عنده سبع مرار: أسأل الله العظيمَ ربَّ العرش العظيم أن يَشْفِيَك، إلاَّ عافاه الله من ذلك المرض»(١).

٣- الصّدقة.

ففي الحديث المرفوع: «داووا مرضاكم بالصدقة»(٢).

وقد سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ الْمُبَارَكِ عَنْ قُرْحَةٍ فِي رُكْبَتِهِ لَهَا سَبْعُ سِنِينَ وَقَدْ أَعْيَتْ الْأَطِبَّاءَ؛ فَأَمَرَهُ بِحَفْرِ بِئْرٍ يَحْتَاجُ النَّاسُ إليه، وَقَالَ: أَرْجُو أَنْ يَنْبُعَ فِيهِ عَيْنٌ فَيُمْسَكَ الدَّمُ عَنْك»(٣).

قال الإمام المناوي: «وقد جُرِّب ذلك؛ فوجدوا أن الأدوية الروحانية تفعل ما لا تفعله الأدوية الحسية، ولا ينكر ذلك إلا من كَثُف حجابه»(٤).

٤- قيام الليل.

كما قال ﷺ: «عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»(٥).

٥- الرضا والحمد.

المرض من أقسى اختبارات الرضا؛ فإذا كانت إجاباتك في هذه الاختبارات راضيةً؛ كانت النتيجة مرضية بإذن الله.

---

(١) صحيح أبي داود.

(٢) انظر: صحيح الجامع، وصحيح الترغيب والترهيب.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر.

(٤) فيض القدير.

(٥) رواه أحمد والترمذي والحاكم وغيرهم، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع.

قُل من بين آهاتك ما أمَر به النبي ﷺ أمّته أن تقول: «رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا»[١].

قُلْها بقلبك، بل اجعل قلبك يتنفّس الرضا ويتلذّذ به، ثم تأمَّلْ جسدك وستَرَى أمارات الشفاء تدبّ في نواحيه بإذن الله[٢].

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ الله إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ، فقَال: انْظُرَا مَاذَا يَقُولُ لِعُوَّادِهِ؟ فَإِنْ هُوَ دَخَلُوا عَلَيْهِ حَمِدَ اللهَ؛ رَفَعُوا ذَلِكَ إِلَى اللهِ وَهُوَ أَعْلَمُ؛ فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ أُبْدِلَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ»[٣].

٦- ماء زمزم.

شَربَ النبي ﷺ من ماء زمزم وقال: «إنها مباركة، وهي طعام طعم، وشفاء سقم»[٤].

وقال ﷺ: «ماء زمزم لما شُرب له»[٥].

٧- العسَل.

قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا (أي النحل)شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَخِي يَشْتكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ: **«اسْقِهِ**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) لأنك الله، علي الفيفي بتصرّف.

(٣) رواه مالك مرسلا، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه أحمد وابن ماجه وغيرهما، وصحّحه الألباني.

عَسَلًا» ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ؟ فَقَالَ: «صَدَقَ الله، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا» فَسَقَاهُ فَبَرَأَ»(١).

«وَفِي تَكْرَارِ سَقْيِهِ الْعَسَلَ مَعْنًى طِبِّيٌّ بَدِيعٌ، وَهُوَ أَنَّ الدَّوَاءَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِقْدَارٌ وَكَمِّيَّةٌ بِحَسْبِ حَالِ الدَّاءِ، إِنْ قَصَرَ عَنْهُ لَمْ يُزِلْهُ بِالْكُلِّيَّةِ وَإِنْ جَاوَزَهُ أَوْهَى الْقُوَى وَأَحْدَثَ ضَرَرًا آخَرَ، فَلَمَّا أَمَرَهُ أَنْ يَسْقِيَهُ الْعَسَلَ سَقَاهُ مِقْدَارًا لَا يَفِي بِمُقَاوَمَةِ الدَّاءِ وَلَا يَبْلُغُ الْغَرَضَ؛ فَلَمَّا تَكَرَّرَ تَرْدَادُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَكَّدَ عَلَيْهِ الْمُعَاوَدَةَ لِيَصِلَ إِلَى الْمِقْدَارِ الْمُقَاوِمِ لِلدَّاءِ فَلَمَّا تَكَرَّرَتِ الشَّرَبَاتُ بِحَسْبِ مَادَّةِ الدَّاءِ، بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ، وَاعْتِبَارُ مَقَادِيرِ الْأَدْوِيَةِ وَكَيْفِيَّاتِهَا وَمِقْدَارِ قُوَّةِ الْمَرَضِ مَرَضٌ مِنْ أَكْبَرِ قَوَاعِدِ الطِّبِّ»(٢).

«وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «صَدَقَ اللهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ» إِشَارَةٌ إِلَى تَحْقِيقِ نَفْعِ هَذَا الدَّوَاءِ، وَأَنَّ بَقَاءَ الدَّاءِ لَيْسَ لِقُصُورِ الدَّوَاءِ فِي نَفْسِهِ، وَلَكِنْ لِكَذِبِ الْبَطْنِ، وَكَثْرَةِ الْمَادَّةِ الْفَاسِدَةِ فِيهِ، فَأَمَرَهُ بِتَكْرَارِ الدَّوَاءِ لِكَثْرَةِ الْمَادَّةِ»(٣).

واليقين أمر معتبر في هذا التداوي.

٨- الحجامة.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «الشفاء في ثلاثة: شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنهى أمتي عن الكيّ»(٤).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إن أمْثَل ما تداويتُم به الحجامة»(٥).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) زاد المعاد، لابن القيم.

(٣) المصدر السابق.

(٤) رواه البخاري.

(٥) متفق عليه.

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **أن رسول الله** ﷺ **قال: «ما مررت ليلة أسري بي بملإ من الملائكة إلا كلهم يقول لي: عليك يا محمد بالحجامة»**(١).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قال: سمعْتُ رسول الله** ﷺ **يقول: «الحجامة على الريق أَمْثَلُ، وفيه شفاء وبركة، وتزيد في العقل والحفظ؛ فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس»**(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **أن رسول الله** ﷺ **قال: «من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين؛ كان شفاء له من كل داء»**(٣).

٩- العجوة.

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا **أن النبي** ﷺ **قال: «إن فِي عَجْوَةِ الْعَالِيَةِ شِفَاءً، وَإِنَّهَا لَتِرْيَاقُ أَوَّلِ الْبُكْرَةِ»**(٤).

والعالية: ما كان من الحوائط والقرى والعمارات من جهة المدينة العليا مما يلي نجدًا، وأول البكرة: أي أوّل الصباح(٥).

١٠- السنى والسنوت.

يقول ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِالسَّنَى وَالسَّنُّوتِ، فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: الْمَوْتُ»**(٦).

السنى: نبات كأنه الحناء، زهره إلى الزرقة، وحبّه مفرطح إلى الطول، وأجوَدُه

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه.

(٢) صحيح ابن ماجه.

(٣) صحيح أبي داود.

(٤) رواه مسلم.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي.

(٦) صحيح ابن ماجه.

الحجازي.

والسنوت: العسل، وقيل: الرُّبُّ، وقيل: الكمُّون[١].

١١- الحبة السوداء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام»[٢].

وذِكْرُ شفائها من الأدواء بصيغة العموم لكثرة منافعها، وذكر الأطباء فيها من المنافع نحو أربعين منفعة[٣].

١٢- ألبان الإبل والبقر.

عن أنس رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا كَانَ بِهِمْ سَقَمٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، آوِنَا وَأَطْعِمْنَا، فَلَمَّا صَحُّوا، قَالُوا: إِنَّ المَدِينَةَ وَخِمَةٌ، فَأَنْزَلَهُمُ الحَرَّةَ فِي ذَوْدٍ لَه (إبل) فَقَالَ: اشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا»[٤].

وقال ﷺ: «إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم؛ فعليكم بألبان البقر؛ فإنها تَرِمّ من كل الشجر»[٥].

١٣- ألية الشاة الأعرابية.

عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«دَوَاءُ عِرْقِ النَّسَا أَلْيَةُ شَاةٍ أَعْرَابِيَّةٍ، تُذَابُ ثُمَّ تُجَزَّأُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ يُشْرَبُ عَلَى الرِّيقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُزْءٌ»**[٦].

---

(١) انظر: المعجم الوسيط.

(٢) رواه الطبراني، وصحّحه الألبانيُّ في الصحيحة.

(٣) الطب النبوي لابن القيم بتصرّف.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه النسائي وابن حبان والحاكم، وانظر الصحيحة.

(٦) صحيح ابن ماجه.

وعرق النسا: هو ألم مُزمِنٌ يبدأ من فقرات الظهر، ويمتدّ في الوَرِكِ إلى آخِر القدم، ومثله الغضروف.

(٩٠) الرفيق جل جلاله

عن عائشة رضي الله عنها قالت استأذن رهطٌ من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال: يا عائشة، «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» قلت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: قلت: وعليكم»**[(١)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله رفيقٌ يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[(٢)].

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

(الرفيق) جل جلاله: الميَسِّرُ على عباده، المسهل عليهم، في أوامره ونواهيه وأحكامه وشرعه، بل في قضائه وقدره وخلقه.

«فالله تعالى رفيق في أفعاله حيث خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئًا فشيئًا، بحسب حكمته ورفقه، مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة، وفي لحظة واحدة، وهو سبحانه رفيق في أمره ونهيه، فلا يأخذ عباده بالتكاليف الشاقة مرة واحدة، بل يتدرج معهم من حال إلى حال، حتى تألفها نفوسهم وتأنس إليها طباعهم كما فعل سبحانه في فرضية الصيام وفي تحريم الخمر والربا ونحوها...»[(٣)].

من مظاهر الرفق في التشريع:

مظاهر التيسير والرفق ورفع الحرج في الشريعة شملت جميع أحكام الإسلام، شملت العبادات بأنواعها، والمعاملات بشتى صورها، وحياة المسلم اليومية، **وإليك بعض هذه المظاهر:**

---

(١) رواه البخاري.
(٢) أخرجه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.
(٣) شرح نونية ابن القيم / محمد خليل هراس.

١-الأصل في الأشياء الإباحة:

فكل ما خُلق في هذا الكون مسخر للإنسان ومهيأ للاستمتاع به، ما لم يَنْه عنه الشارع – وهو قليل – ولهذا قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ [الجاثية: ١٣].

٢-العفو عن الخطأ والنسيان والإكراه:

فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

٣-الرخصة في العبادات والرفق فيها:

-تأمل الصلاة التي هي عبادة الإسلام المتكررة، والعمل الذي يُميز به بين المسلم والكافر، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، كم تستغرق من جهد المسلم وطاقته ووقته؟

-إنها خمس صلوات فقط في الليل والنهار، وكل صلاة أيسر وأخف من أي عمل يعده الإنسان من هوامش الأعمال، اليسر فيها أوضح من شمس الضحى.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «فرضت الصلاة على النبي ﷺ ليلة أُسري به خمسين، ثم نقصت حتى جُعلت خمسًا، ثم نودي يا محمد إنه لا يُبدل القول لديّ وإن لك بهذه الخمس خمسين»[١].

هذا فوق ما يجده المسلم في صلاته من حلاوة المناجاة ولذة التضرع، حتى صارت الصلاة قرة عين الموحدين.

-أما الصيام، فهو شهر واحدٌ في العام، لا يصومه المسلم وجوبًا إلا إذا بلغ سن

(١) رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه الألباني.

الرشد، ومع ذلك يتسابق الصبيان والأطفال على صيامه، وهو أدل دليل على يسره وسهولته.

-أما الزكاة التي فرضها الله على الأغنياء فقط، فهي أيسر ما يكون، لولا شح النفوس، فقد فرضها الله تعالى في مال الغني إذا حال عليه الحول وقد بلغ النصاب، أن يُخرج ربع العشر، وإذا تأملت سائر الأموال التي تَخرج منها الزكاة، كالإبل والبقر والغنم والزروع والثمار والركاز، وعرفت ما يخرج منها لرأيت جميل رفق الله تعالى بعباده.

– أما الحج فقد يصيب المسلم منه شيء من المشقة المحتملة، المخلوطة بالفرح والسرور واللذة، ومع ذلك لم يُفرض الحج إلا على القادر مرةً واحدة في العمر، وما وراء ذلك تطوع يتنافس فيه المتنافسون.

لم نتحدث عن الأجور العظيمة والسعادة العارمة التي يكتسبها العبد إذا قام بهذه العبادات، ولم نتحدث عن الرخص الجميلة في الصيام والزكاة والحج والصلاة وسائر الطاعات، التي إن دلت على شيء، فإنها لا تدل إلا على رفق الله بعباده وتيسيره عليهم ولطفه بهم.

وحسبك قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨].

وقوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء: ٢٦].

➢ كيف نعبد الله باسمه «الرفيق»؟

❋ أولًا: أن نحبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحب الأكبر، الخالص:

كيف لا، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرفق من رفق، وأحلم من حلم، وأرف من رأف، وأرحم من رحم، يحب عباده، يحب أن يتوب عليهم، يحب أن يخفف عنهم، يُبغض من شق عليهم، ويعامله من جنس عمله فيشق عليه.

فله وحده الحمد كله والشكر كله والثناء كله.

❋ ثانيًا: أن نتحلى بالرفق ونتخلق به ونكون من أهله:

حتى ننال محبته سبحانه، ورفقه، بل حتى ننال الخير كله.

فمن آتاه الله الرفق فقد أعطاه خيرًا عظيمًا وتوفيقًا كريمًا.

فالرفق رأس الحكمة، ودليل فقه العبد، وعنوان سعادته في الدارين.

ولهذا رغب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاتصاف به، وبين أن الله تعالى يُعطي عليه مالا يعطي على غيره، ويوفق به ما لا يوفق بغيره، وينفع به ما لا ينفع بغيره.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أُعطي حظه من الرفق، فقد أُعطي حظه من الخير، ومن حُرم حظه من الرفق، فقد حرُم حظه من الخير»(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أراد الله عَزَّ وَجَلَّ بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق»(٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»(٣).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف

---

(١) صحيح الترمذي.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الترغيب.

(٣) رواه مسلم.

وما لا يُعطي على ما سواه»[١].

معنى الرفق:

الرفق: هو اللين واللطف في القول والفعل والعطاء والأخذ وسائر الأمور.

وقيل: الرفق هو «المداراة مع الرفقاء ولين الجانب واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها»[٢].

ومما ينبغي التنبيه عليه ما ذكره أبو حامد الغزالي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حين قال «المحمود في العبد أن يكون وسطًا بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق؛ ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف، وإن كان العنف في محله حسنًا، كما أن الرفق في محله حسن، وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف، فيُعطي كل أمر حقه، فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع، فليكن ميله إلى الرفق فإن النجاح معه في الأكثر»[٣].

وهذا ما قاله سفيان لأصحابه: أتدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمور في مواضعها، الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه»[٤].

فعلى المؤمن أن يتخلى عن العنف ما أمكن، ويتحلى بالرفق ما أمكن، فمن آتاه الله نصيبًا من الرفق فقد آتاه ما يتمنى من سعادة الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) مرقاة المفاتيح للقاري.

(٣) الإحياء بتصرف يسير.

(٤) الإحياء.

وحسبك أن:

«من رفق بعباد الله رفق الله به، ومن رحمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد الله عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن منعهم خيره، منعه خيره، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله بتلك الصفة بعينها في الدينا والآخرة، فالله لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه»(١).

من مظاهر الرفق التي يجب أن يتحلى بها المؤمن:

١- الرفق بالنفس:

أولى ما يرفق به الإنسان نفسه التي بين جنبيه، فينبغي أن **يأخذها بالرفق لا بالعنف، وباليسر لا بالعسر**، كما قال ﷺ: «**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أُخبر رسول الله ﷺ أني أقول: لأقومن الليل ولأصومن النهار ما عشت، فقال ﷺ: «**أنت الذي تقول ذلك؟**» فقلت له: قد قلته يا رسول الله، فقال ﷺ: «**فإنك لن تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر**»، قال: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال: «**فصم يومًا وأفطر يومين**»، قال: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال: «**صم يومًا وأفطر يومًا، وذلك صيام داود، وهو أعدل الصيام**»، قال: فإني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله، قال: «**لا أفضل من ذلك**»،

قال عبد الله بن عمر: لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله، أحبُّ إليّ من أهلي ومالي»(٣).

---

(١) الوابل الصيب لابن القيم.

(٢) رواه البيهقي والبزار وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) متفق عليه.

وإذا كان الإنسان مكلفًا أن يَرفق بنفسه في أعمال الدين، التي يرجو بالاجتهاد فيها الفوز بالخلود في جنات النعيم، فإن أعمال الدنيا التي لا يرجو بالاجتهاد فيها إلا المتع الزائلة أولى أن يرفق بنفسه فيها، فإن العمر مهما طال فهو قصير، والدنيا مهما عظمت فهي حقيرة.

فقد قال ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم ترجع»[١].

فعلى الإنسان أن يرفق بنفسه في أعمال الدنيا ولا يشق عليها ولا يكلفها ما لا تطيق، فإن الناس في هذا الزمان قد انشغلوا بالدنيا أكثر من اللازم بكثير، وأعطوها من أوقاتهم واهتماماتهم فوق ما تستحق، فترى أحدهم من الفجر إلى العشاء يكدح ويشقى، لا يُعطي نفسه حظها من الراحة، فضلًا عن حظها من الصلاة والذكر وقراءة القرآن ومجالسة العلماء، بل لا يعطي زوجته حظها من وقته، ولا أولاده حظهم من تربيتهم وإرشادهم ومراقبتهم، مما نتج عن ذلك أن صرنا فقراء روحًا وتربية وأخلاقًا.

فيا طلاب الدنيا مهلًا مهلًا، رفقًا رفقًا، اعلموا أن الرزق لن يفوتكم، ففي الحديث: «**إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله**»[٢].

لكن يفوتكم البر والخير والطاعة.

فإن لبدنك عليك حقًا، وإن لولدك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقًا، وإن لربك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه.

٢-الرفق بالأهل:

فإذا رفق الإنسان بنفسه، فعليه أن يرفق بزوجته وولده، وليكن متعاونًا طيبًا

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح الجامع.

هينًا لينًا سهلًا لا يُعنف، ولا يُقبح، ولا يسب أو يلعن أو يشتم أو يكلف ما لا يُطاق.

فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق.

٣- رفق الراعي بالرعية:

ويحسن الرفق ويجمل في حق الراعي برعيته، فلا يشق عليهم، فإن النبي ﷺ قال: «**اللهم من ولى من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**»(١).

٤- رفق العالم بالمتعلم، والداعية بالمدعويين:

ويتأكد الرفق في حق العالم بالمتعلم، والداعية بالمدعو؛ لأن الرفق أقرب الطرق إلى القلوب، وأهم أسباب القبول.

ولنا في رسول الله أسوة حسنة.

-عن معاوية بن الحكم السُّلمي رضي الله عنه قال بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني الناس بأبصارهم، فقلت: واثكل أُمِّياه، ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيت القوم يُصَمِّتونني؛ لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله، ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني ولا شتمني؛ ولكن قال: **إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو الذكر والتسبيح وقراءة القرآن**»(٢).

-**وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن فتىً شابًا أتى النبي ﷺ فقال**: يا رسول الله ائذن لي

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

بالزنا، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، وقالوا: مه مه، فقال ﷺ: «**دعوه**»، ثم قال للشاب: «**ادن**» **فدنا حتى كان قريبًا من رسول الله ﷺ، فقال – بكل رفق ولين وتلطف: أتحبه لأمك؟** قال: لا، قال: **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، ثم قال أتحبه لابنتك؟** قال: لا قال: **ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال أتحبه لأختك؟** قال: لا، قال: **ولا الناس يحبونه لأخواتهم،** قال: **أتحبه لعمتك؟** قال: لا، قال: **ولا الناس يحبونه لعماتهم،** قال: **أتحبه لخالتك؟** قال: لا، قال: **ولا الناس يحبونه لخالاتهم، ثم وضع النبي يده على صدره وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه» فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء**(١).

فالعلم، والدعوة، عرض لا فرض، فإذا أحسن العالم أو الداعية عرض دعوته واستخدم الأسلوب الأمثل، وصل إلى الناس من أقرب طريق، وكانت دعوته وعلمه مؤثرًا.

٥-الرفق بالحيوان:

لم تقتصر دعوة الإسلام إلى الرفق بالبشر فقط، بل امتدت هذه الدعوة لتشمل الحيوان، فمن الرفق به، أن تدفع عنه الأذى كالعطش والجوع والمرض، والحمل الثقيل.

-دخل رسول الله ﷺ حائطًا [بستانًا] لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ ذرفت عيناه، فأتاه رسول الله فمسحه فسكت، فقال: لمن هذا الجمل؟ فجاء فتىً من الأنصار، فقال ﷺ: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إياها فإنه شكا إليّ أنك تُجيعه وتُدئبه**»(٢).

-ومَرّ ابن عمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا، وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) صحيح أبي داود.

الطير كلَّ خاطئةٍ من نبلهم، فلما رأو ابن عمر، تفرقوا، فقال: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا»[١].

غرضا: أي هدفًا يرمى فيه.

✵ ثالثا: أن ندعو الله تعالى باسمه «الرفيق»:

كما دعا النبي ﷺ قائلًا: «ومن وَليَ من أمر أمتي شيئًا فَرفق بهم فارق به»[٢].

فاللهم ارفق بنا في أمورنا كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الأخرة

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٩١) السَّيِّدُ جل جلاله

عن مُطَرِّفِ بنِ عبدِاللهِ بنِ الشِّخِّيرِ قال: قال أبي: انطلقتُ في وفدِ بني عامرٍ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقلنا: أنتَ سيِّدُنا، فقال «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**»، قلنا: وأَفْضَلُنا فضلًا، وأَعْظمُنا طَوْلًا، فقال: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»[١].

- ومعنى «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ**»؛ أي: ادعُوني نبيًّا ورسُولًا كما سمَّاني اللهُ، ولا تُسمُّوني سَيِّدًا كما تُسمُّون رُؤَسَاءَكُمْ، فإنِّي لستُ كأحدِهم ممن يَسودُكم في أسبابِ الدُّنْيَا»[٢].

- **ومعنى:** «**وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ**»؛ أي: لا يجرنكم إلى المبالغة في مدحي والازدياد من إطرائي.

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(**السَّيِّدُ**) جل جلاله: الُمحتاجُ إليه على الإطلاقِ، فإِنَّ سَيِّدَ النَّاسِ إنما هو رأسُهم الذي إليه يَرجِعون، وبأَمْرِهِ يعملون، وعن رأيه يَصْدُرون، ومِنْ قولِهِ يَسْتَهدون، فإذا كانتِ الملائِكَةُ والإنسُ والجِنُّ خَلْقًا للباري جل ثَناؤُهُ، ولم يكُنْ بهم غُنْيَةٌ عنه، كان حقًّا له جلَّ ثناؤه أَنْ يكونَ سَيِّدًا، وكان حقًّا عليهم أن يَدْعوه بهذا الاسمِ»[٣].

(السَّيِّدُ) جل جلاله: «الذي يملك نواصي الخلق ويتولاهم ويسوسهم»[٤].

(السَّيِّدُ) جل جلاله: «الذي تحق له السيادة»[٥].

---

(١) رواه أحمد وأبوداود وصححه الألباني.

(٢) لسان العرب.

(٣) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.

(٥) ابن الأثير في النهاية.

وكما قال الخطابيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولُه: «السَّيِّدُ اللهُ» يُريدُ: أنَّ السُّؤْدُدَ حقيقةً للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ الخلْقَ كلَّهم عبيدٌ له»(١).

(السَّيِّدُ) جَلَّ جَلَالُهُ: «الذي قد كمُل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفاته لا تنبغي إلا له»(٢).

(السَّيِّدُ) جَلَّ جَلَالُهُ: هو المتصرف في الكون لا نِدَّ له.

إطلاق لقب (السَّيِّد) على غير الله؟

يجوز إطلاق لقب السَّيِّدُ على المخلوق، فقد قال تعالى عن نَبِيِّهِ يحيى بنِ زكريا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝٣٩﴾ [آل عمران: ٣٩].

قال ابن الأنباري: «قِيلَ له: لم يُرِدْ بالسَّيِّدِ ها هنا المالكَ، وإِنَّمَا أراد الرئيسَ والإمامَ في الخيرِ، كما تقولُ العربُ: فلانٌ سيِّدُنا؛ أي: رئيسُنا والذي نُعظِّمه»(٣).

- وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سعد بن معاذ: «**قوموا إلى سيدكم**»(٤).
- **وفي حديث ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «الْعَبْدُ إِذَا نَصَحَ سَيِّدَهُ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ، كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»**(٥).
- وقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أبو بكر سَيِّدُنا، وأَعتقَ سيِّدَنَا، يعني بِلالًا»(٦).

---

(١) معالم السنن.

(٢) بدائع الفوائد ابن القيم.

(٣) لسان العرب.

(٤) صحيح سنن أبي داود.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه البخاري.

• **وقول الله تعالى عن نبيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وامرأة العزيز: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾** [يوسف: ٢٥].

ولا يتعارض ذلك مع قول النبي ﷺ: «**السيد الله**» حينما قالوا له: «أنت سيدنا».

قال أبو منصورٍ الأزهريُّ: «كَرِهَ النبيُّ ﷺ أَنْ يُمدَح في وَجهِهِ، وَأَحَبَّ التواضُعَ للهِ تعالى، وجَعلَ السِّيادَة للذي سادَ الخلْقَ أجمعين»، وكذلك قولُه: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**»؛ أراد: أَنَّه أَوَّلُ شفيعٍ، وأوَّلُ مَنْ يُفتحُ له بابُ الجَنَّةِ، قال ذلك إخبارًا عمَّا أكرمَهُ اللهُ به مِنَ الفَضلِ والسُّؤْدَدِ، وتحدُّثًا بنعمةِ اللهِ عِنْدَهُ، وإعلامًا منه لِيكُونَ إيمانُهم به على حَسَبِهِ وموجبِهِ، ولهذا أَتْبَعَه بقولِهِ: «**ولا فَخْرَ**»؛ أي: إِنَّ هذِه الفضيلَة التي نِلتُها كرامةٌ مِنَ اللهِ، لم أَنَلْها من قِبَلِ نَفْسِي، ولا بَلَغْتُها بقوَّتي، فليس لي أَنْ أَفْتخِرَ بها...»(١).

➢ كيف نعبد الله باسمه «السَّيِّدُ»؟

✵أولًا: أن يستشعر العبد أنه مهما بلغ من السيادة والرياسة والملك، فإن سيادته ناقصة، ورياسته مسلوبة، وملكه زائل:

لأن السَّيِّدَ الحقيقي هو الله (جَلَّ جَلَالُهُ)، والسؤدد الحقيقي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دائمًا وأبدًا، وهذا المعنى يُثمر في قلب العبد التواضع، وألا يستخدم سيادته في ظلم الناس والتكبر عليهم، ونحو ذلك.

انتقى هارون الرشيد أكفانه بيده، وجعل ينظر إليها عند موته، ويقول: «ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه»، وفرش المأمون رمادًا واضَّطجع عليه وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال مُلكه(٢).

---

(١) لسان العرب.

(٢) إحياء علوم الدين.

❃ ثانيًا: أن يستشعر العبد حاجته لسيده ويظهرها له:

كيف لا، وقد قال عزَّ من قائل: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥].

فليس المخلوق بغنيٍّ عن سيده وخالقه طرفة عينٍ ولا قيد أنملة، في كل أمره وحاله، وليله ونهاره، وحضَره وسفره، فلو لم يوجدهم، لم يكن لهم وجود، ولو لم يبْقهم بعد إيجادهم، لم يكن لهم بقاء، ولو لم يُعِنْهم على حوائجهم وفيما يعرض لهم، لخُذلوا وكان مصيرهم الهلاك والشقاء والفناء.

كيف لا نطهر حاجتنا لمن له السيادة الحقيقية مُلكًا وتدبيرًا خضوعًا وانكسارًا.

❃ ثالثا: أن نلتمس الشرف والسؤدد من السيد (جَلَّ جَلَالُهُ):

فإن ما عند الله لا يُنال ولا يتنعم به صاحبه إلا إذا طلبه بطاعة الله، فالسؤدد والشرف والكرامة إنما تُنال بالتقوى والاستقامة، فأهل الاستقامة هم أهل الشرف والعز والسؤدد والكرامة، وقد نهى النبي ﷺ عن تسمية المنافق بالسيد، فقال: «**لا تقولوا للمنافق: سيدٌ، فإن يكُ سيدًا فقد أسخطتم ربكم**»[(١)].

❃ رابعًا: أن نُذعِن له بالطاعة المطلقة:

فإذا كان الله تبارك وتعالى هو السيد على الإطلاق، له التصرف التام في الكون، فينبغي أن يكون هو المعبود وحده على الإطلاق، فيُطاع ولا يُعصى، ويُشكر ولا يُكفر به، ويُذكر ولا يُنسى.

وتأمل:

كيف صوَّر دينُنا العبودية للمخلوق – حال السيد مع العبد ـ؟

---

(١) صحيح سنن أبي داود.

قال ﷺ: «**أيما عبدٍ (رقيق) أبَقَ (هرب) فقد برِئت منه الذمة**»(١)،

وقال ﷺ: «**إذا أبق العبد لم تُقبل له صلاة**»(٢)،

وقال ﷺ: «**أيما عبدٍ أبق من مواليه، فقد كفر حتى يرجع إليه**»(٣)،

وهو كفر دون كفر يدل على عظم الذنب، فإذا كان هذا حال المخلوق إذا هرب من طاعة الله، فكيف إذا هرب العبد المخلوق من طاعة السيد الخالق جل جلاله؟

فكما أن السَّيِّدَ (جل جلاله) هو المتصرف في الكون لا شريك له، فكذلك ينبغي أن تُصرف له وحده الطاعة والذل والخضوع، لا شريك له.

❋ خامسًا: دين «السيد» يجب أن يسود:

دينٌ قائمٌ على الحق والعدل والمساواة، دينٌ شرائعه ربانية، كاملة شاملة عامة مثالية، واقعية، دينٌ قام على الوسطية والاعتدال واليسر والرحمة، ومصالح العباد في العاجل والآجل، دينٌ جاء بأتمِّ نظامٍ أخلاقي، وأتم نظام اجتماعي، وأتم نظام اقتصادي، يجب أن يسود(٤).

دينٌ يجب أن يُدعى إليه بالليل والنهار، إلى أن يهيئ الله للأمة أمر رشد، يُعزُّ فيه هذا الدين ويسود.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]؛

أي: لا يكون الحكم والسؤدد إلا لله، ومقصورًا عليه، وما على البشر إلا الخضوع والانصياع لهذا الدين في عقائده وعباداته وأخلاقه ونُظمه بسائر أشكالها وألوانها.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) راجع هذه العناوين في «الإسلام المنشود» سعيد السواح، «دين يجب أن يسود» له.

❁ سادسًا: أن يأخذ العبد بأسباب السيادة الشرعية:

١- العلم.

٢- الحلم.

٣- الأخلاق الفاضلة.

● **قال الله تعالى:** ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة:١١].

● وفي الحديث: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع آخرين**»[١].

رأى رجلٌ الحسن البصري والناس حوله، فقال: من هذا؟

فقيل له: مولىً ساد.

قال: بمَ ساد؟

فقيل: احتاج الناس إلى علمه، ولم يحتج إلى دنياهم[٢].

قال معاوية لعرابة بن أوس: «بم سُدَّتَ قومك يا عرابة؟

قال: يا أمير المؤمنين: «كنتُ أحلم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم، فمن فعل فِعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني، ومن قصَّر عني فأنا خيرٌ منه»[٣].

سئل خالد بن صفوان عن الأحنف: بم ساد قومه؟

قال: «بفضل سلطانه على نفسه»[٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه أبونعيم في الحلية، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم.

(٣) إحياء علوم الدين.

(٤) المنتقى من بطون الكتب محمد ابراهيم الحمد.

وقيل للأحنف: بم سُدَّتَ قومك - والقائل إنما أراد عيبه -؟ فقال الأحنف: «بتركي مِن أمرِك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك»[(١)].

وسئل أحدهم: بم سُدَّتَ قومك؟

قال: لم أخاصم أحدًا إلا تركت للصلح موضعًا.

وقال أحد كبار النفوس: «ما شاتمت رجلًا مُذْ كنت رجلًا؛ لأني لم أشاتم إلا أحد رجلين: إما كريم، فأنا أحق أن أُجلَّه، وإما لئيم، فأنا أولى أن أرفع نفسي عنه، وحسب المرء أن يكف أذاه عن غيره، فمن رزقه الله مالًا فبذل معروفه وكف أذاه، فذلك السيد»[(٢)].

❊ سابعًا: أن ندعوه سبحانه باسمه «السَّيِّد»:

كأن يقول العبد:

اللهم إني أسألك باسمك «السَّيِّد» أن تأذن لشرعك أن يسود.

اللهم إني أسألك باسمك «السيد» أن تُمكِّن لي في الأرض، وأن تُعلي شأني في العالمين ويوم الدين.

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) أقوال صنعت كبارا علي الطاهر عبدالسلام.

(٩٢) الطيب جل جلاله

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين»، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»[1].

معنى الاسم في حق الله:

(الطيب) جل جلاله: هو المنزه عن النقائص، المقدّس عن العيوب والآفات.

(الطيب) جل جلاله: هو الذي أسماؤه أطيب الأسماء وصفاته أطيب الصفات وأفعاله أطيب الأفعال، فلا يصدر عنه إلا طيب، ولا يقبل إلا الطيب ولا يصعد إليه إلا الطيب.

(الطيب) جل جلاله: هو الذي أحكامه أطيب الأحكام.

فهو طيب في أحكامه الكونية القدرية، فكل ما يقضيه على العباد منزهٌ عن الشر والسوء، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩].

وكما قال ﷺ: «والشر ليس إليك»[2].

وهو طيب في أحكامه الشرعية؛ فكل أحكامه التي شرعها متضمنةٌ لمصلحة العباد في معاشهم ومعادهم.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

وهو طيب في أحكامه الجزائية؛ لأنه سبحانه يحكم بعدله وقسطه وفضله في الدنيا والآخرة.

(**الطيب**) ﷻ: هو الذي أحل لنا الطيبات وأباحها وحرّم غيرها.

(**الطيب**) ﷻ: هو الذي جعل الطيبين للطيبات والطيبات للطيبين والعكس.

(**الطيب**) ﷻ: هو الذي اجتبى إليه أطيب مخلوقاته وهم رسله وأولياؤه.

(**الطيب**) ﷻ: هو الذي طيّب الدنيا للموحدين فأدركوا الغاية منها، وعلموا أنها وسيلة إلى الآخرة سينتقلون عنها، وطيَّب الجنة لهم بالخلود فيها فشمروا إليها سواعدهم، ضحوا من أجلها بأموالهم وأنفسهم رغبة في القرب من الله(١).

➢ كيف نعبد الله تعالى باسمه (الطيب):

✵ أولًا: من عرف الله (الطيّب) حرص أن تكون نفسه طيبة وقلبه طيبًا:

القلب الطيب: هو القلب التقي النقي الذي لا بغي فيه ولا حسد، فقد قيل للنبي ﷺ وسلك يومًا: أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد»(٢).

القلب الطيب: هو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا صاحبه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

سليمٌ من الشرك والرياء، سليم من الظلم سليم من الإصرار على المعاصي، سليم من الأحقاد والأغلال، فارغ من الشحناء والبغضاء.

---

(١) حلية الأولياء: أبو نعيم.

(٢) صحيح ابن ماجه.

القلب الطيب: هو القلب الأبيض المليء بالخير، الذي لا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض.

القلب الطيب: هو القلب الذي تطيب الجوارح لطيبه، وتصلح الأحوال لصلاحه كما قال ﷺ: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»(١).

❁ ثانيًا: من عرف الله (الطيب) حَرَص أن تكون أعماله طيبة، وأقواله طيبة وأحواله طيبة:

وهذا أثر من آثار القلب، «إذا صلحت صلح الجسد كله».

فليحرص المؤمن أن تكون أقواله طيبة وأعماله طيبة وأحواله طيبة، فالله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

وقال تعالى ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [ابراهيم: ٢٤-٢٦].

فالكلمة الطيبة: هي التي تأمر فيها بالخير، وتدعو فيها إلى البر، هي التي تتحبب بها إلى الناس، هي التي تصلح بها بين اثنين، هي التي تقربك من الله والجنة.

قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

❁ ثالثًا: من عرف الله (الطيب) حَرَص أن لا يُدخل بطنه أو بيته إلا طيبًا:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة:].

---

(١) متفق عليه.

وأُتبع الأمر بالحلال بالنهي عن اتباع خطوات الشيطان؛ لأن الشيطان أحرص ما يكون على أن تُقذف اللقمة الحرام في بطن الإنسان، فهذا يسهِّل عليه أن يذهب به حيث يشاء.

ولهذا رُوي عن بعض أهل العلم أن الشيطان يقول: خصلة من ابن آدم أريدها ثم أخلي بينه وبين ما يريد من العبادة، أجعل كسبه من غير حل، إن تزوج تزوج من حرام وإن أفطر، أفطر على حرام، وإن حج حج من حرام[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة:١٧٢].

فقليل من حلال يشكره العبد، يأتيه من الله المزيد خير من كثير من حرام أو مشتبهٍ فيه تُنتزع بسببه البركة ويَحل به سخط الله.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون:٥١].

فتأمل كيف أمر الله تعالى أصفياءه ورسله وأولياءه بأكل الطيبات، قبل أمرهم بعمل الصالحات؛ لأن الذي يتغذى جسمُه بالحرام لا يكون فيه قوة ولا قدرة على العمل الصالح؛ لأن الحرام يُضعف البدن كما أن الحلال يقويه.

وقال ﷺ: «لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الله بيمينه فيربيها له كما يربي أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم»[2].

الفَلُوّ: المهر الصغير.

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان: عبد العزيز السلمان.

(٢) متفق عليه.

قال أبو عبد الله الباجي: «خمس خصال بها تمام العمل: الإيمان بالله، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة وأكل الحلال، فإذا فقدت واحدة لم يرتفع العمل، وذلك:

إذا عرفت الله ولم تعرف الحق لم تنتفع وإذا عرفت الحق ولم تعرف الله لم تنتفع، وإذا عرفت الله وعرفت الحق ولم تخلص لم تنتفع، وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل ولم يكن على السنة لم تنتفع، وإن تمت الأربعة ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع»(١).

وقال يوسف بن أسباط: «إن الشاب إذا تعبد، قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإذا كان مطعم سوء، قال: دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه»(٢).

وقال سفيان الثوري: من أنفق الحرام في الطاعة كمن طهَّر الثوب بالبول، الثوب لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال»(٣).

وقال وهيب بن الورد: «لو قمت مقام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام»(٤).

وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أرُد درهمًا من شبهة أحبُّ إليّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف ومائة ألف»(٥).

---

(١) جامع العلوم والحكم.

(٢) شعب الإيمان / البيهقي.

(٣) الكبائر: الذهبي.

(٤) الكبائر للذهبي.

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر لأبن حجر الهيثمي، والكبائر للذهبي وصفة الصفوة لأبن الجوزي.

والحرام صوره كثيرة أشهرها ما يلي:

١-أكل الربا بجميع صوره وأشكاله.

٢-أكل مال اليتيم.

٣-السرقة.

٤-الغصب -الاستيلاء على حق الغير ظلمًا.

٥-الرشوة.

٦-التدليس.

٧-الغش.

٨-التسول - لغير ضرورة.

٩-الاتجار في المحرمات.

١٠- تفريط الموظف في عمله المنوط به.

١١- أكل حقوق البنات في الميراث[١].

● **وثمة سؤال هام:**

ماذا يفعل من اقترف من هذا المال الحرام، وأراد أن يتوب إلى الله؟

الجواب: من أخذ مالًا بغير حق، فإن عليه أن يرده إلى أصحابه، بأي حيلةٍ كانت، ولا يلزمه أن يخبر صاحب المال المسروق بأنه هو السارق

وهل يتصدق به إن لم يعرف أصحابه أو لم يستطع أن يصل إليهم؟

اختلف العلماء في ذلك كثيرًا بين مجيز ومانع، بناءً على أن الله لا يقبل إلا طيبًا.

والصحيح إن شاء الله - الصدقة به عن مالكه - صاحبه - ليكون نفعه له في

(١) انظر تفصيل ذلك في: سلوكيات مرفوضة، للمؤلف.

الآخرة حيث تعذر عليه الانتفاع به في الدنيا[١].

❊ رابعًا: من عرف الله (الطيب) حرص أن يدعو الله تعالى دائمًا أن يجعل رزقه طيبًا وحياته طيبة:

كان النبي ﷺ يدعو ويقول: «اللهم إني أسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيبًا وعملا متقبلًا»[٢].

وكان يقول: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك»[٣].

ونحن نقول في صلواتنا: «التحيات لله والصلوات والطيبات...»[٤].

الطيبون:

أقوالهم طيبة.

أعمالهم طيبة.

تصرفاتهم طيبة.

أصحابهم طيبون.

مناكحهم طيبة.

ملابسهم طيبة.

مطاعمهم طيبة.

مشاربهم طيبة.

مداخلهم طيبة.

مخارجهم طيبة.

حياتهم طيبة.

---

(١) انظر بسط ذلك في جامع العلوم والحكم.

(٢) صحيح ابن ماجه.

(٣) رواه أحمد والترمذي والحاكم وحسنه الألباني.

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي وسنده صحيح.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

فخاتمتهم طيبة:

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢].

والملائكة تقول للواحد منهم عند الموت: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب...»[١].

وآخرتهم طيبة:

تتلقاهم الملائكة في الآخرة قائلين: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣].

---

(١) صحيح ابن ماجه.

(٩٣) الْـحَـكَــــــــمُ جَلَّ جَلَالُهُ

عن شُريح عن أبيه هانئ بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه وَفَدَ إلى رسول الله ﷺ مع قومِهِ، فسمِعَهُمْ يُكَنُّونَهُ بأبي الحكم، فدعاه رسولُ الله ﷺ فقال: «**إنَّ الله هو الحكَمُ وإليه الحُكْمُ فلِمَ تُكْنَى أبا الحَكَم؟**»

فقال: إنَّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمتُ بينهم، فرَضِيَ كلا الفريقَيْنِ بحكمي، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أحسَنَ هذا فما لكَ من الولْد؟**»

قال: لي شُرَيح، ومسلم وعبد الله، قال: «**فمن أكبرُهم؟**» قال: قال: شريح، قال: «**فأنت أبو شريح**»ودعا له ولولده(١).

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(**الْـحَـكَــــــمُ**) جَلَّ جَلَالُهُ: «الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يُحمِّل أحدًا وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدعُ صاحب حقٍّ إلا وصل إليه حقه»(٢).

(**الْـحَـكَــــــمُ**) جَلَّ جَلَالُهُ: «الذي إليه الحُكم في كل شيء، فيحكم تعالى بشرعه، ويبين لعباده جميع الطرق التي يُحكم بها بين المتخاصمين، ويُفصل بين المتنازعين، من الطرق العادلة الحكيمة، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويحكم فيهم بأحكام القضاء والقدر، فيُجري عليهم منها ما تقتضيه حكمته، ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها، ويقضي بينهم يوم الجزاء والحساب، فيقضي بينهم بالحق، ويحمده الخلائق على حكمه، حتى من قضى عليهم بالعذاب

---

(١) رواه أبوداود والنسائي والبخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني.

(٢) توضيح الكافية الشافية للسعدي.

يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مثقال ذرة»[١].

- **الْـحَـكَـــــــمُ** جل جلاله: الذي يحكم في خلقه مايشاء، من تحليل ما أراد تحليله، وتحريم ما أراد تحريمه، وإيجاب ما شاء إيجابه، وغير ذلك من أحكامه وقضاياه، وله الحكمة البالغة في ذلك كله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾ [المائدة:١].

وليس لأحدٍ كائنًا من كان أن يراجع الله في حكمه كما يراجع الناس بعضهم البعض في أحكامهم ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد:٤١].

فحكمه سبحانه في الخلق نافذٌ، ليس لأحدٍ أن يردّه أو يبطله.

هل يُطلق اسم الْـحَـكَـــــــم على غير الله؟

أفاد حديث شُريح المتقدم أن اسم الله «الْـحَـكَـــــــم» مختص بالله سبحانه، لا يُسمّى أو يوصف به غيره سبحانه.

- **قال الإمام الطيبي**: «اسم الْـحَـكَـــــــم مختصٌ بالله سبحانه، لا يوصف به غيره، وهو سبحانه الذي إذا حكم لا يُردُّ حكمه، وهذا لا يليق بغيره».

- **وقال القرطبي**: «لا يستحق التسمية بحكم إلا من يحكم بالحق....»[٢].

ولا يحكم بالحق إلا الله تعالى.

- **قال ابن الأثير**: «وإنما كُرِه له ذلك لئلا يشارك الله في صفته»[٣].

➢ **كيف نعبد الله باسمه الحكم؟**

❋ **أولًا: أن نتحاكم إليه جل جلاله في منازعاتنا وخصوماتنا، واختلافنا:**

ومعنى تحاكمنا إليه، أي إلى شرعه ودينه، المتمثل في كتابه وسنة رسوله ﷺ،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير القرطبي.

(٣) لسان العرب.

فذلك مقتضى توحيده والإيمان به.

• **قال تعالى:** ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩].

• **وقال تعالى:** ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [الشورى:١٠].

• ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف:٤٠].

• ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾ [القصص:٧٠].

• ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨﴾ [القصص:٨٨].

• ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢﴾ [غافر:١٢].

• ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾ [التين:٨].

○ **وكان النبي ﷺ يقول إذا قام في صلاة الليل: «اللَّهمَّ لَكَ الحمدُ أنتَ ربُّ السَّمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولَكَ الحمدُ أنتَ قيُّومُ السَّمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولَكَ الحمدُ أنتَ نور السَّمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، أنتَ الحقُّ، وقولُكَ الحقُّ، ووعدك حقٌّ، والجنَّةُ حقٌّ، والنَّارُ حقٌّ، والنَّبيُّونَ حقٌّ، ومحمَّدٌ حقٌّ، اللَّهمَّ لَكَ أسلمتُ، وبِكَ آمنتُ، وعليْكَ توَكَّلتُ، وإليْكَ أَنبتُ، وبِكَ خاصَمتُ، وإليْكَ حاكمتُ، فاغفِر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلَنتُ، أنتَ إلَهي لاَ إلَهَ إلَّا أنتَ»**[1].

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم.

● **قال ابن منظور:** «وإليك حاكمت»: أي رفعت الحكم إليك ولا حكم إلا لك»(١).

❁ لماذا؟

لأن ما شرعه الله سبحانه لعباده من الأحكام والمعاملات والقصاص والحدود والمواريث وقسمتها، وما يتعلق بالأحوال الشخصية وغيرها، هي غاية الحكمة والرشد والعدل والخير للعباد في العاجل والآجل؛ لأنها تشريع الحكيم العليم (ﷻ) الذي لا يدخل حكمه خللٌ ولا زلل، ولأنها قضاء من لا يخفى عليه مواضع المصلحة في البدء والعاقبة، في الأولى والآخرة.

❁ ثانيًا: أن نرضى بحكمه سبحانه وألا يكن في نفوسنا حرجٌ منه:

كيف لا نرضى ونحن نوقن بأن الله هو «الْعَلِيمُ» يعلم ما يصلح عبده، وما يضره، والعبد جاهلٌ لا يرى إلا تحت قدميه؟!

كيف لا نرضى، وقد قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

كيف لا نرضى، وقد قال ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا**»(٢).

والحكم الذي أمرنا الله تعالى أن نرضى به ثلاثة أنواع:

١- الحكم القدري:

فمن لوازم الإيمان بالله، أن ترضى بأقدار المؤلمة، ترضى بكل نعمة و مصيبة، ترضى بكل منع وعطاء، ترضى بكل شدة ورخاء، ترضى إذا عافاك وإذا ابتلاك،

---

(١) لسان العرب.

(٢) رواه مسلم.

ترضى إذا أغناك وحباك وإذا أعدمك أو أفقرك، ترضى بصورتك وصوتك ووضعك ومستواك ودخلك وبلدك وبيتك.

إن الذي يرضى بأقدار الله يملأ الله قلبه رضًا وسعادةً وهناء، والذي يتسخط ويلبس ثياب المعترض، يعيش في كدرٍ ونكدٍ وعناء.

▼ **قال تعالى:** ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [: القمر٤٩].

○ **وقال ﷺ:** «**وارضَ بما قسم الله لك، تكن أغنى الناس**»[١].

❐ **وعن الوليد بن عبادة بن الصامت رضي الله عنهما قال:** دخلت على أبي وهو مريضٌ أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني، واجتهد لي، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني، إنك لن تطعم طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره.

قلت: يا أبتاه، فكيف لي أن أعلم ما خير القدر، وما شره؟

قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

يا بني، إني سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله، القلم، ثم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**»

يا بني إن متَّ ولستَ على ذلك، دخلت النار[٢].

٢- الحكم الشرعي:

بأن يرضى المؤمن بأوامر الله امتثالًا، وبنواهيه اجتنابًا، وبمحابه فعلًا، وبمكارهه تركًا، ولو خالف ذلك الهوى، ولو كان أكثر الناس على خلافه.

---

(١) صحيح سنن الترمذي.

(٢) صحيح سنن الترمذي.

قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

٣- الحكم الجزائي الأُخروي:

وهو حكم الله تعالى بين عباده يوم القيامة، بمجازاتهم على أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وحكمه سبحانه بين المختلفين والمتخاصمين، وردّ الحقوق إلى أهلها بالحسنات والسيئات.

«وهذا النوع من الحكم من مقتضيات اسمه سبحانه «الْحَكَمُ» والإيمان بهذا يثمر في قلب العبد الخوف من الله في هذه الدنيا، والالتزام بشريعته والقيام بما يرضيه والابتعاد عن مساخطه، حتى إذا جاء يوم الحُكم والجزاء، يكون من الفائزين المصلحين كما يثمر أيضًا البعد عن مظالم العباد، وعدم الاعتداء على حقوقهم، لأن وراء ذلك اليوم الفصل والقضاء، حيث يحكم الله فيه بحكمه، ولا يُظلم عنده أحد، قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾ [النمل:٧٨]، وقال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧][1].

أن نرضى بهذه الأحكام الثلاثة ونسلِّمَ بها.

✵ ثالثا: أن نعمل بحكمه سبحانه، ونسلم له تسليمًا كليًّا تامًّا بلا مدافعة ولا منازعة ولا ممانعة:

قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور٥١،٥٢].

---

(١) ولله الأسماء الحسنى عبدالعزيز ناصر الجليل.

• **وقال سبحانه:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢٤].

فالفرص لا تتكرر، إذا أتتك أوامر الله، أو أوامر رسوله ﷺ، فسارع ممتثلًا، وإذا بلغك ما نهى الله عنه، فسارع منتهيًا؛ لأن اليوم حياةٌ وغدًا موت، اليوم تقدر وغدًا لا تقدر.

ليس في كل حينٍ وأوان ... تتهيأ صنائع الإحسان.
فإذا أمكنت فبادر إليها ... حذرًا من تعذُّر الإمكان.

وفي هذه الثلاثة – التحاكم إلى الله– والرضا بالحكم، والتسليم له عملًا، يقول سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء٦٥].

⇐ أن تحكم شرع الله في جميع حياتك.

⇐ ألا يكون في نفسك حرجٌ منه.

⇐ أن تنقاد للحكم.

❋ خامسًا: إذا حكمنا بين الناس، أن نحكمَ بينهم بالعدل:

بل أن نجعل العدل شعارًا لنا في حياتنا.

والعدل: هو الحكم بما أنزل الله.

• **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ ﴾ [الأنعام:١٥٢].

• **وقال تعالى:** ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ [الأنعام:١٥٢].

● **وقال سبحانه**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾ [المائدة:٨].

● **وقال تعالى**: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ... ﴾ [النحل:٩٠].

○ **وفي الحديث**: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»(١).

● **وقال عزّ من قائل**: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾ [المائدة:٤٩].

وقال أيضًا: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾ [البقرة:٢١٣].

● **وقال تعالى**: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ [النساء:٥٨].

فليتقِ اللهَ القضاةُ في حكمهم، وليعلموا خطورة ما هم فيه، فإنما تُستباح الأموال والأعراض والدماء بحكمهم، فقد قال ﷺ: «**من وُلِّيَ القضاء فقد ذُبح بغير سكين**»(٢).

○ **وقال ﷺ**: «**القضاة ثلاثةٌ قاضيانِ في النارِ وقاضٍ في الجنةِ فأما الذي في الجنةِ فرجلٌ عرفَ الحقّ فقضَى بهِ فهو فِي الجنةِ ورجلٌ عرفَ الحقَ فلم يقضِ به وجارَ في الحُكمِ فهو في النارِ ورجل لم يَعرفِ الحق فقضَى للناسِ على جهلٍ فهو للنارِ**»(٣).

وقد وصف الله تعالى من لم يحكم بما أنزل الله، أو يتحاكم إلى غير ما أنزل

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح سنن الترمذي.

(٣) صحيح سنن أبي داود.

الله بأوصاف كثيرة، منها:

١- وصفهم الله تعالى بالكفر، والظلم، والفسق:

- **فقال تعالى:** ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤].

- **وقال تعالى:** ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة:٤٥].

- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة:٤٧].

قال العلامة ابن عثيمين (عليه رحمة الله):

ومن لم يحكم بما أنزل الله فلا يخرج عن أربعة أمور:

١- **من قال:** أنا أحكم بهذا؛ لأنه أفضل من الشريعة الإسلامية، فهو كافرٌ كفرًا أكبر.

٢- **ومن قال:** أنا أحكم بهذا؛ لأنه مثل الشريعة، فالحكم بهذا جائزٌ، وبالشريعة جائزٌ، فهذا كافرٌ كفرًا أكبر.

٣- **ومن قال:** أنا أحكم بهذا، والحكم بالشريعة أفضل، لكن الحكم بغير ما أنزل الله جائز، فهذا كفرٌ أكبر.

٤- **ومن قال:** أنا أحكم بهذا، وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله لا يجوز، ويقول: الحكم بالشريعة أفضل، ولكنه متساهلٌ، أو يفعل هذا لأمرٍ صادرٍ من أحكامه، فهو كافرٌ كفرًا أصغر، لايُخرج من الملة، ويعتبر من أكبر الكبائر(١).

○ **وقال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من لم يحكم بما أنزل الله استخفافًا به، أو

---

(١) الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير.

احتقارًا له، أو اعتقادًا أن غيره أصلح، وأنفع للخلق، فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الملة، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجًا يسير الناس عليه، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فَضْلَ ما عَدَلَ إليه، ونَقَصَ ما عدلَ عنه.......»(١).

٢- وصفهم الله بعدم الإيمان:

● **قال تعالى:** ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المائدة:٤٣].

● **وقال سبحانه:** ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور:٤٧].

٣- وصفهم بالتحاكم إلى الطاغوت:

● **قال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء:٦٠].

○ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ أَبُو بُرْدَةَ الأَسْلَمِيُّ كَاهِنًا يَقْضِي بَيْنَ الْيَهُودِ فِيمَا يَتَنَافَرُونَ فِيهِ، فَتَنَافَرَ إِلَيْهِ أُنَاسٌ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [سورة النساء آية:٦٠] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [سورة النساء آية: ٦٢] »(٢).

---

(١) المجموع الثمين.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره وانظر الصحيح المسند من أسباب النزول.

٤- وصفهم باتباع الهوى:

• **كما قال تعالى:** ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص:٢٦].

٥- وصفهم باتباع حكم الجاهلية:

• **قال تعالى:** ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة:٥٠].

وحكم الجاهلية: كل حكم ليس مستمدًا من كتاب الله وسنة رسوله، ويدخل في ذلك القوانين الوضعية والمصطلحات العرفية التى استغنى بها بعض من يدَّعي الإسلام اليوم عن كتاب الله وسنة رسوله.

والمعنى: لا أحسن من حكم الله لمن آمن وعمل به.

٦- وصفهم الله بالنفاق:

• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١﴾ [النساء:٦١].

٧- وصفهم الله بمرض قلوبهم وشكهم وارتيابهم وسوء ظنهم بربهم:

• **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠﴾ [النور:٤٨،٤٩،٥٠].

٨- وصفهم الله بالشرك:

• **قال تعالى:** ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى:٢١].

• **وقال تعالى:** ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

والفتن: الشرك.

٩- وصفهم بتقليد المشركين:

• **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة:١٧٠].

۞ خامسًا: أن ندعوَ الله باسمه «الْـحَـكَــــــــمُ»:

○ كما جاء عن عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ المُؤْمِنِينَ، بأَيِّ شيءٍ كانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قالَتْ: كانَ إذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وإسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بيْنَ عِبَادِكَ فِيما كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِما اخْتُلِفَ فيه مِنَ الحَقِّ بإذْنِكَ، إنَّكَ تَهْدِي مَن تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[1].

○ **وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «- ما أصاب أحدًا قطُّ همٌّ ولا حَزَنٌ فقال اللهمَّ إني عبدُك ابنُ عبدِك ابنُ أَمَتِك ناصيتي بيدِك ماضٍ فيَّ حُكمُك عَدْلٌ فيَّ قضاؤُك أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك أوْ علَّمْتَه أحدًا مِنْ خلقِك أو أنزلته في كتابِك أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك أنْ تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي ونورَ صدري وجلاءَ حُزني وذهابَ هَمِّي إلا أذهب اللهُ همَّه وحُزْنَه وأبدله مكانه فَرَجًا قال: فقيل: يا رسولَ اللهِ، ألا نتعلمُها فقال: «بلى ينبغي لِمَنْ سمِعها أنْ يتعلمَها»[2].**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة.

(٩٤) الْـــــبَرّ جَلَّ جَلَالُهُ

وصف الله تعالى – في سورة الطور– بعض نعيم أهل الجنة، فقال سبحانه: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ [الطور: ٢٠:٢٨].

فأهل الجنة أثناء تقلبهم في ملذاتها وتنعمهم بنعيمها، تذكَّروا بعض ما كانوا عليه في الدنيا، فذكروا أنهم كانوا يخافون من الذنوب التي تُلحق بهم العار والعيوب، وكانوا يدعون ربهم أن يقيَهم سخطه وينجيهم من عذابه، وأنه تعالى استجاب دعاءهم وأعطاهم سؤلهم، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الْـــــبَرُّ الذي يجيب الدعاء، ويفيض على عباده بالنعم والآلاء، ويقيهم الشرور والبلاء.

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

الْـــــبَرُّ (جَلَّ جَلَالُهُ): هو الذي يَبَرُّ عباده الصالحين بإجابة دعواتهم إذا كانت فيها المصلحة لهم، وهذا المعنى هو الذي عناه أهل الجنة، وهم يتنعمون فيها حين قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ [الطور].

الْـــــبَرُّ (جَلَّ جَلَالُهُ): هو الذي يَبَرُّ عباده الصالحين بتقَبُّل عبادتهم وإثابتهم عليها، فحجٌّ مبرورٌ، أي: مقبول.

○ **فقد جاء في الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنةً يُعطى**

بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة»[١].

الْــبَرُّ (جل جلاله): هو الذي يعامل عبده بالإحسان لا بالميزان، وبالفضل لا بالعدل.

قال ابن الجوزي: «كان بعض الأغنياء كثير الشكر، فطال عليه الأمد، فبطر وعصى، فما زالت نعمته، ولا تغيَّرت حالته، فقال: يارب، تبدَّلت طاعتي، وما تغيَّرت نعمتي!!

قال: فهتف بي هاتفٌ: «**ياهذا، لِأيام الوِصال عندنا حُرمة حفظناها وضيّعتَها**»[٢].

• **قال الإمام الخطابي**: «وهو الْــبَرُّ بالمحسن في مضاعفته الثواب له، و الْــبَرُّ بالمسيء في الصفح والتجاوز عنه.......»[٣].

• **وقال الحُليمي**: «الْــبَرُّ: الرفيق بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، ويعفو عن كثير من سيئاتهم ولا يؤاخذهم بجميع جناياتهم، ويجزيهم بالحسنة عشر أمثالها، ولا يجزيهم بالسيئة إلا مثلها، ويكتب لهم الهمّ بالحسنة، ولا يكتب عليهم الهمّ بالسيئة....»[٤].

الْــبَرُّ (جل جلاله): هو الذي توالت نعمه وكثُر عطاؤه، وعظُم خيره وإحسانه، وعمَّ جميعُ أهل الأرض والسماوات، في كل اللحظات، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠].

• **قال الإمام الخطابي**: «الْــبَرُّ هو العطوف على عباده، المحسن إليهم، عمَّ ببرِّه جميع خلقه، فلم يبخل عنهم برزقه»[٥].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) المدهش.

(٣) شأن الدعاء.

(٤) المنهاج في شعب الإيمان.

(٥) شأن الدعاء.

• **قال الإمام البقاعي**: الْبَرُّ: «الواسع الجود، الذي عطاؤه حكمة، ومنعه رحمة؛ لأنه لا ينقصه إعطاء ولا يزيده منع، فهو يبرُّ عبده المؤمن بما يوافق نفسه، فربما برّه بالنعمة وربما برّه بالبؤس، فهو يختار له من الأحوال ما هو خيرٌ له؛ ليوسع له في العقبى، فعلى المؤمن ألا يتهم ربه في شيءٍ من قضائه.....»(١).

• **وقال الإمام القرطبي**: «الْبَرُّ ﷻ: هو الذي عمّ ببره خلقه كلهم في الدنيا، واختص المؤمنين ببرٍّ مخصوصٍ في الآخرة....»(٢).

الْبَرُّ (ﷻ): «الصادق فيما وعد»(٣).

• **قال تعالى**: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يونس:٥٥،٥٦].

• **وقال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [الرعد:٣١].

• **وقال تعالى عن أهل الجنة**: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر:٧٤].

○ **وفي الصحيح قال ﷺ: «ما يخلف الله وعده ولا رسله»(٤).**

➢ **كيف نعبد الله تعالى باسمه «الْبَرُّ»؟**

✵ أولًا: أن نوقن فيما عند الْبَرِّ سبحانه من الثواب والأجر:

فإذا كان الْبَرُّ (ﷻ) هو الصادق في وعده، فإن ذلك يورث العبد اليقين فيما وعَدَ الله به، وإن ذلك اليقين يدفع دفعًا إلى النشاط والعمل.

---

(١) نظم الدرر.

(٢) الكتاب الأسنى.

(٣) تفسير القرطبي عن ابن عباس، وتفسير البغوي عن الضحاك.

(٤) رواه مسلم.

فإن مَنْ أيقن أن من قال: «سبحان الله وبحمده، غُرست له بها نخلةٌ في الجنة»، ما ضيَّع الساعات وتفنَّن في قتل الأوقات!!

- وهل أيقن أنه «ما نقص مالٌ من صدقة» مَنْ بخل بماله وشحّ به؟!

- وهل أيقن أن «من صلّى الفجر فهو ذمة الله» مَن ينام مِلءَ عينيه، ولا يقوم إلا إذا لسعته حرارة الشمس؟!

- وهل أيقن أن الله تعالى يتنزل كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر؛ ليغفر لعباده ويجيب دعاءهم، مَنْ لم ينوِ القيام قبل المنام ويضيِّع الليالي والأيام؟!

- وهل أيقن أن «من ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه» مَنْ اتّبع هواه، ولم يعبأ بما حرّم الله؟!

• **فمن آثار الإيمان بهذا الاسم:** أن المحسن لا يخاف لديه سبحانه ظلمًا ولا هضمًا، ولا يخاف بخسًا ولا رهقًا، أو أن يضيع له مثقال ذرة؛ لأن الله ﷻ -وهو الصادق- وعد بتوفية العاملين أجورهم وإن كان مثقال ذرة، بل يضاعف لمن يشاء ويؤتي من لدنه أجرًا عظيمًا، وأما المسيء، فيجازيه سيئةً بمثلها، ويحطها عنه بالتوبة والندم والاستغفار، والحسنات والمصائب والابتلاءات، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾ [الأحقاف:١٦]»[(١)].

❋ ثانيًا: أن يكون العبد برًّا متصفًا بالبرِّ:

والبِرُّ الذي أمرنا الله تعالى أن نتصف به هو اسمٌ جامعٌ لأنواع الطاعات والأعمال المقرِّبات»[(٢)].

(١) فقه الأسماء الحسنى عبدالرازق البدر.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح علي القاري.

وقيل: «البر إذا أُطلق، تناول جميع ما أمر الله به»[١].

وقيل: «البر هو الصلة وإسداء المعروف، والمبالغة في الإحسان»[٢].

فقد جاء البِرُّ بمعنى: التقوى والطاعة والإيمان وفعل الخير:

* **قال تعالى**: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة:١٧٧].

- البِرُّ الذي هو الدين أو الإيمان أو الطاعة ليس صلاةً فقط، ولكن البرَّ له جوانب مختلفة متعددة، له جانبٌ عقدي، وجانبٌ تعبديّ، وجانبٌ سلوكيّ، ولا بدَّ من القيام به من سائر جوانبه.

➢ **تـــأمل:**

▿ **الجانب العقديّ**: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾.

▿ **الجانب التعبديّ**: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

▿ **الجانب السلوكيّ والأخلاقيّ**: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾.

---

(١) مجموع الفتاوى.

(٢) صيد الأفكار للقاضي المهدي.

➢ **ثم تـــــأمل:**

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾: من أخذ الدين جملةً، فهو البرُّ الصادقُ في إيمانه المتقي لربه.

○ وجاء في الأثر أن رجلًا جاء إلى أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَسَأَلَهُ عَنِ الإِيمَانِ، فَقَرَأَ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾، فَقَالَ الرَّجُلُ: ليس عَنِ الْبِرِّ سَأَلْتُكَ!

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَهُ عَنِ الَّذِي سَأَلْتَنِي عَنْهُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأْتُ عَلَيْكَ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي قُلْتَ لِي، فَلَمَّا أَبَى أَنْ يَرْضَى، قَالَ لَهُ: «ادْنُ»، فَدَنَا، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا عَمِلَ الْحَسَنَةَ سَرَّتْهُ، وَرَجَا ثَوَابَهَا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً سَاءَتْهُ، وَخَافَ عِقَابَهَا**»(١).

* **وقال الله تعالى:** ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢].

فالمؤمنون مأمورون بالتعاون على فعل الخيرات وترك المنكرات، ومنهيون عن التعاون على المآثم والمحرمات.

* **وقال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩﴾ [المجادلة:٩].

* **وقال تعالى:** ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ [البقرة:١٨٩].

فحقيقة البر: فعل ما به الله أمر، واجتناب ما عنه نهى الله وزجر.

---

(١) مجموع الفتاوى.

* وقال عزّ من قائل: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢].

* لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَخٍ بَخٍ، ذَلِكَ مال رابح، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ**»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ»(١).

فمن معاني البر: الامتثال والتقوى والأدب والصدقة والصلة.

○ وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا»(٢).

فالبر هنا: «جامع الخيرات من اكتساب الحسنات واجتناب السيئات، ويُطلق على العمل الخالص الدائم المستمر معه إلى الموت»(٣).

○ **وقال النبي ﷺ يومًا: «يا معشر التجار»**، فاستجابوا لرسول الله، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: إن التجار يُبعثون يوم القيامة فجارًا؛ إلا من اتقى الله، وبَرَّ وصدق»(٤).

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ قَالَ: سَمَّيْتُ ابْنَتِي بَرَّةَ فَقَالَتْ لِي زَيْنَبُ بِنْتُ

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) مرقاة المفاتيح علي القاري.

(٤) صحيح ابن ماجة.

أَبِي سَلَمَةَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ هَذَا الِاسْمِ، وَسُمِّيتُ بَرَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ**»فَقَالُوا: بِمَ نُسَمِّيهَا؟ قَالَ: «**سَمُّوهَا زَيْنَبَ**»(١).

▼ **قال سليمان بن عبد الملك:** يا أبا حازم، أيُّ عباد الله أكرم؟

قال: «أهل البر والتقوى»(٢).

▼ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ اللهُ: «إن أعمال البر تنهض بالعبد وتقوم به وتصعد إلى الله، فبحسب قوة تعلقه بها يكون صعوده مع صعودها»(٣).

وقد جاء البر، وأُريدَ به بر الوالدين والإحسان إليهما:

• **كما قال تعالى عن عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم:٣٢].

• **وكما قال تعالى عن يحيى** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم:١٤].

• **ولما سئل النبي** ﷺ: أي العمل أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: «**برُّ الوالدين**»، قيل: ثم أي؟

قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(٤).

فجعل النبي ﷺ بر الوالدين أفضل من الجهاد في سبيل الله؛ لأن الإنسان يعجز عن الإيفاء بحق والديه مهما أحسن إليهما.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي.

(٣) طريق الهجرتين.

(٤) متفق عليه.

○ **وقال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه**: «يأتي عليكم أويس بن عامر، مع أمداد أهل اليمن، مِن مُراد [مكان] ثم مِن قَرَن، كان به برصٌ فبَرَأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ، لو أقسم على الله لأبرَّه، فإن استطعت أن يستغفر لك، فافعل.....»(١).

○ **وعن ثوبانَ رضي الله عنه قال**: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزيد في العمر إلَّا البرُّ، ولا يردُّ القدر إلَّا الدُّعاء، وإنَّ الرَّجل ليُحْرَم الرِّزق بخطيئة يعملها**»(٢).

● **وقال ﷺ: «دخلتُ الجنة فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟**

قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر»(٣).

وفي رواية عندهم: «وكان أبرَّ الناس بأمه».

○ **وعن عَائِشَةَ قالت**: «كان رَجُلانِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَا أَبَرَّ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ بِأُمِّهِمَا»، فَيُقَالُ لَهَا: مَنْ هُمَا؟ فَتَقُولُ: «**عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَحَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ رضي الله عنهما، فَأَمَّا عُثْمَانُ فَإِنَّهُ قَالَ: مَا قَدَرْتُ أَنْ أَتَأَمَّلَ أُمِّي مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَأَمَّا حَارِثَةُ فَإِنَّهُ كَانَ يُفَلِّي رَأْسَ أُمِّهِ وَيُطْعِمُهَا بِيَدِهِ، وَلَمْ يَسْتَفْهِمْهَا كَلامًا قَطُّ تَأْمُرُ بِهِ حَتَّى يَسْأَلَ مَنْ عِنْدِهَا بَعْدَ أَنْ تَخْرُجَ: مَا قَالَتْ أُمِّي؟**»(٤).

وقد جاء البر بمعنى الصلة:

كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة:٨].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح ابن ماجه.

(٣) رواه أحمد والحاكم وابن حبان وصححه الألباني.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق.

﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾: أي تصلوا أرحامكم(١).

○ عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:

- أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً - أي سائلة-، وكانت مشركة-في عَهْدِ النبيِّ ﷺ، فَسَأَلْتُ (النبيَّ ﷺ): آصِلُهَا؟ قالَ: نَعَمْ.

قالَ ابنُ عُيَيْنَةَ: فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾»(٢).

❑ وقد جاء البر بمعنى حسن الخلق:

عن النوّاس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**البر حُسن الخُلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس**»(٣).

وحسن الخلق: كف الأذى وبذل المعروف، وأن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك.

• **قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ:** «حُسْنُ الْخُلُقِ يُذِيبُ الْخَطَايَا كَمَا تُذِيبُ الشَّمْسُ الْجَلِيدَ، وَالْخُلُقَ السَّيِّئَ يُفْسِدَ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ»(٤).

وعن أبي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَخْبِرْنِي مَا يَحِلُّ لِي وَمَا يَحْرُمُ عَلِيَّ، قَالَ: فَصَعَّدَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَصَرَ فِيَّ وَصَوَّبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ**»(٥).

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي.

(٢) رواه البخاري في باب صلة الوالد المشرك.

(٣) رواه مسلم.

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب.

(٥) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

ولا تسكن نفس المؤمن ولا يطمئن قلبه إلا بما كان طيبًا من القول والفعل والدين والخلق.

وكان ﷺ أبرَّ الناس:

• **لما أسلم عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه قال للرسول ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت عبد الله ورسوله، وأنت أبرُّ الناس، وأصدق الناس، وأوفى الناس، قال عكرمة: أقول ذلك وإني لمطأطئ رأسي استحياء منه»(١).**

وجاء جزاء البرِّ جزاءً عاطرًا يليق بالْبَرِّ جل جلاله:

قال عزّ من قائل: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٥-١٢].

وقال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ١٨-٢٨].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك.

❋ ثالثا: أن ندعوَ الله باسمه «الْـــــبَرُّ»:

كما علمنا الله تعالى حين قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران:١٩٣].

● وعن ابنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ إِذا اسْتَوَى عَلَى بعِيرِهِ خَارجًا إِلى سفَرٍ، كَبَّرَ ثَلاثًا، ثُمَّ قالَ: «**سُبْحانَ الَّذِي سخَّرَ لنَا هَذَا وَمَا كنَّا لَهُ مُقْرِنينَ، وَإِنَّا إِلى ربِّنَا لمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنَا هذا البرَّ والتَّقوى، ومِنَ العَمَلِ ما تَرْضى....**»(١).

● **وعن مسروق عن عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أنها قرأت هذه الآية:** ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٧، ٢٨]، فقالت: اللهمَّ مُنَّ علينا وقنا عذاب السموم، إنك أنت البرُّ الرحيم.

قيل للأعمش: في الصلاة؟

قال: نعم(٢).

❋ ❋ ❋

(١) رواه مسلم.

(٢) انظر تفسير ابن كثير.

(٩٥) الرءوف ﷻ

قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ﴾ [النور: ٢٠].

وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ٤٧﴾ [النحل: ٤٧].

وقال تعالى، عن المهاجرين في دعائهم: **(وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)** [الحشر: ١٠].

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

(الرءوف) ﷻ: كثير العطف على عباده المؤمنين بحفظ أسماعهم وأبصارهم وحركاتهم وسكناتهم، ففي الحديث القدسي: «**وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته**»(١).

مساءته: إساءته بما يكره.

(الرءوف) ﷻ: كثير العطف على عباده المذنبين، فيفتح لهم باب التوبة ما لم تغرغر النفس، أو تطلع الشمس من مغربها، كما في الحديث المرفوع: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**»(٢).

وعن أبي موسى مرفوعًا: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٣).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

وقال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(١).

أي ما لم تبلغ الروح الحلقوم.

(الرءوف) جل جلاله: هو الذي لا يكلف عباده ما لا يطيقون، ولا يأمرهم بما يشق عليهم، كما قال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨].

وقال عز من قائل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الفرق بين الرأفة، والرحمة، أو «الرءوف» و«الرحيم»:

قال ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾

إن الله بجميع عباده ذو رأفة، والرأفة أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة»(٢).

وقال الخطابي: «وقال بعضهم: الرأفة أبلغ من الرحمة، ويقال: إن الرأفة أخص، والرأفة أعم، وقد تكون الرحمة في الكراهة للمصلحة، ولا تكاد الرأفة تكون في الكراهة، فهذا موضع الفرق بينهما»(٣).

وقال القرطبي: «إن الرأفة نعمة مُلذة من جميع الوجوه، والرحمة قد تكون مؤلمة في الحال، ويكون عقباها لذة، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ﴾ [النور: ٢]، ولم يقل: رحمة، فإن ضَرْب العصاة على عصيانهم رحمة لهم لا رأفة، فإن صفة الرأفة إذا انسدلت على مخلوق لم يلحقه مكروه.

---

(١) صحيح ابن ماجه.

(٢) تفسير الطبري.

(٣) شأن الدعاء.

فلذلك نقول لمن أصابه بلاء في الدنيا، وفي ضمنه خير في الأخرى: إن الله قد رحمه بهذا البلاء، وتقول لمن أصابه عافية في الدنيا في ضمنها خير في الأخرى واتصلت له العافية أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا: إن الله قد رأف به»(١).

مما سبق يتبين أن الفرق بين الرأفة والرحمة ما يلي:

١-أن الرأفة أعلى معاني الرحمة، فالرأفة أخص، والرحمة أعم.

٢-أن الرأفة إحسان للمرءوف به ظاهرًا وباطنًا؛ لكن الرحمة قد يأتي ظاهرها مكروهًا؛ لكن باطنها إحسانًا ومصلحة.

من مظاهر رأفته سبحانه:

١-أنه ﷻ لا يضيع عمل المحسن مهما كان يسيرًا، فإنه يجازيه عليه الجزاء العظيم، وفيه يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ [الكهف:٣٠]، وجاءت ﴿عَمَلًا﴾ نكرة، لتشمل القليل والكثير.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

٢-ومن رأفته، أنه ﷻ، أنزل الكتب وأرسل الرسل ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٩﴾ [الحديد: ٩].

٣-ومن رأفته، أنه ﷻ لا يعاجل الكافرين والعصاة بالعقوبة بل يمهلهم ويعافيهم ويرزقهم، ويدعوهم إلى مغفرته وجنته ودار كرامته، وهو مع ذلك يحذرهم الأمن من مكره وعقوبته.

---

(١) تفسير الطبري.

قال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٤٦ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ٤٧﴾ [النحل: ٤٥ – ٤٧].

٤-ومن رأفته أنه سبحانه يجيب الداعين، ويعطي السائلين، إذا كانت مصلحتهم في ذلك، وفي ذلك قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

٥-ومن رأفته، أنه ﷻ، يقبل توبة التائبين ويوفقهم إليها ويثيبهم عليها، ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾ [التوبة: ١١٧].

٦-ومن رأفته سبحانه، أنه سخر لنا مراكبنا المناسبة لنا من خيل وبغال وحمير، ثم سيارات وقطارات وطائرات ونحوها، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾ [النحل:٥-٧].

٧-ومن رأفته، أنه سبحانه خوّف عباده وحذرهم نفسه، كما قال سبحانه ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠].

٨-ومن رأفته، أنه ﷻ أنعم عليهم وأعطاهم وملّكهم، ثم اشترى منهم بعض ما ملّكهم بجنة عرضها السماوات والأرض.

كما قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ

رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧].

٩- ومن رأفته، أنه سبحانه وتعالى شرع لهم ما يقيم مصالحهم، ويساير منافعهم، فقد قال سبحانه بعد ما بيّن بعض أحكام شرعه: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ٢٠].

١٠- ومن رأفته، أنه سبحانه وتعالى سخر لنا جميع ما في الأرض، قال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: ٦٥].

➢ كيف نعبد الله بإسمه «الرءوف»؟[1].

❋ أولًا: أن يكون العبد رءوفًا بمن حوله رحيمًا بهم:

فتراه رقيق القلب بالصغار والكبار، يرأف حتى بالحيوان، يرأف بالنملة في جحرها، وبالطير في وكره، فهذا العبد أقرب القلوب إلى الله.

فليقتد المؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي قال عنه ربه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

والنبي صلى الله عليه وسلم هو القائل: «والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم، قالوا: يا رسول الله، كلنا يرحم، قال: ليست برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس عامة»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «خاب وخسر، لم يجعل الله في قلبه رحمة للبشر»[3].

---

(١) للتوسع والاستزادة راجع اسميّ: » الرحمن « » الرحيم «.

(٢) رواه أبو يعلي والطبراني والحاكم وانظر الصحيحة.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق وحسنه الألباني في الصحيحة.

وقال ﷺ: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»[١].

وقال ﷺ: «من رحم ولو ذبيحة رحمه الله يوم القيامة»[٢].

وتتجلى رأفة العبد بأخيه حينما يجده خارجًا عن طاعة الله، عاصيًا لمولاه، فيعظه وينصحه مرارًا وتكرارًا، ويصرفه بقدر الإمكان عن طريق الغفلة، وينظر إليه بعين الرأفة والرحمة.

❁ ثانيًا: أن يكون العبد رءوفًا بنفسه رحيمًا:

فيسلك بها مسالك النجاة، ويقيها موارد الهلكة، ويشتريها من النار.

فكلّ إنسان، إمّا ساعٍ في هلاك نفسه وشقائها، أو ساع في نجاتها وفكاكها، فالأول، قسا على نفسه وظلمها، والثاني رأف بها.

وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٣٧ – ٤١].، فالناجون الذين رأفوا بأنفسهم قال الله فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١١١﴾ [البقرة: ١١١].

والآخرون قال الله فيهم:

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢].

---

(١) صحيح أبي داود.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني.

❁ ثالثًا: أن يعيش العبد هادئًا مطمئنًا، محسنًا الظن بربه:

فإن ربه رءوف رحيم، فالإنسان مهما تغشاه الكرب، وأدركه الفقر، وضاقت عليه نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، لا يضيق ذرعًا مع الرب الرءوف الرحيم؛ لأنه من المحال دوام الحال، وأفضل العبادة انتظار الفرج، ومن أحسن الظن بالله كان ربه عند ظنه به، فالأيام دول، والليالي حُبالى، وقد قال الله ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾ [الطلاق: ١].

وقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦﴾ [الشرح: ٦،٥].

❁ رابعًا: أن ندعوا الله تعالى باسمه «الرءوف»:

فقد سجل الله تعالى دعاء المؤمنين الصادقين القائلين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

ومن دعاء ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا غفار اغفر لي، يا تواب تب عليّ، يا رحمن ارحمني، يا عفوّ، اعف عني، يا رءوف ارأف بي»[1].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير.

(٩٦) الوارث جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحجر: ٢٣].. ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [القصص: ٥٨].

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

(الوارث) جل جلاله: هو الباقي الدائم بعد فناء هذا الخلق.

(الوارث) جل جلاله: هو المُسترد لجميع الأشياء بعد فناء أهلها.

(الوارث) جل جلاله: هو الذي يورث خَلْقَه من ملكه، يورث المؤمنين ديار الكافرين، كما قال سبحانه: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٧].

وسيورث المؤمنين مساكنهم في الجنة، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الزمر: ٧٤].

قال الخطابي: «الوارث: هو الباقي بعد فناء الخلق والمسترد أملاكهم ومواراثهم بعد موتهم ولم يزل الله باقيًا مالكًا لأصول الأشياء كلها، يورثها من يشاء ويستخلف فيها من أحبّ، وأخبرني أبو عمر أبي العباس، قال: قال أبو عمرو بن العلاء: أول شعر قيل في الجاهلية في الزهد، قول يزيد بن خَذَّاق:

هوِّن عليك ولا تولع بإشفاقٍ فإنما مالنا للوارث الباقي[1]».

---

(١) شأن الدعاء.

قال ابن جرير – في قوله تعالى ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ –: ونحن نرث الأرض ومن عليها، بأن نميت جميعهم، فلا يبقى حيٌّ سوانا إذا جاء ذلك الأجل[1].

وقال – في آية القصص – ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ –: «ولم يكن لِما خَرّبنا من مساكنهم منهم وارث، وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها، لا مالك لها إلا الله الذي له ميراث السموات والأرض»[2].

➢ **كيف نعبد الله باسمه «الوارث»؟**

❊ أولًا: أن يعلم العبد أن الله تعالى يورث ما شاء لمن شاء في الوقت الذي شاء بالصفة التي شاء:

قال سبحانه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وقال تعالى عن فرعون وقومه لما عصوا ربهم وخالفوا أمره: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان:٢٥ -٢٨].

وقال سبحانه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ [القصص: ٥].

فالأرض كلها لله، والملك كله لله يورث منه ما شاء، لمن شاء من عباده إذا أدَّوا ما عليهم من واجبات العبودية تجاه ربهم جل جلاله.

كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

---

(١) جامع البيان.

(٢) جامع البيان.

وقال سبحانه: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وقال عز من قائل: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٧].

❋ ثانيًا: أن نعرف عظمته وقوته وقدرته، فنقدره حق قدره:

فاسم الله «الوارث يبين عظمة الرب ﷻ من جهتين:

الأول: أنه سبحانه وتعالى مالك الملك ووارثه والمتصرف فيه.

الثانية: أن كل من ملك – غير الله فملكه ناقص من ناحية الكم إذْ يبقى محدودًا بما وهبه الله، ومن ناحية التصرف، فلا يتصرف فيه تصرفًا كاملًا، وكذلك مُلك لحظيٌّ مآله إلى زوال، بينما ملك الله سبحانه، مُلك شامل كامل، لا يعتريه نقص،، وباق دائم لا يعتريه زوال.

فسبحانه هو الوارث على الحقيقة، وهذا مما يحتم علينا استحضار عظمته على الدوام.

❋ ثالثا: أن يعلم العبد أن الميراث الحقيقي هو العلم النافع، والعمل الصالح الموصل إلى رضوان الله والجنة:

ليصلك هذا المعنى، تأمل فواتيح سورة المؤمنون، حيث قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ

صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١-١١].

وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣].

ومن دعاء الخليل ابراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: ٨٥].

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢].

وفي الحديث: «إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورَّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(١).

❋ رابعًا: أن ننفق مما أورثنا الله:

فكثيرًا ما حثنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على البذل والإنفاق، مُذكِّرًا إيانا أننا إنما ننفق مما أورثنا الله، وأننا مستخلفون فيما عندنا من الأموال.

كما قال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يقول العبد: مالي مالي، وإنما له ثلاثٌ: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ وتاركه للناس»**(٢).

---

(١) رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه مسلم.

❁ خامسًا: أن نزهد في الدنيا ونرغب فيما عند الوارث ﷻ:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام، وقد أَثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: **«مالي وللدنيا، وما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»**(٢).

❁ سادسًا: أن نستشعر على مدار لحظاتنا أننا ميتون، فمن ثَم نستعد للموت:

فالوارث ﷻ أعلنها مُدويّة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦،٢٧].

قيل لأحد الحكماء: مالك تُدمن إمساك العصا، ولست بكبير ولا مريض؟

قال: لأذكر أني مسافر.

حملتُ العصا لا الضعف أوجب علـيّ ولا أني تنحيـت مـن كِبَـرِ.
ولكننـي ألزمـت نفسـي حملهـا لأُعلمهـا أن المقيـم علـى سـفرِ.

والاستعداد للموت إنما يكون بالعمل الصالح وتقوى الله سبحانه.

فالعاقل لا ينشغل بالفانية عن الباقية، فغدًا سنرحل عن هذه الحياة، ولن ينفعنا إلا ما قدّمناه لله.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني.

«يتبع الميت ثلاثة: ماله وأهله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله»(١).

رجعـــــوا وتركــــوك   وفي التـــراب وضـــعوك
وللحســـاب عرضـــوك   ولـــو ظلـــوا معـــك مـــا نفعـــوك

فيا جامع المال، والمجتهد في البنيان، ليس لك والله من مالك إلا الأكفان، بل هي للخراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب.

❋ سابعًا: أن يعلم العبد أن الإرث حق الله:

تولى الله قسمته بنفسه، وجعل لكل إنسان فيه حقًا ثابتًا، لا ينبغي أن يُضَيّع بالمكر والحيل، فإن الحيلة وإن نفعت في الدنيا فلن تنفع صاحبها يوم القيامة.

قال عمر بن عبد العزيز: «إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك...»(٢).

وليعلم العبد أن المرأة، إن ضعفت عن أخذ حقها، فإن الله قويٌّ ينتزع لها حقها.

فيا من أكلت حقوق البنات:

لقد عصيت ربك حين أكلت حق أختك.

لقد تعديت حدود الله حين ظلمت أختك.

لقد تسببت في إحداث الشحناء والبغضاء بين المسلمين، بل بين ذوي الأرحام.

لقد عرّضت نفسك لدعاء المظلوم عليك.

---

(١) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

(٢) سير أعلام النبلاء.

لا تظلمــن إذا مــا كنــت مقتــدرا فــالظلم ترجـع عقبـاه إلـى النـدم

تنــام عينــاك والمظلــوم منتبــه يــدعو عليــك وعــين الله لــم تــنم

ارجع الساعة إلى بيتك، ورد الحقوق إلى أهلها، واحذر أن تعطي أختك أو ابنتك مبلغًا من المال، كما يلوح لك، وتقول: هذا حقك، أو أن تعطيها جزءًا معينًا من البيت أو الأرض ثم تُرغمها على البيع!!

استدع أهل العلم، أهل الحل والعقد، وتحرّ الحلال وابتعد عن الحرام، وأعط كلِّ ذي حق حقه. قبل أن يأتي يوم يُنصف فيه للبهائم بعضهم من بعض فكيف ببني آدم؟

❁ ثامنًا: أن ندعوا الله تعالى باسمه «الوارث»:

كما دعا به زكريا عليه السلام، قائلًا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩)﴾ [الأنبياء: ٨٩].

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦)﴾ [مريم: ٥، ٦].

وكما دعا به النبي ﷺ قائلًا: «اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني[1] وانصرني على من ظلمني، وخذ منه بثأري»[2].

---

(١) أي أبقهما صحيحين سليمين إلى أن أموت.

(٢) صحيح الترمذي.

(٩٧) الديَّان جَلَّ جَلَالُهُ

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قال:** بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ؛ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ[١] فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ، أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ[٢]، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلًا[٣] بُهْمًا**» **قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ:** «**لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أُقِصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أُقِصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ**» قُلْنَا: يا رسول الله، كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «**بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**».

زاد في رواية الحاكم والبيهقي: «**وتلا رسول الله** ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر:١٧][٤].

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

(الديان) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي يَدين العباد أجمعين، ويفصل بينهم يوم الدين[٥].

---

(١) متلهفا إلى لقيا عبد الله بن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) تأمل حرصهم على العلم، وسفرهم من أجل تحصيله.

(٣) أي: غير مختونين.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة، والحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي، وحسّنه الألباني.

(٥) الصلاة وحكْم تاركها، لابن القيم.

ومعنى: يدينهم، أي: يجازيهم بأعمالهم بالقسط؛ فيثيب المطيع المحسن، ويعاقب العاصي المسيء، ويقتصّ للمظلوم من الظالم.

ف**(الديان)** ﷻ: المجازي عباده بالقسط، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم:٣١].

وكما قال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٢٣] ومنه قوْلُ الله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤] أي: يوم الجزاء والحساب، وسبب تخصيص الملك بيوم الدين – مع أنه تعالى مالك أيام الدنيا كذلك – لأننا في هذه الدنيا يدَّعي كثيرٌ منا أنه يقدر ويفعل ويملك، لكن يوم الدين لا يدَّعي أحدٌ شيئًا، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود:١٠٥] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ:٣٨] وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:١٠٨].

وقال ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟!»(١).

ومنه قوْلُه تعالى حكاية عن الكافرين قوْلَهم: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:٥٣] أي: أئنا لمَجْزِيُّون على أعمالنا التي مضتْ؟

ومنه قولُه تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور:٢٥].

➢ كيف نعبد الله باسمه الدَّيَّان؟

❋ أولًا: أن يعتقد العبد أن الديان ﷻ لا يسوِّي بين مختَلِفَيْن، ولا يفرق بين متماثِلَيْن، ولا يظلم أحدًا:

---

(١) رواه الشيخان.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

سبحانه تنزَّه عن الجوْر والظلم؛ فحُكمه وعدْلُه يأبى ذلك، ومن هنا ميَّز بين أهل الجنة وأهل النار، وبين المؤمنين والكفار؛ فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦] فأخبر أن هذا حكم باطل جائر، يستحيل نِسْبَتُه إليه، كما يستحيل نسْبَةُ الفقر والحاجة والظلم إليه[١].

❋ ثانيًا: أن نستعدَّ ليوم الدين:

أن نحاسب أنفسنا على أعمالنا وكسْبِنا؛ استعدادًا للقاء ربِّنا، وأن نجتنب المعاصي ونضبط الطاعات، ونعيد الحسابات قبل يوم الدين، قبل يوم الفصل والقضاء والجزاء، قبل يوم قال الله فيه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠].

قال الحسن البصري: «من رأْفَتِه بهم؛ حذّرهم نفسَه»[٢].

إذا عرف العاقل أن ربه ﷻ ديَّانٌ، وأن يوم القيامة يوم الجزاء والحساب، وأنه سيلقى الله ذلك اليوم لا محالة، وأنه في ذلك اليوم سيجد أعماله كلها مُحْضَرة، خيرها وشرَّها، حسَنَها وسيِّئَها؛ فإنه سيحسب لذلك اليوم حسابه، وسيعدّ له عدَّته،

(١) شفاء العليل، لابن القيم.

(٢) تفسير ابن كثير.

كما قال أبو الدرداء: «البرّ لا يبلى، والإثم لا يُنسى، والديان لا ينام؛ فكن ما شئتَ، كما تدين تدان»[١].

فالمسلم راحلٌ حتمًا، وكل يوم يمضي من عمره فهو مرحلة يقطعها نحو الآخِرة التي هي غاية الخلق كله، ووظيفة الدنيا منحصرةٌ في الاستعداد لهذا اليوم؛ فاليوم عمل ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل، كل ما تفعله الآن تلقاه غدا.

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يُدنِي من الأجل
فاعملْ لنفسك قبل الموت ... فإنما الربح والخسران في العمل

ـ أن نستعدّ ليوم الدين.

قال – عز من قائل –: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار:١٧ – ١٩].

يوم تجثو كلُّ أمة.. في دياجير الملمَّة.. للسؤال عن المهمة.. هل أجبتم الرسول؟

يوم يأتي الناس وفدا.. وعظيمُ القوم عبدا.. هل ظننتم فيه خلدا.. وبقاءً لا يزول؟

يومها ماذا نقول؟

يوم لا ينفع مالٌ.. أو خليلٌ أو عيالٌ.. كلُّهم شرٌّ وبالٌ.. إلا من نال القبول.. يوم يغشى الناس نارٌ.. ودخانٌ ودمارٌ.. وامتهانٌ واحتقارٌ.. فتطير له العقول، يومها ماذا نقول؟

يوم تدنو الشمس من رؤوس الخلائق حتى تكون منهم قدرَ مِيل، ويعرق الناس ويتفاوتون في العَرَق؛ فمنهم من يبلغ عرقُه إلى كعبيه، ومنهم إلى ركبتيه، ومنهم إلى حِقْوَيه، ومنهم إلى كتفيه، ومنهم من يُلجمه العرق إلجامًا، في يوم كان

---

(١) رواه الإمام أحمد في الزهد عن أبي قلابة.

مقداره خمسين ألف سنة.

قارن بين مدة بقاء الإنسان في هذه الحياة – هذه المدة التي لا يصبر فيها على طاعة الله إلا قليل – وبين خمسين ألف سنة يقفها على أرض لا بناءَ فيها ولا زرع ولا شجَر، يقف فيها الرئيس والمرؤوس، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، يقفون حفاةً عراةً غرلًا بُهما، يأتون الأنبياء، يأتون كل نبي ابتداءً من أبيهم آدم عليه السلام يقولون: اشفع لنا عند ربك، أما ترى ما نحن فيه! حتى يَصِلُون إلى عيسى عليه السلام فيُحِيلهم إلى محمد ﷺ فيقال له: ارفع رأسك، وسَلْ تُعْطَه، واشفعْ تُشَفَّعْ، وهذا هو المقام المحمود الذي قال الله فيه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء:٧٩].

ثم يجيء الديان جل جلاله لفصْل القضاء، يجيء لِيَدِين الناسَ بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشرٌّ.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢٢] تحيط بالخلائق في مشهد مهيب، تقشعرُّ منه الأبدان، وتشيب فيه الولدان، وتنخلع فيه القلوب والجنان.

﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ [الفجر:٢٣] يؤتى بها حقيقة ليراها الكفرة والعصاة والفسَقَة فيعذبون معنويًا قبل العذاب الحسّيّ!، كما قال ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، كل زمام سبعون ألف ملك يجرُّونها**»(١).

﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر:٢٣، ٢٤].

يُدرك الإنسان حينئذ أن الحياة الحقيقية هي تلك الحياة الآخرة، وأما هذه الحياة فهي حياة زائلة فانية.

---

(١) رواه مسلم.

ثم يُنصبُ الصراطُ على متن جهنم، وما أدراك ما الصراط؟

قال أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بلَغَني أن الجسر أدقّ من الشعر، وأحدُّ من السيف»(١).

ويؤمر الخلائق بالمرور، فيمرون مرورًا متفاوتا على حسب أعمالهم وطاعاتهم، كما قال ﷺ: «**المؤمن عليها – أي: على خطاطيف الصراط – كالطرف – أي: كطرف العين – وكالبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب – أي: كالجيد من الإبل والخيل – فناج مُسَلَّم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم – أي: ساقط فيها يتطهر من خطاياه وذنوبه حتى يخرج – فذلكُمُ المؤمن.**

أما الكافر فإنه يُؤتى به يمشي على وجهه حتى يدخل جهنم، كما قال – عز من قائل: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء:٩٧].

وقد سأل رجلٌ قائلا: «يا نبي الله، يُحشَر الكافر على وجهه يوم القيامة؟! قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟

قال قتادة: بلى وعِزَّة ربنا»(٢).

فالناس في يوم الدين ثلاثة أقسام:

١ – الكافرون، ومعهم الملاحدة المشركون، في النار يُخلَّدون، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ [فاطر:٣٦،٣٧].

٢- المؤمنون الذين يدخلون الجنة دخولًا أوَّليا بلا عذاب، وهم السابقون بالخيرات والمقتصدون؛ فالمقتصدون هم الذين فعلوا الواجبات وترَكوا المحرَّمات، والسابقون بالخيرات هم الذين زادوا على ذلك، ففعلوا المستحبات والمندوبات وتركوا المكروهات.

٣- المؤمنون الذين هم عُرْضة للعقاب والحساب، وهم الذين خَلَطوا عملًا صالحًا وآخَر سيئًا، هم الذين لهم ذنوبٌ وكبائر، هؤلاء إذا عذّبهم الله في جهنم لا يُخَلَّدون فيها، وإنما يَبقون فيها ما شاء الله أن يبقَوا، حتى يكونوا طيبين طاهرين مؤهَّلين لدخول جنة رب العالمين.

ثم إذا تكامل عصاة الموحدين خروجًا من النار ودخولًا الجنة يُذبَح الموتُ، كما قال ﷺ: «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ؛ فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ؛ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ! فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ! خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ» ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم:٣٩][(١)]».

فالعاقل يوقظ نفسه من غفلته قبل أن يُدركه يومُ الدين.

تذَكّرْ يوم تأتي اللهَ فردا ... وقد نُصبتْ موازين القضاء

---

(١) متفق عليه.

وهُتكـت السـتور عـن المعاصـي وجـاء الـذنب منكشـف الغطـاء

ثالثًا: أن نجتنب مظالم العباد، ونردّ الحقوق إلى أهلها قبل يوم الدين:

فيوم الدين يوم القصاص، كما قال ﷺ في الحديث الذي سبَق ذِكْرُه: «لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصَّه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصَّه منه حتى اللطمة».

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ؛ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا، لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ؛ فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ؛ فَقَالَ ﷺ: «أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ** ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] **فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَجِدُ لِي ولهؤُلَاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكَ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُم»**(١).

فمن عَلِم أن هناك (يوم الدين) رضِيَ وسلّم، وهدأتْ آلامُه، وسكنتْ جراحُه، واحتمل الظلم الذي يُعانيه، والحرمان الذي يُقاسيه في هذه الحياة؛ فمَن جار هنا عوقب هناك، ومَن سُلب ماله هنا وجَدَه هناك، ومَن ظُلم هنا أُنصِف هناك.

❁ رابعًا: أن ندعو الله تعالى باسمه «الديان»:

عن عائشة عن النبي ﷺ: أنها سألت النبي ﷺ عن قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ

---

(١) رواه أحمد والترمذي، وصحَّحه الألباني.

ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ [لقمان:٤٨] **فأين يكون الناس يومئذ؟ فقال:** «**على الصراط**» **قالت:** قلت: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويُطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لا ينفعه، لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[1].

---

(١) رواه مسلم.

(٩٨) الإله جَلَّ جَلَالُهُ

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ﴾ [المائدة: ٧٣].

وبوّب البخاري بابًا قال: «باب ما يُذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عَزَّ وَجَلَّ».

يشير البخاري بهذا التبويب إلى حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة خُبيب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قال قبل قتله وهو في أسره بعد أن صلى ركعتين.

ولست أبالي حين أقتلُ ... على أي شقٍ كان في الله
وذاك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شِلوٍ

قال الحافظ بن حجر: «وسمعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يُنكره، فكان جائزًا»(١).

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(الإله) سبحانه: «هو المألوه، أي المستحق أن يُؤَلّه، أي يُعبد، ولا يستحق أن يؤلّه ويُعبد إلا الله وحده، وكل معبودٍ سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل، فالله هو الإله الحق لا إله غيره ولا رب سواه»(٢).

(الإله) سبحانه: هو الذي لا معبود بحق سواه، لا يستحق العبادة إلا إياه.

فـ «لا يكون إلها حتى يكون معبودًا، وحتى يكون لعابديه خالقًا ورازقًا ومُدَبِّرًا، وعليهم مقتدرًا، فمن لم يكن كذلك، فليس بإله، وعُبدَ ظلمًا بل مخلوق ومُتعبدً»(٣).

---

(١) فتح الباري.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية.

(٣) أبو الهيثم، في لسان العرب.

الفرق بين «اللّٰه» و«الإله» سبحانه:

إن كلمة «الإله» معناه في الأصل: المعبود؛ لكنها لا ترادف أبدًا كلمة «الله» الجامعة لأسماء الله الحسنى كلها، فعند ذكر كلمة الله، يُسبق إلى الذهن الذات الأجل الأعلى الذي له جميع الأسماء الحسنى المتجلية في الكون، فهذا هو المعنى المفهوم لكلمة «الله» أي هو وحده المعبود المطلق، الخالق المطلق، الرازق المطلق، البارئ المطلق، الجميل المطلق....الخ.

لكن عند ذكر كلمة «الإله» سبق إلى الأذهان الآلهة المعبودة بحق وبغير حق.

ولما كان لفظ الجلالة «الله» اسمًا خاصًا بالذات الإلهية قلنا في الشهادة «لا إله إلا الله» فشهادتنا نفيٌ لجميع الآلهة، ثم إثبات الألوهية لله تعالى وحده.

«ولأن لفظ الجلالة لا يُطلق إلا على الإله الحق، فإنه لا يُثنّى ولا يُجمع، أما لفظة «إله» فلكونها تطلق على الآلهة الباطلة، جاز تثنيتها وجمعها، فيقال: المجوس يدينون بإلهين، والمشركون يعبدون آلهة، وقد ورد في التنزيل المجيد تثنية «إله» وجمعها، يقول الله عَزَّلَ.

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ [النحل: ٥١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ولفظة: «إله» اسم مشترك، يطلق على الإله الحق، ويطلق على الآلهة الباطلة، أما لفظ الجلالة فلا يطلق إلا على المعبود الحق تبارك وتعالى[1].

الفرق بين «الرب» و «الإله» سبحانه:

الرب معناه يعود إلى الانفراد بالخلق والتدبير، أما الإله فهو المستحق للعبادة

---

(١) دراسات حول لفظ الجلالة / أ. د. محمود مزروعة.

المألوه الذي تعظمه القلوب وتخضع له وتعبده عن محبة وتعظيم وطاعة وتسليم.

أدلة الألوهية (استحقاق الله للعبادة):

أدلة الألوهية كثيرة وظاهرة، ولا يمكن أبدًا دفعها أو التنكر لها، إلا من جاحد لها مستيقن بها، ويمكن حصرها في خمسة:

الأول: إقرار المشركين وغيرهم بالربوبية مُلزم للألوهية:

قال سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) ﴾ [يونس:٣١- ٣٢].

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٦٤) ﴾ [النمل: ٥٩ -٦٤].

من تأمل هذه الآيات وغيرها مئات، ظهر له جليًا أن التوكل والاستعانة، ونحوها إنما تكون بالله رب الأرض والسماوات الذي بيده الأمر كله، وهذا هو الذي تقتضيه الفطر السليمة، فإن الذي خلق وقدّر وهدى، هو الذي يُتوكل عليه

وحده ويستعان به وحده ويُخشى وحده، ويرجى وحده وتصرف إليه العبادة وحده دون سواه.

الثاني: من نظر في حال الآلهة التي تُعبد من دون الله، في الدنيا والآخرة، علم أن عابديها قومٌ لا يعقلون، وتيقن أن الله وحده هو المستحق للعبادة دون سواه.

قال سبحانه: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ٣﴾ [الفرقان:٣].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣٤﴾ [يونس: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦﴾ [الاسراء: ٥٦].

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

أفادت هذه الآيات وغيرها مئات أن الآلهة التي تُعبد من دون الله ناقصة من جميع الوجوه عاجزة من جميع الوجوه، وأن المستحق للعبادة والتأله، الله سبحانه وحده الكامل من جميع الوجوه القادر من جميع الوجوه.

الثالث: من نظر حال المشركين في أوقات الشدة والبأساء، علم أنهم كانوا يوقنون أنه لا ينجيهم من بأسهم ولا يُخرجهم من شدتهم إلا الله وحده، كما قال

سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٢- ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر: ٨]. وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

قال الإمام الشوكاني: «وفي هذا دليل على أن الخلق جُبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد، وأن هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم في هذه الحالة وما يشابهها، فيا عجبًا لما حدث في الإسلام من طوائف يعتقدون في الأموات، فإذا عُرضت لهم في البحر مثل هذه الحالة دَعَوا الأموات ولم يخلصوا لله كما فعله المشركون»(١).

فإذا صفا الفكر واستيقظت الفطرة أيقن الإنسان أنه لا يُعبد إلا الله وحده في جميع أنواع العبادات، وبمثل هذا كان قد أسلم عكرمة بن أبي جهل، فقد روى سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ لما أهدر يوم الفتح دم جماعة منهم عكرمة بن أبي جهل، هرب من مكة وركب البحر، فأصابهم عاصف، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا، فقال عكرمة: لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص، لم ينجني في البر غيره، اللهم إن لك

---

(١) فتح القدير.

عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدًا حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفوًا كريمًا فجاء فأسلم»(١).

ثم إنه لا حجة للمشركين في شركهم إلا أنهم يُقلدون آباءهم الضالين، كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف: ٢٣].

فهذه حجج قاطعة وبراهين ساطعة تدل على بطلان ما يُعبد من دون الله واستحقاق العبودية لله.

الرابع: إجماع الكتب السماوية على استحقاق الله وحده للعبودية.

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال سبحانه: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٥].

وهذا إنما يوضح بطلان ما عليه المشركون من الشرك إذ لا مستند لهم فيه بل المستند أن الذي خلق هو الذي يُعبد وهو الذي يُشكر على ما أنعم.

الخامس: العقل.

---

(١) صحيح سنن النسائي.

إن دلالة العقل على ذلك هو العلم بحسن التوحيد وقبح الشرك، فالعقل يدرك حسن عبادة الله الذي خلق فأحسن الخلق، وأحسن إلى خلقه بأنواع النعم، وتفضل عليهم بأنواع الفضائل.

والعقل يدرك كذلك قبح عبادة غير الله، إذ كل من هو دون الله مخلوق مربوب مرزوق فقيرٌ إلى الله، لا يملك شيئًا فكيف يعطي شيئًا؟!

خاصة أن النفوس مفطورة على الإقرار بالله وعبوديته وحده ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ [الروم:٢٩].

والله سبحانه قد حاكم العبد إلى عقله في إدراك التوحيد ومعرفته، وإنكار الشرك، قال سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)﴾ [الزمر: ٢٩].

قال ابن القيم: «وهذا مثلٌ ضربه الله للمشرك الذي يعبد آلهة شتى، وللموحد الذي يعبد إلهًا واحدًا وهو الله، لينبه على قبح الشرك وحسن التوحيد»[(١)].

➢ كيف نعبد الله باسمه «الإلـــــــه»؟

✵ أولًا: أن نتحقق بالتوحيد، ونقوم بعبادة الله على وجهها:

فإن الغاية التي خلق الله الإنس والجن من أجلها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، هي عبادته وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦].

وهذه العبادة هي المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه،

---

(١) المدارج.

والإعراض عما سواه، وذلك متوقفٌ على معرفة العبد لنفسه، ومعرفته لربه، فمعرفة العبد لنفسه وأنه مهما بلغ به السلطان والجاه والمال، فهو عاجزٌ ضعيف، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وكلما علم من نفسه ذلك تصاغرت نفسه أمامه وذهب كبرياؤه وعظم افتقاره، وكلما علم عن ربه وخالقه الذي خلقه فسوّاه، عظم افتقاره إليه، وزاد تذلُّله بين يديه، وانقطع رجاؤه عمن سواه، وكلما علم من أسمائه وصفاته انخلع إجلالًا لربه وتعظيمًا لمقامه وهيبة لسطوته وجبروته وسلطانه، وعلم أنه بغير الله لا شيء، فجرّد قلبه من حظوظ النفس وأهوائها، وظهر أثر العبادة على كل ذرة فيه، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

فإن لله على عباده عبودية في جميع الأماكن والأزمان، عبودية في السرء والضراء، وله عليهم عبودية فيما يحب العبد ويكره.

وأكثر الخلق قد يُعطون العبودية في مكان دون مكان أو زمان دون زمان، يعطون في السراء، فإذا ابتلوا بالضراء تعطلوا، ويعطون فيما يحبون، فإذا ابتلوا بما يكرهون منعوا!!

ومن هنا تتفاوت مراتب العباد وبحسبه كانت عند الله منازلهم.

فوجب على العبد أن يكون ممن إذا أنعم الله عليه شكر، وإذا ابتُلِي صبر، وإذا أذنب استغفر، وإذا كان بأرض الطاعة حَمد وكان معوانًا على الخير وإذا كان بأرض المعصية أمر ونهى وغضب وزجر»(١).

فإن هذه الأمور هي عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه.

---

(١) العبادة واجتهاد السلف فيها: أبو محمد صلاح الدين عبد الموجود. بتصرف.

- **معنى العبادة:**

ولا يخفى على العقلاء أن المقصود بالعبادة هنا ليس الصلاة والصوم فقط كما يزعم الكثير، إنما العبادة منهج حياة.

العبادة هي صدق التوجه إلى الله وإخلاص النية له، وحسن التوكل عليه وشدة الفقر إليه، وحب العمل له، وخوف البُعد عنه، وقوة الرجاء فيه، ودوام الخوف منه.

العبادة المقصودة هي: أن تكون حيث أمرك الله أن تكون، وأن تعيش كيفما أراد الله لك أن تعيش، وأن تحب في الله وتبغض في الله، وتصل لله، وتقطع لله.

العبادة حالة إيمانية راقية تتهاوى فيها قيمة الدنيا حتى تصير أقل من قطرة في يمّ، وأحقر من جناح بعوضة، وأهون من جديٍ أسكٍ ميتٍ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة الرسل.

وقال: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك، هي من العادة لله.

والعبادة أصل معناها: الذل أيضًا، يُقال طريق مُعبّد إذا كان مذللًا قد وطئته

الأقدام؛ لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له»[١].

وقال أيضًا: وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور.

وذلك هو حقيقة دين الإسلام؛ لأن معنى الإسلام: الاستسلام لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع[٢].

قال ابن القيم رحمه الله:

«**والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها:** حب كامل وذلٌّ تام.

ومنشأ هذين الأصلين عن أصلين عظيمين هما:

١-مشاهدة المنة التي تورث المحبة.

٢-مطالعة عيب النفس والعمل، التي تورث الذل التام.

وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين، لم يظفر عدوُّه به إلا على غِرَّةٍ وغِيلةٍ، وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته»[٣].

ولهذا تعجب أهل الكتاب من شمولية هذا الدين وتنظيمه لكل شئون العبد، حتى لا تكون حركة أو سكنة أو لحظة إلا وهي لله سبحانه.

فقد قيل لسلمان رضي الله عنه قد علمكم نبيكم كل شيء، حتى الخراءة، فقال **أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل**

---

(١) مجموع الفتاوى.

(٢) مجموع الفتاوى.

(٣) الوابل الصيب.

من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو عظم»[١].

وجاء رجل من اليهود إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال آية في كتابكم تقرءونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لا تخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أي آية؟ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]، قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه، لقد نزلت على النبي ﷺ وهو قائمٌ بعرفة يوم الجمعة»[٢].

شرطا العبادة:

والعبادة لها شرطان رئيسان – بعد الإيمان – لا تصح إلا بهما:

الأول: الإخلاص للمعبود.

الثاني: المتابعة للرسول.

فعند ذهاب الإخلاص يكون الرياء أو الشرك، فيُحبط العمل.

وعند ذهاب المتابعة تكون البدعة والمخالفة.

فالإخلاص: إفراد الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالقصد في الطاعة، بحيث يكون العمل مجردًا لله سبحانه لا تشوبه ذرة شرك، ولا تحيط به شبهة رياء، قال سبحانه:

﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢،٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال ﷺ: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغي به وجهه»[٣].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) صحيح سنن النسائي.

والمتابعة المقصود بها: متابعة الشرع في الأقوال والأعمال بحيث تكون موافقة لما أمر الله به ورسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقص.

قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال ﷺ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»(١).

وفي الشرطين معًا:

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك: ٢].

قال: أخلصه وأصوبه، ثم قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا، لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا وصوابًا، والخالص ما كان لله ﷻ، والصواب ما كان على السنة(٢).

فالتعبد لله باسمه «الإله» يقتضي الاعتناء بالعبادة على الوجه الذي أمر به الله.

❋ ثانيًا: أن ندعو الله باسمه «الإله»:

كما قال ﷺ عن ذي النون: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلمٌ في شيء قطّ إلا استجاب الله له»(٣).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حلية الأولياء.

(٣) صحيح الترمذي.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم»[١].

وقال ﷺ: «الحمّى من فَيح جهنم فأبردوها بالماء، فدخل على ابنٍ لعمار، فقال: اكشف البأس رب الناس إله الناس[٢].

---

(١) صحيح ابن ماجه.

(٢) صحيح ابن ماجه.

(٩٩) الْـــوِتْــــــــرُ جل جلاله

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تسعًا وتسعين اسمًا، مائةً إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة، وهو وترٌ يحب الوتر»(١).

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «**يا أهل القرآن أوتروا، فإن الله وترٌ يحب الوتر**»(٢).

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

الْـــوِتْــــــــرُ جل جلاله: «هو الفرد الذي لا شريك له ولا نظير»(٣).

الْـــوِتْــــــــرُ جل جلاله: الفرد الأحد الذي لا مثيل له ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا عديل له؛ لكماله من كل الوجوه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٤].

الْـــوِتْــــــــرُ جل جلاله: المتفرد عن خلقه بربوبيته ووحدانيته، فقد خلقهم لا يعتدلون، ولا يستقرون إلا بالزوجية، ولا يهنئون بالأحدية والفردية، قال سبحانه: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [الذاريات:٤٩].

قال الحافظ ابن حجر: «الوتر: الفرد، ومعناه في حق الله أنه الواحد الذي لا نظير له في ذاته ولا انقسام»(٤).

○ **قال مجاهد في قوله تعالى:** «الشفع والوتر»: كل خلق الله شفعٌ: السماء

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٣) شأن الدعاء/ الخطابي.

(٤) فتح الباري.

والأرض، والبر والبحر، والجن والإنس، والشمس والقمر، والله الوتر وحده»(١).

☜ **وقيل أيضًا في معنى الشفع والوتر**: أن الشفع تنوُّع أوصاف العباد بين عزٍّ وذلٍّ، وعجزٍ وقدرة، وضعفٍ وقوةٍ، وعلمٍ وجهلٍ، وموتٍ وحياةٍ، والْـوِتْـرُ: انفراد صفات الله عَجَّلَ، فهو العزيز بلا ذل، والقدير بلا عجز، والقوي بلا ضعف، والعليم بلا جهل، وهو الحي الذي لا يموت، والقيوم الذي لا ينام، ومن أساسيات التوحيد والوترية إفراد الله عمن سواه في ذاته وصفاته وأفعاله وعبوديته»(٢).

الفـرق بين «الْـواحِـد» و«الأحَـد» و «الْـــوِتْـــر»:

أحسن ما قيل في ذلك أن:

(الْـواحِــد) ينفي العددية.

(الأحَـــد) ينفي التشبيه بالكلية.

(الـوِتْـــر) ينفي الشفعية أو الزوجية.

➢ **كيف نعبد الله باسمه الْـــوِتْــــــــر؟**

✵ **أولًا: أن نُنَزِهَ الله تعالى عن المثيل والشبيه والنظير والنِّد:**

فسبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:].

فالله جَلَّ جَلَالُهُ لا يشبهه شيءٌ من المخلوقات، قال سبحانه ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦،٢٧].

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص:٨٨].

---

(١) تفسير القرطبي.

(٢) أسماء الله الحسنى للرضواني نقلًا عن الأسماء للبيهقي وتفسير القرطبي.

فلا يصح أبدًا مشابهة الفاني للباقي، ولا المخلوق للخالق الباري.

▼ **وقال تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠] أي الوصف الذي لا يشبه وصف غيره، فلا يوصف ربنا بصفات المخلوقين.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤] أي لا تجعلوا لله الشبيه والمثل، فسبحانه لا شبيه له ولا مثيل له، فذاته لا تشبه الذوات، وصفاته لا تشبه الصفات، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم:٦٥].

▼ **وقال سبحانه:** ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنعام:١٠٠]، تنزيهٌ وتقديسٌ لله تعالى عن كل وصفٍ يخطر ببال بشرٍ.

▼ **قال سبحانه:** ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، ولو كان له مثيل؛ لأحاطت به علوم البشر، ولكنه سبحانه تنزّه وتقدّس عن كل وصف يجول في رأس إنسان.

○ **وكان ﷺ يقول: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخر فليس بعدك شيءٌ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطن فليس دونك شيءٌ»** [٧].

وإذا لم يكن قبله شيءٌ، ولا بعده شيءٌ، ولا فوقه شيءٌ، ولا دونه شيءٌ، فكيف يكون له شبيهٌ أو نظيرٌ أو ندٌّ؟!!

☜ واعلم أن من لوازم تنزيه الله تعالى عن الشبيه والمثيل والنظير والنِّد:

تنزيهه تعالى عن الحد والمقدار الذي تتصف به ذات المخلوق.

تنزيهه تعالى عن أن يحيط به مكانٌ أو أن يجري عليه زمان.

تنزيهه تعالى عن الحدوث أو الفناء.

تنزيهه تعالى عن التغيُّر.

تنزيهه تعالى عن الجسمية التي تتصف بها ذات المخلوق.

تنزيهه تعالى عن الصورة والشكل الذي تتصف به ذات المخلوق.

تنزيهه تعالى عن الجوارح والأعضاء التي تتصف بها ذات المخلوق.

تنزيهه تعالى عن الاتحاد(١) والحلول(٢)، وعن الاتصال(٣) والانفصال(٤).

تنزيهه تعالى عن الأعراض والكيفيات الحسية التي تتصف بها ذات المخلوق.

تنزيهه تعالى عن النقائص والعيوب.

تنزيهه تعالى عن الوالد والولد والمصاحبة.

تنزيهه تعالى عن الشريك.

❋ ثانيًا: أن يتحلى العبد بالوترية محبًا لها كما أحبها الوِتر جل جلاله:

كما جاء في الحديث: «إن الله وترٌ يحب الوتر»(٥).

أي يحب كل وترٍ شرعه، ومحبته له أنه أمر به وأثاب عليه، وخصصه بذلك لحكمةٍ يعلمها.

ويدخل في معناه: محبة الله للسبق إلى الخيرات؛ حتى يتفرد فيها عمن دونه، كما في قوله:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠﴾ [الواقعة:١٠].

وقوله: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الحديد:٢١].

---

(١) أي بالمخلوق.

(٢) في المخلوق.

(٣) أي بالمخلوق.

(٤) أي عن المخلوق.

(٥) رواه مسلم.

○ **وقوله ﷺ: «سبق المفرِّدون»** قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: **«الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»**(١).

فهو سبحانه وتعالى يحب السابقين المتفردين المتفوقين في الخيروالصلاة أو في العلم أو في البر أو في الجود أو في نفع الناس وإيصال الخير إليهم، ويحب المسابقة في ذلك ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين:٢٦](٢).

فأثر الاسم على العبد يتجلى في أن يسبق العبد إلى البر حتى يكون فيه فردًا، كذلك، أثر الاسم على العبد يتجلى في محبته الوترية منا أحبها الله سبحانه، فيتوضأ وترًا، ويغتسل وترًا، ويجعل آخر صلاته بالليل وترًا، ويشرب وترًا، ويأكل -ما أمكن -وترًا، وهكذا.

○ **فعن حمران مولى عثمان:** أنَّ عثمانَ بن عفان رضي الله عنه دعا بوَضُوءٍ، فتوضأَ، فغسل كفيْه ثلاثَ مراتٍ، ثم مضمض واستنشق، ثم غسل وجهَه ثلاثَ مراتٍ، ثم غسلَ يده اليمنى إلى المرفقِ ثلاثَ مراتٍ، ثمَّ غسل يده اليسرى مثلَ ذلك، ثم مسح برأسِه، ثم غسل رجلَه اليمنى إلى الكعبين ثلاثَ مراتٍ، ثم غسل رجلَه اليسرى مثلَ ذلك، ثم قال: رأيتُ رسولَ اللهِ، توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قال: قال رسولُ اللهِ: من توضَّأ نحو وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين لا يحدِّثُ فيهما نفسه غُفِر له ما تقدم من ذنبِهِ»(٣).

○ **وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت:**

قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي امْرَأَةٌ أَشُدُّ ضَفْرَ رَأْسِي فأنْقُضُهُ لِغُسْلِ الجَنَابَةِ؟ قالَ: **«لَا. إنَّما يَكْفِيكِ أنْ تَحْثِي علَى رَأْسِكِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ ثُمَّ تُفِيضِينَ عَلَيْكِ المَاءَ فَتَطْهُرِينَ»**(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) مع الله د سلمان العودة.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

○ وقال ﷺ للنسوة اللاتي غسَّلن ابنته «**اغسلنها بالسدر وترًا ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتنّ.....**»[١].

○ **وقال** ﷺ: «**إذا اكتحل أحدكم، فليكتحل وترًا، وإذا استجمر فليستجمر وترًا**»[٢].

○ **وقال** ﷺ: «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا**»[٣].

○ **وعن أنسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمراتٍ، ويأكلهنّ وترًا»[٤].

○ **وعنه أن النبي** ﷺ **قال له:** «**إذا اشتكيت، فضع يدك حيث تشتكي، وقل: بسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك، ثم أعد ذلك وترًا**».

✵ ثالثا: أن ندعو الله تعالى باسمه الْـــوِتْـــــا ـــــــر:

لفظًا أو معنىً، كما في حديث محجن بن الأدرع السلمي قال: «أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، إذا رجل قد قضى صلاته وهو يتشهد، فقال: «اللهم إني أسألك يا ألله، بأنك الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم، فقال رسول الله ﷺ: «**قد غفر الله له ثلاثًا**»[٥].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد في المسند وصححه الألباني في الصحيحة.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه البخاري.

(٥) صحيح أبي داود.

فهرس الموضوعات

والحمد لله رب العالمين

أعمال المؤلف

كتب مطبوعة:

١- ٣٠ خطوة في طريق السعادة.
٢- تدبر سورة يوسف.
٣- تدبر سورة البقرة.
٤- الدليل المختصر الرصين على منهج السالكين.
٥- تدبر سورة الكهف.
٦- إنه الله معرفة ملزِمة، وعبودية محتَّمة (دراسة تربوية لأسماء الله الحسنى).
٧- التربية بالمجاهدة.

كتب تحت الطبع:

١- سلوكيات مرفوضة (١٠٠ سلوك مرفوض) ٢ مجلد.
٢- أما آن لقلبك أن يعبد؟ (٥٠ عبادة قلبية) ١ مجلد.
٣- زبدة الكلام على عمدة الأحكام ٢ مجلد.
٤- التوضيحات السنية على الروضة الندية لصديق حسن خان رَحِمَهُ اللَّهُ.
٥- التوضيحات السديدة على ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة.
٦- شرح صحيح القصص النبوي للعلامة أبي إسحاق الحويني.
٧- فقه السنة الميسر (المسائل الفقهية مقرونة بأدلتها الشرعية).
٨- فصول في الفكر والمنهج.
٩- شرح مختصر النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة للعلامة محمد إسماعيل المقدم.
١٠- الصيام حياة.
١١- فقه الإسلام شرح التمام في أحاديث الأحكام، كتاب يجمع أحاديث (بلوغ المرام، وعمدة الأحكام، والمحرر).
١٢- إتحاف المستمتع بتهذيب الشرح الممتع.
١٣- تدبر جزء عم.
١٤- تدبر جزء تبارك.
١٥- تدبر جزء قد سمع.
١٦- المئوية في العملية التربوية (الأحاديث المائة في الأخلاق والتربية).
١٧- أدلة وإضاءات على متن الورقات (منشور على شبكة الألوكة).
١٨- شرح أسماء الله الحسنى للطلائع.
١٩- الله ينادي.
٢٠- المستفاد من زاد المعاد.
٢١- اقتران أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم.
٢٢- حصر الآيات، وأسرار خواتيمها، وبيان معانيها .
٢٣- المشوِّق إلى العمل الصالح.